

التراث العربي



مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

السنة 13 - العدد 50

التراث العربي

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق

العدد : ٥٠ - رجب ١٤١٣ هـ كانون الثاني ١٩٩٣ م - السنة الثالثة عشرة

رئيس التحرير
د. عبدالكريم اليافي

المدير المسؤول
علي عقله عرسان

أمixin التحرير
عبداللطيف أزناوط

هيئه التحرير

د. عدنان درويش
د. محمد زهير البابا
د. محمود السيد

د. ابراهيم الكيلاني
د. ادهم السمان
د. عدنان البيني

ترسل المواد والراسلات الى العنوان التالي :

المدير المسؤول - اتحاد الكتاب العرب ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، ص.ب: ٣٢٣٠ - ٢٤٤٢٩٩ - ٢٤٤٣٢٩





مكتبة لسان العرب

مكتبة لبنان العربي

المواضيع المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها

الاشتراك السنوي

داخل القطر	للأفراد	١٠٠ ل.من
في الأقطار العربية	د	٢٠٠ ل.من أو (١٠) دولار أمريكي
خارج الوطن العربي	د	٣٠٠ ل.من أو (١٥) دولار أمريكي
الدوائر الرسمية داخل القطر	د	٢٠٠ ل.من
الدوائر الرسمية في الوطن العربي	د	٣٥٠ ل.من أو (٢٠) دولار أمريكي
الدوائر الرسمية خارج الوطن العربي	د	٥٠٠ ل.من أو (٢٥) دولار أمريكي
أعضاء اتحاد الكتاب	د	٥٠ ل.من

■ الاشتراك يرسل حواله بريدية او شيك او يدفع نقدا الى : (محاسب مجلة التراث العربي) ■

الاعراج الفني : اكرم السادس

المحتوى

ص

- «الحياة حلم» و«النائم اليقظان» مسرحية .. وحكاية
د. عبدالكريم اليافي ٧
- أهمية الفهرسة الوصفية (الببليوغرافيا) الوطنية والسبيل إلى وضعها
د. عدنان درويش ٢٨
- ★ من أعلام التراث :
 - ابن رواحة الحموي .. حياته وشعره ..
 - محمد عدنان قيطاز ٤٨
- عمرو بن أحمر الباهلي – الشاعر المخضرم
محمد كبيري الدين مينو ٥٦
- الائتلاف رأس الوجوه البلاغية
د. ياسين الإيوبي ٤٩
- سمات الأدب النسائي في بلافات النساء لأحمد بن طيفور
عبداللطيف أرناؤوط ١٠٤
- التراث النقدي .. وقراءة النّاث المعاصرة
د. ماجدة حمود ١٢٠
- علم المجمعة عند العرب
د. محمد احمد قاسم ١٣٠
- الشرط والقسم و واو الحال عند النحاة وفي كلام البلغاء
صلاح الدين الزعبلاوي ١٤٦



لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanearb.com رابط بديل

الحياة حلم و النّميمة

مسرحية ... وحكيّة

د. عبد الكريم اليافي

كنت في ابان صبائي - وما زلت بحمد الله فتى في الذهن والارادة والقوه -
كنت ، وانا طالب بباريس ، مولعا بشد الولع بالاختلاف الى مسارح هذه العاصمه
ـ عاصمه النور - على الرغم من السثار الاسود الذي سلطته عليهما العرب
العالميه الثانية . كنت مشغوفاً بدار الأوبرا والأوبراكوميك ومسارح الأوبيون
والكوميدي فرنسيز والشانزيزي ومسارح البولفار ومسارح العيب
(المسيئرات) ، الى جانب إقبال على دروسي الواسعة المتشعبه علميه
وادبيه وفلسفية .

كانت المسارح عندي من قمم الفنون للفائد الروحية والاجتماعية والمعنوية
الفنيه والأداء البديع واللغة الراقية . فالمسرح فن مركب يمزج الفنون المكانية
بالفنون الزمانية - أي الفنون البصرية بالفنون السمعية .

وعلى الرغم من الفقر الذي عاناه الطلاب في زمن العرب كنت أقتصر في
الراتب الضئيل الذي يصلني لاستفادة من أسعار المسارح الرخيصة المخصصة
للطلاب .

وما تزال المسرحيات التي شهدتها إذ ذاك تفني ذاكرتي الأدبية والفنية .
من أجمل المسرحيات وأروعها وأشدها نفوذاً الى القلب والعقل وأكثرها
دعماً للسلوك الانساني مسرحية « الحياة حلم » للكاتب الشاعر الاسپاني الشهير

بدر و كلدريون دي لا بركا . شهدتها وأعجبت بها وبقيت آثارها تعمال في ذهني وخاطري . ثم علمت أن كلدريون متأثر إلى مدى بعيد بالتراث العربي الإسلامي في شتى جوانبه وآفاقه وتعاليمه وصوره وحكمه ، مثله مثل مواطنه الإسبان الذين جعلتهم تلك الحضارة طليعة الشعوب الأوروبية ثقافة وعلمًا وفنًا . وبقيت هذه الآثار عميقـة في نفوسهم بعد أكثر من قرن حتى نخرت بمحاكم التفتيش وأمراض التعصب . فأنـا أقدم هذا الحديث بمناسبة مرور خمسـمائة عام على خروج العرب من الأندلس سنة ١٤٩٢ .

أتكلـم أول الأمر على الكاتـب الشاعـر ، ثم أقدم خلاصـة المسرحـية ، ثم أعرض حـكاية « النـائم اليـقطـان » في روايـة ألف لـيلة ولـيلة وهي التي أخذـ الشاعـر المسرحيـ الكبيرـ هيكلـها العـيـ والمـلـبسـه لـباـسـ روـحـيـاـ يـنمـ فـضـلاـ عـنـ أـصـالـتـهـ عـلـىـ تـأـثـرـهـ الفـكـريـ والـروحـيـ بـالـثقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ .

وـانـما نـعرـضـ العـكـاـيـةـ بـنـصـهـ عـنـ طـبـعـةـ الأـبـ صـالـمانـيـ فـيـ بـيـرـوتـ (١٨٨٨ـ)ـ وـانـما نـعـرـضـ العـكـاـيـةـ تـيـسـيرـاـ لـلـقـارـئـ لـأـنـهـ لـاـ تـوـجـدـ فـيـ طـبـعـةـ بـولـاقـ عـامـ ١٢٥١ـ هـ وـلـاـ فـيـ طـبـعـةـ القـاهـرـةـ ١٢٩٧ـ هـ .

بـلـدـرـوـ كـلـدـرـيـوـنـ دـيـ لـاـ بـرـكـاـ

PEDRO CALDERON DE LA BARCA

(١٦٠٠ - ١٦٨١)

ولد هذا الكاتـبـ المـعـقـرـيـ الإـسـبـانـيـ بمـدـرـيدـ فـيـ مـسـتـهـلـ الـقـرـنـ السـابـعـ عـشـرـ وـشـفـلـتـ حـيـاتـهـ الأـدـبـيـ نـعـوـ ثـلـاثـةـ أـرـبـاعـ هـنـدـاـ الـقـرـنـ .ـ كـانـ سـيـدـ المـسـرـحـ الإـسـبـانـيـ .ـ وـقـدـ خـتـمـ الـعـصـرـ الـذـهـبـيـ لـأـدـبـ بـلـادـهـ .ـ جـاءـ بـعـدـ شـاعـرـ اـسـبـانـيـ الـكـبـيرـ لـوـبـيـ دـيـ فيـغاـ الـذـيـ جـسـدـ عـبـقـرـيـةـ الـأـمـةـ الـإـسـبـانـيـةـ وـالـذـيـ يـعـدـ أـكـبـرـ الـمـؤـلـفـينـ الـمـسـرـحـيـنـ الـإـسـبـانـ .ـ وـالـذـيـ كـانـ نـسـيـجـ وـحـدـهـ وـ«ـ فـرـيـدـ عـصـرـهـ »ـ كـمـاـ دـعـيـ اـذـ ذـاكـ .ـ انـ اـنـتـاجـ لـوـبـيـ ضـغـمـ جـداـ ،ـ يـشـبـهـ فـيـضـانـ السـيـلـ المـغـزـيرـ المـتـدـافـعـ .ـ وـقـدـ سـارـ عـلـىـ أـثـرـ كـلـدـرـيـوـنـ تـقـرـيـباـ وـعـالـجـ أـكـثـرـ الـمـوـضـوعـاتـ الـتـيـ عـالـجـهـاـ لـوـبـيـ ،ـ وـرـفـعـ الـأـدـبـ الـمـسـرـحـيـ إـلـىـ أـعـلـىـ دـرـجـةـ مـنـ الـاـتـقـانـ .ـ ثـمـ اـنـطـلـفـاـ الـأـدـبـ مـعـ اـنـطـلـائـهـ .ـ أـلـئـ مـائـةـ وـعـشـرـيـنـ مـلـهـاـ

«كوميديا» وثمانين مأساة دينية من التي تدعى بالاسبانية «أوتو» ، الى جانب بعض الأعمال الترفيهية .

تعلم في مدرسة يسوعية ، وأحس في نفسه ميلاً قوياً الى الأدب . دخل الجيش وغدا جندياً في الجيش الإسباني بيايطالية والفلاندر . ثم دخل سلك الرهبانية وهو في سن الواحدة والخمسين . وغدا بعد بضع سنين كاهن البلاط عند الملك فيليب الرابع ثم عند الملك شارل الثاني .

ان لفظة ملهاة التي استعملناها أردنا أن تقابل لفظ Comedia الإسباني وهي هنا تعبر واسع يشمل جميع أنواع المسرحيات سواء كان موضوعها مضحكاً مسليناً أو فاجعاً مأساوياً أو كليهما معاً كما يمكن أن تكون خاتمتها سعيدة أو تسمة . فهي أعم مما يراد بلفظة كوميديا في الأداء الأجنبي عامة . وكلامي لوبي دي فيينا وكلديرون دي لا بركا مرتبطة بهذا النوع الإسباني من المسرحيات .

وأما الأوتو فهي مسرحية دينية أو طقوسية كاثوليكية تتالف من فصل واحد تشيد بالحضور الالهي في سر القربان المقدس المسيحي . كان يعرض تمثيلها بأبهة فائقة يوم عيد القربان على مسارح نصبت في شوارع مدن إسبانيا الكبرى . ولهذا الاتجاه الديني لقب كلديرون بشاعر السماء .

الأفكار البارزة في مسرحية «الحياة حلم» تتحكم في سائر أعمال كلديرون الفنية وأهمها أن الحياة الإنسانية كالعلم الذي يراه النائم في نومه ، وليس بهذه الاعتبار الا وهما لا يثبت الا بالمدى الذي يستفرق السراب وتستوعبه حواسنا في اللحظات المعايرة التي هي مدة العمر . حتى الأفكار ان هي الا أوهام حين تستند في نطاقها الى الحواس فقط . ذلك أن الفكر الأصيل لا يعتمد الا على العقل ، وهو إذ ذاك يقوم على الارادة الحرة ، ويتجاوز الظاهر المتبدل الى الباطن الثابت والغالد . واذا جعلنا العقل أمامنا واتبعناه واتخذناه إمامنا في السلوك والمعنى كنّا بنّاء ذاتنا والمتصرفين بأزمة نفوسنا وتعززنا من كل قيد وعبودية ولا سيما من أوهام التنجيم والتديجيل . كذلك ينحو الشاعر المسرحي الكبير بالشهامة والفروسيّة والوفاء بالعهود والعشمة والشرف الذي نعوط به كل من هو غال علينا كالمرأة بنتاً وأختاً وأمّاً وزوجة ، كما تمس المسرحية

الموازنة بين المعلم والواقع ، وبين الطائع الفلكي والارادة الطيبة ، وبين الاسرار والمعرية ، وواجب الأبوة والبنوة ومطامع النفس الانسانية ، ونداء الدنيا والآخرة .

ولقد شاع في الاسلام أن الحياة الدنيا ليست الا متعة الى حين فلا يفتر العاقل بهذا المตاع الزائل . وجاء في أقوال الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « الناس نيا م اذا ما توا انتبهوا » . ومن الوعاظ والشعراء من جرى هذا المجرى في التشبيه . ونحسب أن أبا الطيب المتنبي كان أعمق من كلديرون حين أشار بخفاء الى الفرق بين حلم النوم وحلم الحياة حين قال :

تمتنع من سهاد او رقاد ولا تأمل كسرى تحت الرجمام
فان لثالث العالين معنى سوى معنى انتباهمك والمنام

وقد نوه الاسلام بقيمة العقل وبيان فضله وشرقه . فقد جاء في الحديث الشريف : « ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم عليه من العقل » . وقال : « اذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك » . وقال لأبي الدرداء : « ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً » . وشاع مثل هذا التنويه على لسان الشعراء . قال ابراهيم بن حسان :

وافضل قسم الله للمرء عقله فليس من الاشياء شيء يقاربه
اذا اكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت اخلاقه وماربه

ومن منا من لا يتمثل بقول رهين المجسدين :

كتب القلن لا امام سوى العق سل مشيراً في صبحه والمساء
فاذا ما اطعته جلب الرح سمه عند المسي و/or المسأء

ومن المشهور اتساع الفلسفة الرشدية في الفرب وتأثيرها المقلاني في الثقافة الغربية عامة ، هذا فضلا عن فرقه المعتزلة التي رفعت العقل الى شبه مرتبة الريوبية .

كذلك يعرف الدارسون كيف يعمد الفقهاء والفلسفه وعلماء الكلام الى تقويض الثقة بالمعسوسات . فالظلل نراء واقفاً وهو متعرك ، والكوكب نراء صغيراً في مقدار الدينار وهو بالأدلة الهندسية قد يكون أكبر من الأرض في المقدار ، وهلم جرا .

وقد ندد الاسلام بالتنجيم . جاء في اقوال الرسول الكريم « أن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته » . قال ذلك في يوم وفاة ابنه ابراهيم ، وظن الناس أن الشمس كشفت لذلك . وذاع بين المسلمين القداء قوله مأثور : « كذب المنجمون ولو صدقوا » ومعنى لو صدقوا أن أقوالهم قد تطابق ما يقع ولكن ليس ذلك بعلمهم وصدقهم وانما هي مصادفة عارضة . وتهكم أحد الشعراء بالمنجم فقال :

تدبر بالنجوم ولست تدري ورب النجم يفعل ما يريد

ومن المتعارف أن الخليقة المعتصم للأرادات تعير عمورية نصح له المنجمون أن يؤخر ذلك إلى فصل الخريف ، إلى زمن نضج التين والعنب على حد تعير مادحه أبي تمام فلم يصح اليهم . ان العقل والعزيمة وحسن التدبير هي الطالع الحقيقي للإنسان وقدره والشاهد على قيمته .

ربما كان هنا البو الروحي لا يكفي وحده لاستشراق الأثر العربي الاسلامي ولا معه الأسلوب البلياني المتأنق الذي طفى على الأدب الاسپاني معندياً مثال الأدب العربي . ولكن حوادث المسرحية الأساسية وحبكتها الفنية كما سنرى تثبت أيماناً اثبات ذلك الأثر .

كلديرون أصله من ريف قشتالة . يجعل هذا الأصل منه رجلاً حديث النعمة . وكان يعرض ألا يظهر كذلك . الا أنه يدافع عن طبقة الفلاحين ازاء الأمراء وطبقة الاقطاع . نجده في مسرحياته يعلم النبلاء النبل والكهنوت صحة الإيمان والشعب التواضع والطاعة لأولي الأمر .

أعجب الكتاب الأنماط ولا سيما غوتي وشيلر وشليغل بما في مسرحياته من مضامين إنسانية . وهو معدود في مصاف شكسبير وكبار المسرحيين العالميين . وقد أفاد الرومنسيون من مسرحياته بالخروج من قواعد المسرح الاتباعي « الكلاسي » الضيقة .

وأدبه كما ألمعنا بذلك آنفاً ذو اسلوب يعتمد البريق والصناعة البلاغية ومراعاة ما بين الألفاظ من تسب وعلاقات وهو اسلوب يدعى بالباروك وكنا في كتابنا « دراسات فنية في الأدب العربي » اقترحتنا ترجمته بأصله العربي وهو البراق .

ان عبقرية كلدريون تتجلی خاصة في مسرحيته « العيادة حلم » وهي تعد في أرفع المسرحيات العالمية حسناً ونبلًا وبلاغة .

وهي توحّي بأنّ السلطان والمبعد والفنى والجمال والسعادة ليست سوى مظاهر خادعة وأوهام باطلة وسراب زائل ، كما تعالج صراع ارادة الانسان مع طالع قدره الفلكي لتنقلب الارادة الطيبة على سوء هذا الطالع ، هذا مع الاحتفاظ بالایمان والقيم الأخلاقية على الرغم مما تتضمنه من نظرية تشاؤمية في حياة الانسان .

لقد ترجمت هذه المسرحية الى اكثُر لغات العالم ونقلها الى العربية المعجمي اللامع نجاة قصاب حسن . وما زالت تمثل في العين بعد العين حتى الان في مختلف البلدان . وها نحن اولاء نلخص هذه المسرحية الممتازة :

العيادة حلم

LA VIDA ES SUEÑO

موضوع هذه المسرحية أن ملكاً صالحًا اسمه باسيليو من ملوك بولندا كان مولعاً بعلوم الرياضيات والفلك وشديد الثقة بأحكام التنجيم . فلاح له في تنجيمه من طالعه الفلكي أن ولدأ له يخلفه على العرش وهو رجل سوءٍ يكون على يده دمار المملكة . ولتحami ذلك أمر بزوج ولده هذا سخمندو خفية بين جدران حصن في شعاف جبل منعزل وأعلن موته . وكانت أمه قد ماتت في مغاضتها به وكانت النجوم قد ألمت بذلك للأب في تنجيمه ، فزادت ثقة الأب بما تحكمه النجوم .

وكان للملك شقيقتان عاشتا في روسية . أما أولاهما فولدت أميراً اسمه أستلفو وأما الأخرى فولدت حسناً اسمها إسترييليا . فاستقدم الملك الأمير والفتاة عازماً أن يورثهما عرشه .

في مستهل المسرحية نرى سخمندو شقيقاً في عزلة قاسية مكبلاً بالأغلال مرتدية أسمال جلود نزاعاً نحو التخلص والحرية . وفي تلك العزلة تمر به فتاة حسناً وهي روسورا قد تركها عشيقها أستلفواذ مال الى ابنة أخت الملك إسترييليا طمعاً في العرش . فجاءت تلك الفتاة تبحث عن حبيبها الغائب لتنتقم منه . بيد أن الملك يتربّد فينة في تصديق طالعه الفلكي ويخشى وهو الرجل الصالح

أن ينسب إلى البفي والطفيان حين يحرم ولده ميراث العرش . فهو يرجو أن صدق الطالع أن يكذب ابنه هذا الطالع ويستبدل مصيرًا فاضلاً . لذلك يريد أن يجرب فيأمر أن يسكن الابن بنجأ وينقل إلى القصر الملكي وينظر إلى تصرفه في القصر . ويصحو المنوم من نومه فيجد نفسه بين العظويات وموظفي القصر . وها هؤلا يتلبس عليه الأمر ولا يكاد يصدق حواسه . ثم بالتدريج يرتدى به شعوره ويعي ذاته ويرى أنه يعيش في اليقظة لا في النام . ويغبره حارسه وهو نبيل في القصر ، مكلف حراسته في السجن أنه ابن الملك ووريث العرش . وكان قد طلب الملك إلى من في القصر الانصياع لأوامر الفتى الملكية . ولكن الملك المديد المنصب يشعر بالغزى فتحفظه نوازع جاعة نحو الطفيان والاجرام والاساءة حتى أنه يرهب أباءه . ثم يهدأ عنفه حين يرى روسورا الحسناء التي زارتة في سجنه . وكان جمالها يستدعى هذا الهدوء .

أما الملك فيزداد عندئذ بما يرى ثقة وتصديقاً بما قرأ وطالع في النجوم . لذلك يأمر فيسكن ابنه شرابة فيه بنج ويمرده إلى معبسه وعزلته . ويستيقظ الأمير فيجد نفسه مصنفاً مكبلاً ثانية بالحديد ويحسب أن ما كان به حلم غريب ولكنه مزعج . كان متيقناً مما رأه بعينيه وأحسه بيديه وما سمعه باذنيه ولكن كل ذلك قد زال وتلاشى . فكيف يستطيع أن يجزم أنه الآن صاح يقطان وأن ذلك لم يكن إلا حلماً ؟ أم هو لا يزال ينط في النوم ويحسب نفسه في اليقظة ؟ ولم لا يعد حياته وواقعه الذي انتهى إليه حلماً أيضاً ؟ إن الحياة والعلم شيء واحد . هنا الشيء نفسه في هذا العالم الموهوم . ان حلمه يكونه ملكاً لم يبق منه الا ذكرى . لم يبق منه الا شعوره بجمال روسورا . الحياة كلها تندو بهذا الاعتبار روى محسوسة وأشباهًا ملموسة . وإذا كانت الحياة نفسها التي نعيها ليست الا أشباهًا ورؤى وأوهاماً باطلة فهي نوع من الأحلام سوف نصحو منه ونستيقظ من نومنا الدنبوى فلا يبقى الا الذكرى الطيبة ، الا العمل الصالح الذي عملناه والغير الذي أنجزناه . حتى في العلم لا يمكن أن يضيع المعرف . ويتأكد هذا الاعتقاد التبليغ في فكر سخسمندو فلا يتألف بعد ذلك من شيء ولا يفصح حين يسمع أن أباء يسمى ابن اخته أستلفو وابنة اخته الثانية إسترييليا وريشي غرش .

ولكن الشعب حين يعلم بوجود ابن الملك يثور زغبة منه عن وريثي العرش

الأجنبين . انه ينادي بسخسمندو ملكا شرعيا على بولندة . ولما بلغ النداء السجين تردد في قبوله خشية ان يكون وهمأ وضلالا . ولكنه يتثبت من النداء فيرأس الثائرين ويصادف بينهم روسورا التي تطلب الى الأمير ان يثار لها من خطيبها السابق الذي خانها . لقد تذكر حديثها معه آنفا ، وتذكر ما أوردته من شؤون في حديثها اذ ذاك . فايقنت عندها ان ما رأه سابقا لم يكن حلمأ . ولكن الوهم والالتباس ما زالا يرثيان على بصيرته ويفشيان بصره . هل المجد الذي يصل اليه المرء والسلطان الذي يتبوأه في حياته الا سراب زائل وخداع حائل . واذا كان الأمر كذلك فليس من المتع الممتنع المرء متى تيسرا له في حينهما ولا يأس على زوالهما وانقضاهما مادامت الدنيا متاعا لا يبقى وحلما سرعان ما ينقضى . روسورا معي وهي جميلة . وأنا أشتاق جمالها . ولكن الحقيقة أولى وأهم وهي ابتهاج النفس بنور العقل ومكارم الأخلاق .

ويستطيع الشاب المتحرر مع ثواره أن يتغلب على جيش أبيه الملك . وبعد الانتصار يجشو الملك أمام ابنه ويطلب منه المغفرة . وهكذا يتحقق طالع النجوم . ولكن هذا التحقق تم بكون الملك قد عاش أسير . هذا الطالع مذعن له دون أن يتعلّى بعاطفة الأبوة وواجبها ويقوم بهذا الواجب . أما الآباء الظافر فقد تخلق بخلق جديد فهو يمسك بيده والده ويطلب اليه أن ينهض ويخاطبه : ان طالع النجوم الذي لم تستطع ان تتغلب عليه هو الذي أدى بك الى الخيبة . هيا اثار لنفسك مني . فانا أهب لك حياتي ، وأستسلم لفضبك وأذعن لمشيتك .

اما الأب فقد اهتز قلبه بهذه الموقف النبيل فعائق ابنه بعنان وأعلنه ملكا شرعيا . ولما تمكن سخسمندو من الملك وأدرك ما أحرزه من نصر شعر بضرورة نصر آخر ، بضرورة نصره على نفسه فأقام ميزان العدل وسار سيرة حميدة وأمر أسلفو بالرجوع الى روسورا وفاءً بعهد لها وانقاداً لشرها وهي ليست أقل نبلأ منه إذ ظهر عندها أنها ابنة كلوتيلدو - نبيل القصر ووزير الملك . ويتجه الى ابنته استريليا ليطلب يدها للزواج ويأمر فيحبس رئيس العصابة الثائرين . ويعجب الملك الوالد لهذا التصرف العكيم . ولكن الابن يجيب أباه بأن الحكمة تعلمها من حلم ويقطة مريرين . بل هولا يزال يخشى أن يفيق فيجد نفسه في سجنه الضيق ، يخشى حتى الساعة أن يكون في حلم . انه تعلم أن السعادة زائدة كالعلم وحسن أن يستمتع المرء بها ولو كانت وهمية

حكاية النائم اليقظان

قالت : بلغني يا ملك الزمان أنه كان رجل تاجر في خلافة هارون الرشيد .
وكان له ولد اسمه أبو الفرج الخليع . فمات والده وخلف له مالاً عظيماً .
فقسم ماله شطرين فادخر النصف وتصرف في النصف الآخر . وصار يعاشر
الأغنياء وأولاد التجار ويقبل على الأكل والشرب حتى فني ماله وقد جمع
ما معه . فعندها توجه إلى أصحابه وعشائمه وندمائه وعرض لهم أمره
وأظهر لهم قلة ما بيده من المال . فلم يلتفت إليه أحد منهم . فعاد إلى أمه
وقد انكسر خاطره وحكي لها ما جرى له وما قابلها به أصحابه من الإساءة وقلة
المعروف . فقالت له أمه : يا أبو الفرج أولاد هذا الزمان كثراً . ان كان ممك
شيء قربوك . وإن لم يكن معك شيء أبعدوك . فترجمت له . وجعل يتأنى
وأجرت دموعه وأشتد يقول :

ان قل، مالي فلا خل، يصاحبني او زاد مالي فكل الناس خلاني
كم من صديق لأجل المال صاحبني وآخر عند فقد المال خلاني(١)

(الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة) . ثم انه وثب إلى المكان الذي ادْخَر
فيه شطر المال الباقى وعاش فيه عيشاً طيباً وحلف أنه لا يعاشر أحداً بعد ذلك
من الذين يعرفهم ولا يعاشر إلا الأجنبي ولا يعاشره إلا ليلة واحدة فإذا أصبح
فلا يعود يعرفه بعدها . وصار كل ليلة يجلس على الجسر وينظر كل من يجوز
به . فإذا رأه غريباً توجه هو وواياده إلى منزله فيناديه تلك الليلة إلى الصباح ثم
يصرفة ولا يرجع يسلم عليه ولا يقربه ولا يدعوه . فصار يفعل هذا مدة سنة
كاملة . (قال) فبينما هو يوماً جالس على الجسر كعادته ينتظر من يقدم عليه
حتى يأخذه وينام عنده وإذا بال الخليفة ومسرور سيف نقمته متخفياً كان كعادتهم .
فنظرهما أبو الفرج . وقام واقفاً وهو لا يعرفهما وقال لهما : هل لكما أن تذهبا
معي إلى موضعي فتاكلا ما حضر وتشربا ما تيسر وهو خبز مشبّق ولحم معرّق
ونبيذ مروق . فامتنع الخليفة من ذلك . فأقسم عليه وقال له : باهه عليك يا سيدي
امش معي فأنت ضيفي الليلة ولا تخيب فيك أملني . وما زال يلح عليه حتى
أجابه إلى سؤله . ففرح أبو الفرج ومشى قدماه وما فتىء يعادته حتى أتى

وهو معه الى قاعته فدخل وأتمد غلامه على الباب . فلما جلس الخليفة أتاها أبو الفرج بشيء من الأكل فأكل وأبو الفرج يأكل معه حتى يطيب له الأكل . ثم أنه رفع المسفرة وغسلاً أيديهما وجلس الخليفة . فقدم أبو الفرج آنية الشراب وجلس الى جانبه وصار يمسلاً لضيوفه ويسقيه ويحادثه . فأعجب الخليفة كرمه وحسن فعله فقال له : يا فتى من أنت عرفني بنفسك حتى أكافئك على احسانك . فتبسم أبو الفرج وقال له : يا سيدى هيهات أن يرجع ما فات . ولن أحضر معك وقتاً غير هذا من الأوقات . فقال الخليفة : ولم ذلك ولما لا تعلمني بحالك . فقال أبو الفرج : أعلم يا سيدى أن حكايتي عجيبة وأن هذا الأمر له سبب . فقال الخليفة : وما هو السبب . فقال له أبو الفرج : للسبب ذنب . فضحك الخليفة من قوله .

(الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة) . فقال أبو الفرج : اني أبين لك ذلك بحكاية المعروش والمطباخ . اعلم يا سيدى أن بعض المعرفافيش أصبح يوماً من بعض الأيام لا يملك شيئاً وضاقت عليه الدنيا وعييل صبره ونام . فلم ينزل نائماً حتى أحرقته الشمس وطلعت الرغوة على فمه . فقام وهو مقلس ليس معه ولا درهم واحد . فاجتاز على دكان طباخ وقد نصب ذلك الطباخ فيها قدوراً وقد راقت أدهانها وفاحت أبازيرها والمطباخ واقف وراء تلك القدور وقد مسح ميزانه وغسل زباديه وكنس الدكان ورشها . فجاء اليه العروفش وسلم عليه ودخل الدكان وقال للطباخ : زن لي بنصف درهم لحمأ وربع درهم طعاماً وربع درهم خبزاً . فوزن له الطباخ . ودخل العروفش فحطط^{*} الطباخ قدامه الطعام فأكل حتى أتى على الجميع ولحس التبذيدية وبقي حائزأ لا يدرى ما يفعل مع الطباخ في ثمن ما أكله . وصار يدور بعينيه على كل شيء في الدكان وهو يتلفت . وإذا هو بمجاور مكبوب على فمه فرفرمه عن الأرض فوجد تحته ذنب فرس طريضاً ودمه ينتشر منه . فعلم أن الطباخ يخلط اللحم بلحم الخيل . فلما اطئع على هذه المزلة فرح بها وغسل يديه وطاطاً برأسه ثم خرج . فلما رأه الطباخ أنه ولئى من غير أن يدفع له ثمن طعامه صالح : قفت يا صدام يا هجام . فوقف العروفش والتفت اليه وقال له : أنت تصبيع علىي وتنادي بهذا الكلام يا شيطان . فاغتاظ الطباخ ونزل من الدكان وقال : ما هو بقولك يا أكال اللحم

والطعام . والخبز والادام . كيف تخرج بسلام . كان الشيء ما كان . ولا تدفع عليه من أثمان . فقال له العرفوش : تكذب يا بن اللثام . فصاح الطباخ وتعلق بأطواق العرفوش وقال : يا مسلمون هذا استفتاحي في هذا النهار . أم كيف يأكل هذا طعامي ولا يعطيوني شيئاً . فاجتمعت الناس عليهم ولاموا العرفوش وقالوا له : أعطه ثمن ما أكلته . فقال أعطيته درهماً من قبل ما دخل الدكان . فقال الطباخ : ان كنت أعطيتني بارة جمل الله كل شيء أبيعه في هذا النهار على حراماً . والله انه ما أعطاني شيئاً بل انه أكل طعامي وخرج وراح ولم يعطني شيئاً . فقال العرفوش : بل أعطيتك درهماً . وشتم الطباخ . فرد عليه الطباخ . فلكم العرفوش . فتتساڭا وتقابضاً وتخاصماً . فلما رأه الناس أقبلوا عليهما وقالوا لهما : ما هذا المضرب الذي أنتما فيه وما سببه . فقال العرفوش : أي والله له سبب والسبب ذنب فقال الطباخ : أي والله أعطاني درهماً . ارجع وخذ بقية درهمك . وفهم الطباخ السبب عند ذكر الذنب . وأنا يا أخي حكاياتي لها سبب كما قلت لك . فضحك الخليفة عليه وقال : والله ما هذه الا حكاية لطيفة . فاحكِ أنت حكاياتك واذكر السبب . فقال : حباً وكرامةً .

(الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة) . اعلم يا ضيفي أن اسمي أبو الفرج الخارج^(٢) . وقد مات والدي وخلف لي مالاً جزيلاً فقسمته شطرين وجزأته نصفين فادخرت النصف الواحد وأقبلت بالنصف الثاني على الأصحاب . ومعاشرة الديماء والأحباب وأولاد التجار . وما خللت أحداً إلا نادمه ونادمني وأنفقت جميع مالي على الأصحاب والبشرة . وما تبقى معى من ذلك المال شيء . فتوجهت إلى الأصحاب والنديماء الذين أفييت مالي عليهم لعلهم يردون لحالى . وذهبت إلى جميعهم فما وجدت في أحد منهم نفعاً ولا كسر في وجهي رغيفاً . فبككت على نفسي وأقبلت على أمي وشكوت لها حالى . فقالت لي : العشراء هكذا ان كان معك شيء قدموك وأكلوك . وإن لم يكن معك شيء أبعدوك وطردوك . فمنذ ذلك أخرجت نصف مالي وأآليت على نفسي انى ما بقيت أنا دم أحداً غير ليلة واحدة ثم انقطع عنه فلا أعود أسلم عليه ولا ألتقط اليه . وهذا ما أردت بقولي لك : ميهات أن يرجع ما فات لأنى ما بقيت أجمع بكَ غير هذه الليلة . فلما سمع الخليفة ذلك ضحك ضحكاً شديداً وقال : والله يا أخي انك معذور في هذا الأمر .

أما أنا فان شاء الله لا أنقطع عنك . فقال له أبو الفرج : أما قلت لك يا نديمي
هيئات أن يرجع ما فات فاني ما عدت أطيل صحبة الاخوان ولا أنسادم أحداً إلا
ليلة واحدة .

(الليلة السادسة والخمسون بعد المائة) . ثم وضعت المائدة للخليفة وقدموا
عليها صحن إوز معشى وكفنة كماجة وجلس أبو الفرج وقطع ولقم الخليفة
وما زالا يأكلان حتى اكتفيا . ثم قدم الطست والابريق والاشنان فغسلوا
أيديهما . وبعد ذلك أورده ثلث شمعات وثلاثة قناديل وفرشـت سفرة المدام .
وأحضر نبيذ مصفى مروقـ معتق مطيب رائحته كالمسك الأذفر وملا الكأس
الأول وقال : يا نديمي قد رفع الاحتشام من بيننا بدمستورك عبـك عندك لا بلـتـ
بغـدـك . وشربه وملا الكأس الثاني وناوله لضيفـه . فأعجب الخليفة فعالـه وحسنـ
أقوـالـهـ وقال في نفسه : والله لا يـكـافـئـهـ علىـ ذـلـكـ . ثم انـ أـباـ الفـرـجـ مـلـاـ الـقـدـحـ
ونـأـولـهـ لـلـخـلـيـفـةـ وـقـلـهـ وـأـشـأـيـقـوـلـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ :

لو علمـنا قـلـومـكـ لـبـذـلـنـا مـهـجـةـ القـلـبـ اوـ سـوـادـ العـيـونـ(؟)
وـفـرـشـنـا صـدـورـنـا لـلـقـاـكـمـ وـجـعـلـنـا مـسـيرـ فـوـقـ الـجـفـونـ

فلما سمع الخليفة شعره قبل الكأس من يده وشربه وناوله اياه . فأخذـهـ أبو
الفرجـ ومـلـاـ وـشـرـبـ ثـمـ مـلـاـ وـنـأـولـهـ الـخـلـيـفـةـ وـأـنـشـدـ يـقـوـلـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ :

حـضـورـكـ لـنـاـ شـرـفـ وـنـحـنـ بـذـاكـ نـعـرـفـ
فـانـ فـبـتـمـ فـلـاـ عـوـضـ لـنـاـ عـنـكـمـ وـلـاـ خـلـفـ

ولم يزالـ يـشـربـانـ وـيـتـنـادـمـانـ إـلـىـ نـصـفـ الـلـلـيـلـ .ـ فـقـالـ لـهـ الـخـلـيـفـةـ :ـ يـاـ أـخـيـ
هلـ فـيـ خـاطـرـكـ شـهـوـةـ تـرـيدـ أـنـ تـقـضـيـهاـ أـوـ حـسـرـةـ تـرـيدـ أـنـ تـمـضـيـهاـ .ـ فـقـالـ :ـ وـاـللـهـ
ماـ فـيـ قـلـبـيـ حـسـرـةـ إـلـاـ أـتـوـيـ الـأـمـرـ وـالـنـهـيـ حـتـىـ أـعـمـلـ مـاـ فـيـ خـاطـرـيـ .ـ فـقـالـ
لـهـ الـخـلـيـفـةـ :ـ يـاـ اللـهـ يـاـ اللـهـ يـاـ أـخـيـ قـلـ لـيـ مـاـ فـيـ خـاطـرـكـ .ـ قـالـ :ـ كـنـتـ أـشـتـهـيـ مـنـ اللـهـ
أـنـ أـنـتـقـمـ مـنـ جـيـرـانـيـ .ـ فـانـ يـجـوـارـيـ عـلـاـ فـيـ أـرـبـعـةـ شـيـوخـ .ـ فـاـذـاـ جـاءـنـيـ ضـيـفـ
يـتـاـقـلـوـنـ عـلـيـ وـيـغـلـظـوـنـ الـكـلـامـ وـيـهـدـدـوـنـ بـأـنـهـمـ يـشـكـوـنـيـ لـأـمـرـ الـمـؤـمـنـينـ وـقـدـ
جـارـوـاـ عـلـيـ كـثـيرـاـ فـانـيـ أـتـمـنـيـ عـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ حـكـمـ يـوـمـ وـاحـدـ حـتـىـ أـضـرـبـ كـلـ
وـاحـدـ مـنـهـ أـرـبـعـمـائـةـ سـوـطـ وـذـلـكـ أـمـاـمـ مـعـلـمـ وـأـبـعـثـ مـنـادـيـاـ فـيـ مـدـيـنـةـ بـغـدـادـ

ينادي عليهم : هذا جزاء وأقل جزاء لمن يبغض الناس ويكره عليهم مسراهم . وهذا الذي أريده لا غير . فقال له الخليفة : يعطيك الله ما تطلب . هنا بنا شرب ودعنا نقوم قرب الصباح وفي الليلة القادمة أتعشى عندك . فقال أبو الفرج : هيئات . ثم ان الخليفة ملأ قدحه وجعل فيه قطعة بنج أقريطيشي^(٥) وناوله لأبي الفرج وقال له : بعياتي عليك يا أخي اشرب هذا القدر من يدي . فقال أبو الفرج : اي وحياتك أشربه من يدك . فلما أخذه وشربه وقع على الأرض مثل التليل . فخرج الخليفة وقال لفلامه مسرور : ادخل الى هذا الصبي صاحب المنزل واحمله . واذا خرجت أغلق الباب واتنتي به الى المقصورة . ثم مضى ودخل مسرور وحمل أبو الفرج وأغلق الباب وتبعه مولاه . ولم يزل ما شيئاً حتى أتى به الى المقصورة وقد تهور الليل وصاحت الدبيوك ودخل القصر وأبو الفرج على أكتافه . فوضعه بين يدي أمير المؤمنين وهو يضعه عليه . ثم أرسل فدعا جعفر البرمكي . فلما حضر بين يديه قال له : اعرف هذا الشاب واذا رأيته غداً جالساً في منصبي وعلى سرير خلافتي متوجهاً بعلتي فقف في خدمته وأوص الأمراء والكتباء وأهل دولتي وخواص مملكتي أن يقفوا في خدمته ويمثلوا ما يأمرهم به . أما أنت فاذا أوصاك بشيء فافعله واسمع منه ولا تخالفه ذلك اليوم الطالع . فامثل جعفر الأمر بالسمع والطاعة وانصرف . ودخل الخليفة الى جواري القصر فأقبل اليه . فقال لهن : هذا النائم اذا استيقظ غداً من منامه فقبلنَ الأرض بين يديه وادمنه ودرنَ حواليه وألسنته حنة الملك وادمنه خدمة الخلافة ولا تنكرنَ من حاله شيئاً وقلنَ له : أنت الخليفة . ثم أوصاهنَ بما يقلنَ له وما يفعلنَ معه . ودخل في مكان محجوب عنه وأرخي عليه ستراً ونام .

هذا ما كان من أمر الخليفة . وأماماً كان من أمر أبي الفرج فانه ما زال يغطّ في نومه الى أن طلع الصباح وقرب اشراق الشمس . فأتت اليه خادمة فقالت له : يا مولانا صلاة الصبح . فلما سمع كلام الخادمة ضحك وفتح عينيه ودار بعينيه في القصر فنظر الى قصر قد دهنت حيطانه بالذهب والللازورد وسقفه منقط بذهب أحمر ودائره بيوت مسدول على أبوابها ستائر حرير مزركش بالذهب وأوانى ذهب وصيني وبلور وفرش وبسط ممدودة . وجوار وخدم . ومماليك وحشم . وغلمان ووصائف ولدان . فتغير أبو الفرج في عقله وقال والله هل

أنا في اليقظة أو أنا في المنام . أو هذه الجنة ودار السلام . فغمض عينيه ونام . فقال الخادم : يا سيدي ما هذه عادتك يا أمير المؤمنين . ثم ان بقية جواري القصر جميعاً أتینَ اليه وأقدنه على حيله فوجد روحه على فراش علوه من الأرض قدر ذراع . وكله محسوٌ بالقر . فأجلسته عليه وأسنده بمخدّة . فنظر إلى القصر والى كبره ورأى الخدم والجواري في خدمته وفوق رأسه . فضحك على نفسه وقال : والله ما كأني في اليقظة وما أنا نائم . ثم انه قام وقدم والجواري يضحكَ عليه ويستترن منه . فتغير في عقله وغضَّ على اصبعه فتألم فصرخ وتاؤه . والخلينة ينظر اليها من حيث لا يراه ويضحك . فالتفت أبو الفرج الى جارية وصاح اليها فاتته . فقال لها : بستر الله يا جارية أنا أمير المؤمنين ؟ فقالت : أي نعم وستر الله أنت في هذا الوقت أمير المؤمنين . فقال : تكذبين : ثم نظر الى الخادم الكبير فناداه . فاتاه وقبل الأرض بين يديه وقال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : ومن هو أمير المؤمنين ؟ فقال : أنت . قال : كذبت .

(الليلة السابعة والخمسون بعد المائة) . ثم أقبل على طواشي آخر فقال له : يا كبيري بستر الله أنا أمير المؤمنين ؟ فقال : أي والله يا سيدي أنت في هذا الوقت أمير المؤمنين وسلطان العالمين . فضحك أبو الفرج على نفسه وخُولط في عقله وتحير مما رأى وقال : البارحة كنت أنا الفرج فكيف صرت اليوم أمير المؤمنين . فتقدّم اليه الخادم الكبير وقال : يا أمير المؤمنين بسم الله حواليك أنت أمير المؤمنين وسلطان السلاطين . ثم دار من حوله الجواري والخدم وهو يتعجب مما جرى له فقدم له الملوك شمشك^(٦) مطبوعاً بالابريسم والعرين الأخضر مرصعاً بالذهب الأحمر . فأخذه أبو الفرج ووضعه في كمه . فصاح الملوك وقال : يا الله يا الله يا سيدي هذا شمشك مدارس لرجليك حتى تدخل بيت الخلاء . فخجل أبو الفرج ورماء من كمه ولبسه في رجله . والخلينة قد مات من الضعف عليه . ومشي الملوك قدامه الى بيت الراحة فدخل أبو الفرج وقضى حاجته وخرج الى القصر . فقدمت له الجواري طستاً من الذهب وابريقاً من الفضة وصبين على يديه الماء وتوضأ . وبسطن له سجادة ليصلّي فصار يركع ويسجد عشرين ركعة وهو يحسب ويقول في نفسه : والله ما أنا الا أمير المؤمنين من حق والاً فما هذا منام والمنام ما يجري فيه هنا المجرى جميعه . ثم انه حق

وجزم في نفسه أنه أمير المؤمنين فسلم وفرغ من صلاته . فدارت به الماليك والجواري بالبقيع العريير والقمash . ثم ألبسوه خلعة الخليفة وأعطوه في يده النمشة^(٢) وخرج العادم الكبير قدامه والماليك الصفار وراءه . ثم رفعوا الستارة وجلس في القصر ومجلس الحكم وسرير الخليفة ورأى الستاير والأربعين بابا والعلجي والرقاشي وعبدان وجديما وأبا اسحق النديم . ونظر الى سيف مدببة . ولبيوث عدقة . وصمام^(٤) مذهبة . وقسي موتة . وعجم وعرب . وترك وديلم . وأمراء وزراء . وأجنادوكبراء . وأرباب الدولة . وأصحاب الصلة . وقد ظهرت له الدولة العباسية . والهيبة النبوية . فجلس على كرسي الخليفة ووضع النمشة في حجره . وأقبل الجميع يقلبون الأرض بين يديه يدعون له بطول العمر والبقاء . وتقدم جعفر البرمكي وقبل الأرض وقال : جعل الله الجنة ملواك والنار مثوى لأعداك . ولا عاداتك جار . ولا خدمتك لك أنوار نار . يا خليفة الأمصار . وحاكم الأقطار . فرعن عليه أبو الفرج وقال له : يا كتببني بدمك . انزل الساعة أنت ووالتي المدينة الى المعلم الفلاني الى الدرب الفلاني وادفع مائة دينار الى والدة أبي الفرج الخليع وأقرنها مني السلام وأمسك الأربعه المشايخ واضرب كل واحد منهم أربعمائة سوط وأركبهم على الدواب ودرّ بهم المدينة جميعها وأبعدهم الى محله غير هذه المدينة وأمر المنادي ينادي عليهم : هذا جزاء وأقل جزاء من يكثر كلامه ويوشش جيرانه وينفص عليهم لذتهم وأكلهم وشربهم .

(الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة) . فتقبّل جعفر الأرض بين يديه وأمثال الأمر بالطاعة . ثم انه نزل من قدام أبي الفرج الخليع الى المدينة و فعل ما أمره به . ثم ان أبا الفرج أقام في الخليفة يأخذ ويعطي ويأمر وينهي وينفذ كلامه الى آخر النهار . ثم أذن بالانصراف فانصرفت الأمراء وأرباب الدولة لاشغالهم وأنته الخدم ودعوا له بالبقاء وطول الدوام ومشوا في خدمته ورفعوا المستر ودخل الى القصر فوجد شموعاً تتقدّم وقناديل تشتعل ومحنيات تضرّب . ف Guar في عقله وقال : وأنا والله أمير المؤمنين حقاً . فلما أقبل قامت الجواري اليه وأطلعنـه على الايوان وقدمنـ اليه مائدة عظيمة من أفسـر الطعام . فـأـكلـ منهاـ جـهـدـهـ وـمـاطـلـعـهـ عـلـىـ الاـيـوانـ وـقـدـمـنـ إـلـيـهـ مـائـدـةـ عـظـيمـةـ مـنـ أـفـسـرـ الطـعـامـ . فـقـالـتـ : مـاـ اـسـمـكـ . فـقـالـتـ : اـسـمـيـ

مسكة : وقال لأخرى : ما اسمك . فقلت : طرفة . وقال لأخرى : ما اسمك .
 قالت : اسمي تحفة . وصار يسأل عن أسامي الجواري واحدة بعد واحدة .
 وقام من ذلك المقام وانتقل الى مجلس الشراب فوجده كامل النظم ووجد عشرة
 أطباق كبيرة وعليها من جميع الفواكه والغيرات ومن جميع أصناف العلاوات .
 فجلس وأكل منها على حسب الكفاية . ثم وجد ثلاثة أجواب من الجواري
 المغنيات . ثم انه جلس وجلست الجواري ووقفت الوصيفات والممالئك والخدم
 والفلمان والولدان . ثم غنت الجواري وصوتن بسائر الألحان . فاجابهن ذلك
 المكان بطيب الألحان . وزعقت المواصليل^(٤) وخرجت بتلك العيدان . فتخيل في
 ذلك الوقت أبو الفرج أنه في البستان وطاب قلبه وانشرح . ولعب وزاد به
 الفرح . وخلع على تلك الجواري ووهب . هذا كله وال الخليفة يتفرج عليه
 ويضحك . فلما انتصف الليل أمر الخليفة جارية من تلك الجواري أن ترمي
 قطعة بنج في القدح وتسقيه لأبي الفرج . ففعلت الجارية ما أمرها الخليفة
 وناولت القدح لأبي الفرج . فلما شربه سبق رأسه رجلية . فخرج الخليفة من
 خلف ستارة وهو يضحك . ثم صاح على النلام الذي جاء به وقال له : ارجع
 هذا مكانه . فحمله الغلام الى قاعته ووضعه فيها وخرج من عنده وقفل عليه
 باب القاعة ورجع الغلام الى الخليفة . ونام الخليفة الى الصباح .

(الليلة التاسعة والخمسون بعد المائة) . أما أبو الفرج فانه ما زال نائماً
 الى أن أصبح الله تعالى بالصبح . فاستفاق وهو يصبح : يا تفاحة يا راحة القلوب .
 يا مسكة يا تحفة . ولم يزل يصبح على الجواري حتى سمعته أمه يصبح على
 الجواري فقامت وأتت اليه وقالت له : اسم الله حواليك قم يا ولدي يا أبي الفرج
 أنت تحلم . ففتح عينيه فوجد عند رأسه عجوزاً فنهض وقال لها : من تكونين ؟
 فقالت له : أنا أمك . فقال لها : تكذبين يا عجوز النحس أنا أمير المؤمنين .
 فصرخت أمه وقالت له : سلاماً عقلك يا ولدي اسكن لثلا تروح أرواحنا وينهب
 المالك ان سمع أحد هذا الكلام وأوصله الى الخليفة . فقام من نومه ورأى أمه
 وهو في قاعته . فنولط . في عقله وقال : والله يا أمي أنا في منامي رأيت نفسي في
 قصر والجواري والممالئك حولي وفي خدمتي وجلست على سرير الخليفة . والله
 يا أمي هذا الذي رأيته . وحقاً ما كان في المنام . ثم تذكر في نفسه ساعة من

الزمان وقال : صحيح أنا أبو الفرج الغلبي والذى رأيته إنما هو في منام وانى صرت خليفة وحكمت وأمرت ونهيت . ثم انه افتكر وقال : مؤكداً ما هو منام وما أنا إلاَّ الخليفة وقد أعطيت وخلمت . فقالت له أمه : يا ولدي إياك أن تفسد عقلك فيأخذوك الى المارستان وتبقى شهرة . فان الذي رأيته إنما هو من الشيطان وهو أضفاث أحلام . وان الشيطان يلعب بعقل الانسان أحياش بسائر الحالات .

ثم ان أمه قالت له : يا ولدي هل كان عندك ليلة أمس أحد . فافتكر أبو الفرج وقال : نعم كان عندي واحد نائم وأخبرته بعالٍ وحكيت له قصتي . ولا شك أنه كان من الشياطين . وأنا يا أمي كما صدقتك أنا أبو الفرج الغلبي . فقالت له أمه : يا ولدي أبشر بكل خير فان أمس جاء الوزير جعفر البرمكي وضرب المشايخ الذين في جوارنا كل واحد خمسمائة سوط وقد أخرجوهم من المدينة ونادوا عليهم : هذا جزاء وأقل جزاء من يريد أذية جيرانه وينكد عليهم معيشتهم . وأرسل إلى مائة دينار وأرسل يسلم على . فصاح أبو الفرج الغلبي وقال لها : يا عجوز النحس تكابرینني وتقولين لي إني لست أمير المؤمنين . أنا الذي أمرت جعفر البرمكي بضرب المشايخ وبعقابهم وأن ينادي عليهم . وأنا الذي أرسلت اليك المائة ديناراً وأرسلت أسلم عليك . وأنا أمير المؤمنين من حق يا عجوز النحس . وأنت كذابة قد خرقتني . ثم قام الى أمه وضربها بعصا من اللوز حتى صرخت : يا مسلمين . وهو يثقل عليها الضرب حتى سمعت الناس صراخها فاتوها وأبو الفرج يضربها ويقول لها : يا عجوز النحس ما أنا أمير المؤمنين أنت سحرتني .

(الليلة الستون بعد المائة) . فلما سمع الناس كلامه قالوا : هذا مجانون ولم يشكوا في جنونه . ثم انهم دخلوا عليه ومسكوه وكتفوه وأخذوه الى المارستان . فقال العرفشي^(١٠) : ما يكون هذا الشاب ؟ فقالوا له : هذا مجانون . فقال أبو الفرج : والله يكذبون عليَّ وما أنا مجانون إنما أنا أمير المؤمنين . فقال العرفشي : ما كذب إلاَّ أنت يا أنسُ المجانين . ثم عراه من ثيابه وعمل في رقبته زنجيراً ثقيلاً وربطه في شباك عالٍ وصار يضربه الضرب المبرَّح في النهار وفي الليل . ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة أيام . فأتت اليه أمه وقالت له : يا ولدي يا أبا

الفرج ارجع الى عقلك : هذا فعل الشيطان . فقال أبو الفرج لأمه . صدق يا أمي وشهادتي على إني تائب عن هذا الكلام ورجعت عن جنوني فخلصبني فاني قد أشرفت على الهالك . فخرجت أمه الى المرضي وخليصته وأتى الى قاعته .

(الليلة العادية والستون بعد المائة) . فلما كان تمام الشهر اشتاق أبو الحسن الغليع الى شرب المدام وعاد الى عادته في فرش قاعته وهيا الطعام وأحضر المدام وخرج الى الم besar وجلس ينتظر أحداً يناديه على جاري عادته . واذا بالخليفة جاز عليه . فلم يسلم عليه أبو الفرج وقال : لا أهلاً ولا سهلاً بالواحدين . ما أنت الا شياطين . فاقبل عليه الخليفة وقال له : يا أخي أما قلت لك اني أعود اليك !؟ فقال أبو الفرج : ليس لي بك حاجة فان المثل يقول : بعدي عن حبي أجمل لي وأحسن . عين لا تنتظر ، قلب لا يحزن . وأنا يا أخي ليلة جئتني وتناديت أنا واياك فكانني جاءني الشيطان ووسوستي تلك الليلة . فقال الخليفة : ومن هو الشيطان . فقال له أبو الفرج : أنت . فتبسم الخليفة وجلس عنده وتلطف معه بالكلام وقال له : يا أخي أنا لما خرجت من عندك نسيت الباب مفتوحاً فلعل الشيطان دخل عليك . فقال أبو الفرج : لا تسأل عما جرى لي . فما الذي خطر لك حتى خللت الباب مفتوحاً ودخل عليّ الشيطان وجرى لي معه كذا وكذا . وذكر أبو الفرج الغليع للخليفة جميع ما جرى له من الأول الى الآخر . وليس في الاعادة افاده . فصار الخليفة يضحك ويغطي ضحكه .

ثم ان الخليفة قال لأبي الفرج : الحمد لله الذي أزال عنك ما تكره ورأيتك بغير . فقال له أبو الفرج ما بقيت أتخذك نديمي ولا جليسبي فان المثل يقول : من عشر في حجر وعاد اليه كان اللسوم والعتب عليه . وأنت يا أخي ما بقيت أنا دمك ولا أعمل معك مصاحبة فاني ما رأيت لك كعباً مباركاً عليّ . فقال الخليفة وقد لاطفه وأثنى عليه : اني ضيفك ولا ترد الضيف . فأخذ أبو الفرج ودخل به القاعة وقدم له الطعام وأنسه بالكلام . ثم انه حكى للخليفة جميع ما جرى له . فأخذ الخليفة يغرب في الضحك . ثم رفع سفرة الطعام وقدم سفرة المدام وملاً قدحاً واحتساء ثلاثة ثم ملاه وأعطاه للخليفة وقال : يا نديمي عبدي عندك ولا يصعب عليك فلا تُفْبَنْ . ولا تَفْبَنَّ وأتشد يقول :

لَا زلت أشربها والليل معتذر
حتى أكب الكري راسي على قدمي
سلامة كشعاع الشمس بجهتها
تنفي الهموم باتواع من الفرج

فلما سمع الخليفة شعره وما قاله من الأبيات طرب من ذلك طرباً شديداً وأخذ
القدح وشربه وما زالا يشربان ويتنادمان حتى دارت الخمرة في رؤوسهما . فقال
أبو الفرج لل الخليفة : يا نديمي حقاً أنا حائر في أمري وكأنني كنت أمير المؤمنين
وحكمت وأعطيت ووهبت . صحيح يا أخي ما هو منام ؟ فقال له الخليفة : هذا
أضناك أحلام . ثم ان الخليفة دس قطعة من البنج في القدر وقال : بحياتي تشرب
هذا القدر . فقال له أبو الفرج : ابني أشربه من يدك .

(الليلة الثانية والستون بعد المائة) . فأعجب الخليفة أفعاله وصفاته وحسن
طبعه وصدقه وقال في نفسه : حقاً دجعلن هذا نديمي وجليسي . ثم ان
أبا الفرج أخذ القدر من يد الخليفة وشربه . ولما شربه واستمر في بطنه سبق
رأسه رجلية . فقام الخليفة من وقته وقال للغلام : احمله واتبه الى قصر
الخلافة . فحمله الغلام وحمله بين يدي الخليفة . فأمر الخليفة الجواري
والماليك أن يدوروا حواليه . وقد اختفى الخليفة في مكان لا يراه فيه أبو
الفرج . فأمر الخليفة جارية من الجواري أن تأخذ العود وتضرب عند رأس أبي
الفرج وتفعل كذلك سائر الجواري بالاتهن . فضرب الجميع . فاستفاق أبو
الفرج آخر الليل فسمع صوت المسود وضرب المواصيل وغناء الجواري . ففتح عينيه
فوجد نفسه في القصر والجواري والخدم حوله . فقال أبو الفرج :
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . حقاً أنا خائف من المارستان وما قاسيت
فيه أول مرة . وما أدراك أن الشيطان جاءني مثل أول مرة . اللهم اخز
الشيطان . ثم ان أبو الفرج غمض عينيه وغطى رأسه وصار يضحك قليلاً . ويرفع
رأسه فيجد القصر موقداً والجواري تغنى . ثم ان خادماً من الخدام قعد عند رأسه وقال
له : اجلس يا أمير المؤمنين وانظر الى قصرك وجواريك . فقال أبو الفرج :
بستر الله أنا أمير المؤمنين بالعقل أو أنتم تكذبون . فاني البارحة ما خرجت ولا
حكت بل شربت ونمت وهذا الخادم جاء يقيني . فعند ذلك قام أبو الفرج
وجلس . ثم انه افتكر في جميع ما جرى له مع أمه وكيف ضربها وكيف دخل الى
المارستان ورأى آثار الضرب الذي ضربه إياه المرفشي صاحب المارستان فتحير في

أمره وتفكر في نفسه وقال : والله ما أعرف كيف حالى وما الذي جرى لي
ومن أتى بي الى هذا المكان .

(الليلة الثالثة والستون بعد المائة) . ثم انه التفت الى جارية من الجواري
وقال لها : من هو أنا ؟ فقالت : أمير المؤمنين . فقال لها : تكذبين يا نكبة . فان
كنت أمير المؤمنين عضي اصبعي . فجاءت اليه الجارية وعضت اصبعه عضاً قويأً .
فقال لها : يكفي ثم انه قال للخادم الكبير . من أنا ؟ قال : أنت أمير المؤمنين .
فتركه أبو الفرج وقد خولط في عقله وحار في أمره . ثم أقبل على مملوك
صغير وقال له : عضني في أذني . وطأطأ له وحط أذنه في فم المملوك . وكان
المملوك صغيراً لا يعقل فطبق بأسنانه على أذن أبي الفرج حتى كان يقطعنها . وكان
المملوك لا يعرف العربية فبقي كلما يقول له يكتفي بعتقد المملوك أنه يقول له :
قرّط فيقوى عضته ويذكر بأسنانه على أذنه . فاما الخليفة فانه أغنى عليه من
كثرة الضحك . ثم أفاق الخليفة وخرج وقال له : ويلك يا أبو الفرج قلتني من
الضحك . فالتفت اليه فعرفه فقال : والله أنت قتلتني وقتلت أمي وقتلت المشايخ
الذين في جوارنا . فقرّ به الخليفة وأنم عليه وزوجه وأمسكه غنده في القصر
وجعله من خواص ندامائه وقدمه الخليفة على المشارة النديمة وهم: العجلبي والرقاشي
وبعدان وحسن والفرزدق واللوز والسكر وعمر التریس وأبو نواس وأبو
اسحق النديم وأبو الفرج الخليج . ولكل واحد منهم حكاية تذكر في غير هذا
الكتاب .

* * *

تعليق

كم بين الحكاية والواقع من تباين ! بل من تناقض ! يستقى واضح الحكاية مما يمده
خياله به صدقاً أو وهمَا كي يرضي فنه ويستمع سامعه أو قارئه . وهو لا يهمه البحث عن
الحقيقة بل يهمه اجتذاب القارئ أو السامع . تنسب حكاية «النائم اليقظان» الى الخليفة
العباسي هارون الرشيد أموراً هو بعيد منها كل البعد . لا شك أن الخليفة كان يتمترف
حاجات الشعب ويهتم بشؤونه ولا يرضى أن يقع بين أفراده حيث أو ظلم ما وسمه ذلك .
ولتكن كان يتتجنب اللهو وشرب الخمر ويعد شاريها اذا تحقق ذلك .

وقد نبئ المؤرخ المدقق عبد الرحمن بن خلدون على مغالط المؤرخين وأوهامهم فكيف بواضعي السير الشعبية ومخترعوها . كتب يقول : « وأمسا ما تمه به الحكاية من معاقرة الرشيد الغر واقتراه مكره يسكن الندمان فعاشر الله ما علينا عليه من سوء . وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لتنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ومحاوراته للفضيل بن عياض وابن السنّاك والمربي ومكانته سفيان الثوري وبكانه من مواضعهم ودعائه بمكة في طوافه وما كان عليه من القيادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول وقتها . حكى الطبراني وغيره أنه كان يصلوي في كل يوم مائة ركمة نافلة ، وكان يفزو عاماً ويتعجب عاماً وقد كانت حالة الأشراف من العرب الجاهيلية في اجتناب الخمر معلومة . ولم يكن الكرن شجرتهم ، وكان شربها مذمة عند الكثير منهم . والرشيد وأبااؤه كانوا على ثبات من اجتناب المذمومات في دينهم ودنياهم ، والتخلق بالمحامد وأوصاف الكمال ونزعته العرب » (١١) .

وقد شرحنا في بعض بحوثنا السالفة كيف أن الفن كثيراً ما يكون بعيداً عن الحياة الواقعية .

هذا واستبدلنا باسم بطل القصة أبي العسن كنية أبي الفرج تمثياً مع احترام التراث .

* * *

□ العواشي :

- | | |
|--|--|
| ٦ - الشمشك والبعشك : نوع من القبابيب .
٧ - التمشة والتمبة : خنزير طرفه معقوف .
٨ - سبوت .
٩ - جمع موسول وهي آلات موسيقية أحببها من صنع اسحاق الموصلي وكانتها الرب ماتكون من التبتاره ويتقال انه تحررها مشهور الفارسية بمعنى انبواب او عود اجهوف .
١٠ - حارس المارستان .
١١ - المقنة تحقيق د عبد الواحد وافي ج ١ ، ص ٢٣٤-٢٣٢ | ١ - في الأصل المطبوع عادتني صحفنا لأن أصحابه قد خلوه ولم يعادوه . وفي هذا التصحح تجنيس للثقافية وهو ما يناسب ذلك العصر وفنان ان هذا التصحح هو الأصل .
٢ - العرقوش : هو المتشرد الذي لا يملك شيئاً .
٣ - في أول القصة اسمه أبو العسن الغليع .
٤ - في الأصل : لو فهمنا قدومنك لشربنا
مهجة القلب أم سواد العيون |
| قوله : حاش الله مقتبس من سورة يوسف ، الآية (٥١) . | ٥ - نسبة الى القرطيش اي جزيرة كريت . |

* * *

أهمية الفهرسة الوصفية (الببليوغرافيا) الوطنية والسبيل إلى وضعها

د. عدنان درويش*

عرف نفر من علماء الغرب المعينين بعلم الببليوغرافيا هذا العلم بقولهم:
- الببليوغرافيا : حقل من حقول (علم الكتاب) تدرس أوعية المعرف
الإنسانية ،
- ولسمتها اختصاراً : (المكتوبات) - وتصفتها ، وترتبها وفق قواعد
مخصوصة ، وتتفقىء من ذلك أهدافاً علمية وعملية، فهي بذلك تعنى باحصاء
المكتوبات وتصنيفها ووصفها .

وقال آخرون :

- الببليوغرافيا : ثبت بأسماء الكتب المحسوبة ، يستقيم إعداده وفق قواعد
محددة معلومة ، وله وظيفة إعلامية محددة .

ويذهب غيرهم إلى أنها :

- مهارة إحصاء الكتب ووصفها ومعرفة اسمائها وموضوعاتها وإعداد ثبات
لها .

هذه التعريفات لعلم الببليوغرافيا وان بدت مختلفة في الصيغة والأداء فانها
اتفقت في الغاية والهدف ، وهو إيمان المكتوبات التي هي وسائل تأدية النشاط
الإنساني في الأعمال المعرفية ، وبين منازل ميدعوها وواضعها ، ثم تصنيفها

(*) باحث ومحقق في الدراسات التراثية .. ويعمل مديرًا للمخطوطات في وزارة الثقافة والإرشاد القومي ببورصة .

ووصفها للافادة منها في استكمال أسباب التدرج في التطور المعرفي لأجيال الأمة التي أبدع أبناؤها تلك المعارف .

والببليوغرافيا بهذا المعنى ليست اختصاصاً مساعداً للعلوم الأخرى بل هي علم قائم برأيه ، وحقق معرفى متكملاً له مسائله ومشكلاته العلمية ، وله تاريخه المتتطور ، ومنهجه المرسوم ، وأهدافه العلمية الخاصة به .

ولما كانت المكتوبات أهم أوعية حفظ الأعمال المعرفية وأيسراً لها انتقالاً وأوسماها انتشاراً وشيوعاً فقد اتخد العلماء منها أصلاً لاصطلاح جعلوه علماً على هذا الفن ، وهو كلمة (الببليوغرافيا) وأصل هذا الاسم كلمتان إغريقيتان .

أولاًهما : بيبلوس *Biblos* ومعناها كتاب .

وثانيهما : جرافين *Graphien* ، وتعني الرسم أو فن الكتابة أو النقش أو نحو ذلك .

فصاغ العلماء اللاتين من هاتين الكلمتين تركيباً مزجياً ابتغوا منه بادره ذي بدء أن يكون علمًا على من يتولى نسخة الكتب أو صناعتها .

وجرى علماء هذا الفن على هذا المصطلح بدلالة هذه حتى نهاية القرن الثالث للميلاد ، ثم توسعوا في الدلالة ليكون أكثر مطاوعة في الاستعمال ، فشملت بذلك العالم بالكتب وأسمائها ووصفها وموضوعاتها .

ثم ينمو فن الكتابة والكتاب ويتطور وتتعدد مذاهبه بتنوع شعب المعرف المدونة المكتوبة ، فاكتسبت كلمة الببليوغرافيا دلاله جديدة بنية على أصول دلالتها القديمة ، وذلك حين جاء العالم المكتبي والببليوغرافي الفرنسي غابريل نوده Gabriel Naudé في القرن الثامن عشر فجعل الكلمة علمًا على ثبات الكتب في كتابه *Bibliographia Politica* فنسخ بذلك المصطلح الذي كان يتخذ قبله لتسمية هذا النوع من الأعمال *Bibliotheca* للدلالة على الثبات أو القائمة التي فيها كتب موصوفة ، مثال ذلك كتاب كونراد جسner *Bibliotheca universales* المطبوع في زوريخ بين عامي ١٥٤٥ - ١٥٥٥ م وبذلك استقام لهذا الفن

عنوانه (الببليوغرافيا) الذي ما يزال علَّماً عليه حتى يوم الناس هذا على ما طرأ عليه من تقدم وتطور ودقة في وسائله وتقنياته ، ورؤيه أكثر وضوحاً لوظائفه وغاياته .

الببليوغرافيا عند المسلمين :

منذ نحو من مئة وألف عام عرف العلماء النابتون في مفاني الحضارة الاسلامية العربية المزهرة أهمية الكتاب وعاءً لاحتواء المعارف الانسانية ، ووسيلةً لنقلها بين الناس والأجيال ، وأدركوا قيمته وجلال فائدته ، فرأوا أنه لا بد من ابتداع الوسيلة التي تيسر للناس معرفته وتداوله والانتفاع به ، فقامت ظاهرة التأليف المكتبي الببليوغرافي عندهم ، وفي أوائل القرن الرابع للهجرة تبه أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ = ٩٥٠ م أكبر فلاسفة المسلمين والمعروف بالعلم الثاني ، تبه إلى حاجة شدة العلم إلى معرفة العلوم وفروعها وأغراضها ، فبادر إلى وضع كتابه الصغير الجرم والجم العظيم القيمة والنفع (إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها) ويدعى هذا الكتاب مفتاحاً مهماً لداخل فن الببليوغرافيا .

عرفت الأوساط العلمية في عصر الفارابي قيمة هذا العمل وقادته فنهد أبو عبد الله الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف المتوفى عام ٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م إلى أن ينسج على منوال الفارابي ووضع كتابه العظيل (مفاتيح العلوم) الذي يعد من أقدم ما صنفه المسلمون على الطريقة الموسوعية ، وهو أيضاً من أهم مداخل علم الببليوغرافيا .

وفي أواخر القرن الرابع للهجرة وريّق القرن الخامس منها أي منذ لواز ألف عام تستقيم قواعد فن الببليوغرافيا عند العرب وتُستكملَ أسبابه ويطبع علينا الوراق النديم أو ابن النديم محمد بن إسحاق البغدادي المتوفى سنة ٤٢٨ هـ = ١٠٤٨ م على أرجح الأقوال بكتابه (فهرس العلوم) أول كتاب - على ما نعلم - من كتب الأمم الموجودة منها بالعربيّة في أصناف العلوم وأخبار المصنفين فيها ، وطبقات مؤلفيها ، وأنسابهم ، وتاريخ مواليدهم ، ومبانع أعمارهم ، وأوقات وفياتهم ، وأماكن بلدانهم ، وأسمائهم ما وضموه من كتب منذ

ابتداء كل علم اخترع الى حين وضع المؤلف كتابه في شبابه سنة ٣٧٧ للهجرة ثم نفعه وزاد عليه في سنة ٤١٢ للهجرة على الأرجح ووسم النديم كتابه هذا (بفهرس العلوم) قال فيه : « هذا فهرس كتب العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجود متنها بلغة العرب وقلمها وأخبار مصنفيها » وهذا العنوان الذي اختاره لكتابه يحمل مضمون الكتاب ، وفيه بالمقطع الفني للبيبليوغرافيا الذي اعتمدته فيما يبعد علماؤها في الغرب ، قال ابن منظور في لسان العرب : « الفهرس : الكتاب الذي تجمع فيه الكتب ، قال الأزهري : وليس بعربي محض ولكنه معرب » اه .

وتابعه على ذلك الفيروز آبادي اللنوي المشهور في قاموسه فقال : « الفهرس بالكسر الكتاب الذي تجمع فيه الكتب ، معرب فهرست » .

وجاء في هامش كشف الظنون : ١٣٠٣/٢ ما يلي : « وفي التهذيب : الفهرس : هو الكتاب الذي يجمع فيه أسامي الكتب . وفي بحر الفرائب : هو القانون والضاباطة الاجمالية التي تكتب في أوائل الكتب حتى يُعلمَ فيها أنها كم باباً ، وقد يطلق على أول الكتاب . وفي ديوان الأدب : الفهرس مُقسم الماء على وزن فِيلل يونانية فربوه واستعملوه في مجمع الأبواب ، والتاء فيه غلط فاحش » .

انتهى كلام المعشي على الكشف .

ولعل هذه التسمية التي سبق إليها واختارها النديم أو ابن النديم ثم جرى على سَنَنِ محتواها علماء الغرب يجعلنا نطمئن حين نعرف كلمة البيبليوغرافيا بالفهرسة . وإذا أردنا توخي الدقة في نقل دلالة هذا المصطلح الى العربية يمكننا أن نضيف كلمة (الوصفية) الى الفهرسة ، فيصبح عنوان هذا العلم بالعربية (الفهرسة الوصفية) .

أخذ هذا الفن يتطور عند المسلمين اتساعاً وشمولاً واحاطة بدائق مضمونه، ونهد عدد من العلماء المسلمين الى التأليف فيه ، وأخرجوا الى الناس فهارس حفيلة ، نذكر من هؤلاء العلماء الفخر الرازى محمد بن عمر بن الحسن المتوفى سنة ٦٠٦ هـ = ١٢١٠ الذي وضع كتابه (حدائق الأنوار في حقائق الأسرار)

أورد فيه موضوعات /٦٠ ستين علماء ، وألفه للسلطان علاء الدين تكش
الغوارزمي .

وتلاه القطب الشيرازي محمود بن مسعود المتوفى سنة ٧١٠ هـ = ١٣١١ م
وصنف كتابه (درة الناج لعز الدّياب) .

وبعده ابن ساعد أو صاعد الأكتافاني شمس الدين محمد بن ابراهيم السنباري
المتوفى سنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م التـ كـ تـ اـ بـ (اـ رـ شـ اـ دـ الـ قـ اـ صـ دـ الـ اـ سـ نـ يـ المـ قـ اـ صـ)
جـ مـ جـ فـ يـ وـ صـ فـ اـ لـ / ٦٠ / ستـ يـ عـ لـ مـ اـ وـ هـ ذـ اـ الـ كـ تـ اـ بـ الـ جـ ا~ عـ جـ مـ جـ مـ -
يـ عـ تـ بـرـ مـ أـ خـ دـ طـ اـ شـ كـ بـ رـ زـ اـ دـ وـ عـ دـ تـ هـ فـ يـ كـ تـ اـ بـ (مـ فـ تـ اـ حـ السـ عـ اـ دـ وـ مـ صـ باـ حـ السـ يـ اـ دـ) .

وتلاه البسطامي عبد الرحمن بن محمد الحنفي المتوفى سنة ٨٥٨ هـ = ١٤٥٤ م
وصنف كتابه (درة فنون الكتاب وقرة عيون المحسّاب) في موضوعات
العلوم .

ثم بعده لطف الله أو ملا لطفي بن حسن التوقاتي المقتول سنة ٩٠٤ هـ = ١٤٩٨ م وألف كتابه (المطالب الالهية) الذي خدم به خزانة بايزيد الثاني
العثماني واستوفى في كتابه هذا ذكر نحو من / ١٠٠ / مئة علم .

ووضع الجلال عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي المتوفى سنة
٩١١ هـ = ١٥٠٥ م كتابه (نقایة العلوم ومسائلها) ثم وضع عليه شرحًا وسمه
بـ (اتمام الدرایة في شرح النقایة) .

واهتم بالنقایة بعض ذوي الفضل فنظموه وزادوا عليه، قال صاحب الكشف
(١٩٧٠ / ٢) « النقایة مختصر في أربعة عشر علمًا مع زبدة مسائلها ٠٠٠ ثم شرحه
وسماه (إتمام الدرایة) فرغ من تاليفه سنة ٨٧٣ هـ ثلث وسبعين وثمانين .
وقد نظم الشيخ عبد الرؤوف الزمزمي المكي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ ثلث وستين
وتسعمائة فن التفسير في بحر الرجز ، وعلى النظم شرح للمنصور سبط الطبلاوي
سماه (منهج التيسير إلى علم التفسير) ٠٠٠ أتمه في شوال سنة ٩٨٩ هـ تسع
وثمانين وتسعمائة ، ونظمها شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنطاطي
المصري المتوفى سنة ٩٩٠ هـ تسعمائة وتسعمائة ، وزاد أربعة علوم فصار ثمانية
عشر علمًا ٠٠٠ سماه (روضة الفهم بنظم نقایة العلوم) ، ثم شرحه متبعاً

لشرح الأصل وسماه (فتح العي القيوم بشرح روضة الفهوم) ، وزياداته هي : «الحساب ، والبروض ، والقوافي ، والمنطق ، في ألف وخمسين بيت تقريباً ، وقد فرغ من بياض الشرح سنة ٩٨٢ هـ إثنين وثمانين وتسعمئة » . انتهى كلام صاحب الكشف .

وفي القرن العاشر للهجرة صنف طاشكيري زاده عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل المتوفى سنة ٩٦٨ هـ = ١٥٦١ م كتابه الراخر العاقل (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) ذلك الكتاب الذي جهد مؤلفه بحسن تنظيمه وسعة شموله فأصبح من أعظم كتب الفهرسة الوصفية (الببليوغرافيا) عند المسلمين حين استوفى العصام فيه إحصاء العلوم، وتعدادها ، وترتيبها أحسن استيفاء ، وذكر في كل علم مشهور كتبه وأئمته المؤلفين فيه ، مع الدقة الفائقة والترتيب المنطقي الجميل والاحصاء الواقي الصحيح، فندا هذا الكتاب مظننة هذا الفن للباحثين والعلماء .

وجاء الشرواني عمد أمين بن صدر الدين المتوفى سنة ١٠٣٦ هـ = ١٦٢٧ م وصنف كتابه (الفوائد الخاقانية الأحمدخانية) واشتمل هذا الكتاب على وصف لـ / ٥٣ / ثلاثة وخمسين علمأ .

وفي القرن العادي عشر للهجرة أيضاً وضع حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ = ١٥٥٧ م كتابه الشهير الذي أصبح فيما بعد عدة الباحثين وعمدة المؤلفين وهو (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) حاول فيه حاجي خليفة أن يوسع فيه ما قبله ، فاستقصى أسماء كل ما "الله" عند الأمم الإسلامية من كتب ما وسعه إلى ذلك سبيلاً ، ثم رتب أساميها على حروف المجم ، فجاء أغنى كتب الفهرسة حفولاً إلى زمنه وأكثرها فائدة ويسراً لتهدي الباحث إلى طلبته .

اهتم بهذا الكتاب العظيم كثير من عاصر حاجي خليفة أو جاء بعده من العلماء المهتمين بهذا الفن فوضعوا ذيولاً عليه ، من هؤلاء العلماء :

محمد عزتي أفندي المعروف بوشنزاده المتوفى سنة ١٠٩٢ هـ = ١٦٨٦ م .
والشيخ ابراهيم أفندي المتوفى سنة ١١٨٩ هـ = ١٧٧٥ م .

وأحد طاهر بن ابراهيم بن مصطفى القسطنطيني الرومي الحنفي المعروف
بعنif زاده المتوفى سنة ١٢١٧ هـ = ١٨٠٢ م .

وأحمد عارف حكمة بن ابراهيم بن عصمت المتوفى سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٨ م
وتلاه الباباني البغدادي اسماعيل بن محمد أمين المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م
ووضع عليه الذيل الوافي الذي أسماه (ايضاح المكتون في الذيل على
كشف الظنون) .

ومن ذيل عليه أيضاً الشيخ اسماعيل صائب سنجر الذي كان حياً سنة ١٣٦٠
للهجرة . انتهت ذيول الكشف .

وفي القرن الثاني عشر للهجرة نجد كتابين أحدهما موسوعي ضخم مهم وهو
(كشاف اصطلاحات الفنون) الذي ألفه التهانوي محمد بن علي الهندي المتوفى
بعد سنة ١١٥٨ هـ = ١٧٤٥ م .

وكتاب آخر في معنى كشف الظنون في الفهرسة وهو (خلاصة تحقيق الظنون
في أسماء الشروح والمتون) وضعه كمال الدين أبو الفتاح محمد بن مصطفى
البكري الدمشقي المتوفى سنة ١١٩٦ هـ = ١٧٨٢ م .

وتلاه محمد صديق خان بن حسن بن علي القيثوجي المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ
= ١٨٩٠ م وألف كتابه (أبيجد العلوم) ، وهو من أجمل الكتب في هذا المعنى
وأعمها نفعاً .

ووضع الباباني البغدادي الذي ذيل على (كشف الظنون) كتاباً آخر في هذا
الصدف أفرده للمؤلفين وأسماء مؤلفاتهم عنوانه (هدية العارفين أسماء المؤلفين
وآثار المصنفين) .

وفي النصف الأول من القرن العشرين للميلاد هذا الذي نعيش فيه وضعت
كتب أخرى رداً لما سبق أهمها :

- (تاريخ آداب اللغة العربية) لكارل بروكلمان الألماني .
- (تاريخ آداب العربية) لجورجي زيدان .
- (معجم المطبوعات) ليوسف اليان سركيس .

ثم يتلو هذه الكتب فهرس أكثر من سابقيه حفولاً وقيمة هو الذي وضعه صديقنا العلامة فؤاد سزكين - متمناً الله بعياته - وأسماء بـ (تاريخ التراث العربي) .

هذه الكتب التي ذكرناها وأمثالها والتي تعد أهم المظان للوقوف على ذخائر المكتبة العربية كثير منها غالب عليه سمة التأليف الموسعي ، وقليل منها ما كان خالصاً لفن الفهرسة الوصفية (الببليوغرافيا) العربية ، كفهرس النديم ، (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) لطاشكري زاده ، و (كشف الظنون) لحاجي خليفة وذيوله .

واختلفت طرائق مؤلفي كتب الفهارس هذه ومناهجها في التأليف ، فمنهم من اتسع سبيكه التصنيف على الفنون ، ومنهم من انتهج ترتيب أسماء المؤلفين مرتبة على حروف المعجم ، وأخرون اعتمدوا طريقة التأليف على أسماء المؤلفين مرتبة على الحروف ثم ذكر مصنفاتهم دون وصف على العروض أيضاً . إلا أن أحداً منهم لم يلتفت إلى تَسْبِيب الكتاب العربي إلى إقليم أو انتمائه إلى قوم ، ولم يدُر باخلاصهم هذا المعنى ، فقد كانوا يعيشون في سرادق حضارة واحدة امتد فاكتفن شعوباً وبقبائل تعارفوا وبنوا حضارة إسلامية محكمة التسييج متناغمة الآلوان ، فان كان للمصنف المكتوب بالعربية من نسب فانما نسبة وانماهه إلى شعبية معرفية من منجزات العصارة الإسلامية مكتوبة باللغة العربية . وبذلك صفت رفاف المكتبة العربية الموروثة من كتب فن الفهرسة الوصفية (الببليوغرافيا) الوطنية ، حتى كان العصر الحديث نهدت معاولات نافعة في بعض الأقطار الإسلامية إلى وضع الفهارس الوصفية الوطنية : رأينا منها كتاب : (النبيغ المغربي في الأدب العربي) لعبد الله كنون الحسني ؛ و (الحركة الأدبية والفكرية في تونس) لمحمد الفاضل بن عاشور ؛ و (الفهرس التاريخي للمؤلفات التونسية) لعمادي صمود وجان فنتان ؛ و (حركة التأليف بالعربية في الأقليم الشمالي للهند) للدكتور جميل أحمد ، و (التراث اليمني في المتحف البريطاني) لصديقنا الدكتور حسين عبدالله العمري ؛ و (الحركة الفكرية العربية في سرقتند) . إلا أن هذه المعاولات - على قيمتها وأهميتها وفائدهتها - لا تزال قاصرة عن ادراك ايفاء الفهرسة الوصفية الوطنية

مستلزماتها من الاحاطة بمكتوبات الشعب المعرفية في المجلزات الابداعية للحضارة الاسلامية ، ولا نزال مفتقرين الى اغناء المكتبة العربية بهذا الفن الضروري للباحثين والعلماء، اذ للفهرسة الوصفية الوطنية أهميتها البالغة في هذا الصدد ، فأصبحت لذلك علماً قائماً برأسه له مقوماته ، وموضوعه ، ومنهجه ، وغرضه ، ووظيفته ، وفائده .

وقد أرسى علماء هذا الفن للفهرسة الوصفية الوطنية ثلاث ركائز مقومات :

أولاها : المكان : وهو الرقة الجغرافية التي قامت عليها الأفانين المدونة لحضارة القوم الذين يعيشون على هذه الرقة .

ثانيتها : المبدع : وهو الأمة التي فيها من شارك في صنع حضارتها من أبنائها .

ثالثتها : اللغة واللهجات التي دونت بها تلك المجلزات المكتوبة من حضارة القوم .

هذه المقومات الثلاثة التي ترتكز عليها الفهرسة الوصفية الوطنية تقدم - إلى جانب الضروب المعرفية المشتركة بين الشعوب - خصوصية الحضارة المحلية التي قامت في هذه الرقة الجغرافية أو تلك ، ووضعتها هذا القوم أو ذاك ، وندّت إلى لغتها التي كتبت بها مفردات محلية ذات خصوصية بيانية دقيقة تغنى بالألوان المعرفية التي نشأت عند ذلك القوم .

وهناك عامل شكلي في الفهرسة الوصفية الوطنية هو : (المدى الزمني) الذي تو فيه أو تغطيه النهرسة الوصفية الوطنية ، هل هذا المدى متنق مقتصر على فترة زمنية محددة ، أو هو مفتوح جار مستمر ، وتقسم الفهرسة الوصفية الوطنية بموجب هذا العامل إلى قسمين : **الفهرسة الوصفية الوطنية الراجعة ، والفهرسة الوصفية الوطنية البارية** .

أما الفهرسة الوصفية الوطنية الراجعة : فهي التي تحصي وتصف مكتوبات أمّة من الأمم منذ أن أخذ انسانها يرقى على الطين ، أو ينشق في العجر ، أو يكتب على الأقتاب ، واللغاف ، والسعف ، والجلود ، ثم البردي والرّق والكافد ،

وهكذا انحدرناً حتى رأس مئة سنة قبل تاريخ كتب الفهرسة الوصفية ، وهذه المئة من السنين هي الزمن الذي حددته واصطلحت عليه نخبة من علماء التراث العربي في حلقتهم التي عقدت في بغداد لعمادة المخطوطات عام ١٩٧٥ حين حددوا معالم هوية الكتاب التراثي . وبذلك تورثنا تلك الوسائل من رقم ، وخرشقات (جرافيك) ، ولغاف ، وبردي ، ورق ، ونوعها معارف الانسان من تشيريمات ، وأخبار ، وأدب ، وشعر ، وعلم ، وفن وغيرها منذ أن عرف كيف يسجلها إلى ذلك التاريخ المحدد .

وأما الفهرسة الوطنية الجارية : فهي التي تحصي وتصنف مكتوبات أمة في فترة معاصرة محددة مصطلح على طولها ، وقد اجتمعت كلمة علماء هذا الفن على أن تعدد بمضي مئة سنة على ساعة الشروع بكتاب الفهرسة الوصفية ، مع امكانية استمرار صدور هذه الفهرسة بآتي الزمان في خطة منهجية ترسم لها .

تأسيساً على ما تقدم تعد الفهرسة الوصفية الوطنية أهم التوابع الفهرسية الوصفية (البيبليوغرافية) على الاطلاق ، لأنها تحتوي على الانتاج الحضاري المكتوب من معارف أهل البلد الذي تصدر فيه ، وتقوم بتوثيق الاتصال الأدبي والعلمي له . وهي المصدر الأساسي الذي لا يقوم مقامه شيء لتقويم هذا الانتاج ، وتشتقت منها فهرسات وصفية أخرى على الصعيدين المحلي والدولي ، وهي أساس لتطور الدراسات بمختلف أنواعها .

ومن ناحية أخرى فإن أهم سمة للفهرسة الوصفية الوطنية هي نزوعها إلى الكمال والدقة والمتابعة في وصف المخطوطات والمطبوعات للمعارف المكتوبة باشكالها كافة ، فهي تصنف أنواع المكتوبات على اختلافها ، وتبين ما تحتويه من موضوعات المعرفة ، ولا تغادر شيئاً من المكتوبات والرسومات المعرفية من عجلات ، وخرائط ، ورقم (نوتات) موسيقية ، وخرشقات (جرافيك) ونحو ذلك ، تبعد ذلك كله في فهرسة وصفية وطنية واحدة غير متبايرة الأجزاء ، وذلك كما صنع في إيطاليا ، وسويسرا ، أو نجد في ملحق خاصة تضمُّ إلى الفهرسة الوصفية الوطنية التي تصنف المكتوبات كما في فرنسا ، أو تصدر فهرسات وصفية خاصة لكل شكل من أشكال المطبوعات ، فللدوريات فهرسة وصفية وطنية خاصة

بها ، وللغرائط فهرسة وصفية وطنية خاصة بها ، وللكتب كذلك ، هذا لم يزيد أن يعدد في إشكال إصدار الفهرسات - الوصفية كما كان الوضع في الاتحاد السوفييتي .

ان ظهور المفهرسات الوصفية الوطنية الكبيرة يعود إلى القرن التاسع عشر للميلاد ، ولقد أصابت هذه الفهرسات في هذا القرن وبعده حظاً وافراً من الازدهار ، كان ذلك بسبب أن القرن التاسع عشر شهد ظهور القوميات وقيام الدول القومية ، ونمو حركة الصناعة ، وتضخم الانتاج المطبوع ، ونزوح شعوب أوربة إلى إحياء تناثرها ، ظهرت المفهرسات الوصفية الوطنية الراجعة لأكثر شعوب أوربة ، وكانت على الأغلب من صنع أفراد حرصوا على وصف ما نشر من تراث أمتهم ، فسجلوه وصنفوه ووثقوه . ونجد في ذلك أمثلة كثيرة منها المفهرسة الوصفية الوطنية البولونية ، وأختها الفرنسية التي استمر إصدارها من عام ١٨٦٧ حتى عام ١٩٤٥ وهي التي أسسها العالم الفرنسي أوتو لورنن

OTTO LORNS وتعرف باسمه :

Catalogue générale de la librairie française, T. 1-34, Paris : 1867-1945.

ونحو ذلك .

وتأسياً بهذه الانجازات العلمية النافعة فاتنا نطعم في أن ينهد كل قطر من الأقطار التي تتفياً ظلال العضارة الإسلامية ، وتتجذب من العربية لغة ماتورثه من آفانين المعارف الإنسانية ، أن ينهد إلى صنع المفهرس الوصفي الخاص به فيتحقق بذلك أمرين :

أولهما : بناؤه ركناً من صرح المفهرسة الوصفية الإسلامية الموحدة .

ثانيهما : إحكامه النسيج الحضاري الإسلامي بابرازه ألوانه المتناغمة أكثر وضوحاً وبياناً حين يسجل في مفهريه الوصفي الوطني معالم خصوصياته الحضارية المحلية .

ويتحقق ذلك لا ينهض تعارض بين دعوتنا إلى وضع المفهرس الوصفي الوطني وبين ما سبق من كلامنامنذ قليل على إعجابنا بالمفهرين العرب والمسلمين الذين حافظوا على الوحدة والشمولية في تسجيل المجلزات المكتوبة لحضارات الشعوب التي يكتنفها سرادق الحضارة الإسلامية .

السبيل الى وضع الفهرسة الوصفية الوطنية :

يمتلك كل إقليم من أقاليم العالمين العربي والاسلامي ثروات كبيرة من الموروثات الحضارية المكتوبة ، منها التالد الذي يبلغ في قدمه قدم حضارة الإنسان ، وبخاصة التراث المدون في المغربيات (الجرافيك) والرقم واللخاف والكاغد والرق ونحو ذلك من الوسائل المتعددة للكتابة قديماً وفي عصور التدوين ، ومنها الطارف الذي تبدهعه وتدونه بالعربي الأجيال المتعاقبة من النابغين في الأمم والشعوب التي تسكن في تلك الأقاليم . وبذلك كان لكل إقليم دوره وسهمه في تزويد المكتبة العربية بعشرات الآلاف من المصنفات ونحوها التي ما انفك تتواءد إلى هذه المكتبة في الأماكن المطلولة منذ بدء حركة التدوين عند الكاتبين بالعربي حتى يوم الناس هذا .

ففي بلاد الشام - على سبيل المثال أرثنا مكتبة زخارية غنية بأوعية المعرف الإنسانية وضمنها أهل هذا الإقليم وتجمعت منذ عرف الرقم والمغربيات حتى يومنا - رقم إبيلا، رأس شمره وغيرهما ، ثم في أيام حركة التدوين وما تلاها من عصور - ورثنا من العلوم والمعارف أفاين صنعتها قرائط علماء هذا الإقليم وزابغوه وصبتها في صفحات نضدت أسفاراً ورصت على رفاف المكتبة العربية ، فكتب خالد بن يزيد بن معاوية ، وحبيب بن أوس أبي تمام الطائي ، وأبي عبادة البعمري ، وأبي العلاء المعربي ، والعافظ ابن عساكر صاحب تاريخ مدينة دمشق ، وأبي شامة المقدسي ، والأمام النسووي ، والعحافظ الذهبي ، والصلاح الصفدي ، والعماد ابن كثير صاحب البداية والنهاية ، وهكذا حتى أيامنا ، كتب هؤلاء العلماء والأدباء والمبدعين أمثلة ذهب من جمهرة عريضة كانت الزاد الغني الذي رفد المكتبة العربية وأغنناها ، وهناك أزواب آخر تردد المكتبة وتغنينا من مصر والمغرب وال العراق والهند وبلاد فارس ومن كل إقليم من الأقاليم التي يتخذ أهلها من العربي ويسليتهم في تسجيل معارفهم وعلومهم وأدابهم ومنجزاتهم الحضارية المكتوبة .

حركة التأليف والتدوين بالعربي في هذه الأقاليم لم تفتر خلال تتابع العصور ، فما زالت فيها مواكب نابغين تقتدي بمواكب حتى يوم الناس هذا ، فقهاء ،

أدباء ، شعراء ، مؤرخين ، نابهين في العلوم التطبيقية ، مبدعين في الفنون الجميلة ، كل هؤلاء في نشاط دائم لاغناء المكتبة العربية بمصنفاتهم وأبحاثهم ، ومقالاتهم .

ولا تزال المكتوبات في كل أقاليم من هذه الأقاليم سواء منها المنشآت أو الكتب أو الرسائل ونوعها مبثوثة دون احصاء وعلى غير نظام في بطون سجلات المحفوظات الأثرية . وكتب الفهارس العربية ، كفهرس النديم وحاجي خليلة وأمثالهما ، وفي كتب الترجم على اختلاف أنواعها . وكتب التاريخ التي تعنى بالجمع بين العوادث والوفيات ، وكتب الفقه ، وكتب الاختبارات الأدبية وما إلى ذلك .

ثم في فهارس دور حفظ المخطوطات العربية ، ونشرات دور النشر ونوعها . ولم ينهد حتى اليوم من يحاول في قطر من الأقطار تتبع مكتوباته في مظانها ، ويجمعها ، ويجمعاها ، ويصفها في فهرس وصفي (ببليوغرافيا) مخصوص يكون معيناً يرده وينهل منه دارسو التراث العربي والمتربون لتطور حركة التأليف والإبداع في قطر من الأقطار التي تدون معارفها الحضارية بالعربية منذ قيامها حتى الوقت الحاضر ، فيرفدون المحصل المعرفي الإنساني بزاد من جوانب النشاط المعرفي الذي ينهض به الإنسان الذي ينتمي إلى ذلك القطر .

والاليوم وبعد أن قامت مؤسسات في عدد من الأقطار العربية والاسلامية بوضع (الموسوعات) عرفنا منها بالمرتبة الموسوعة اليمنية التي أصدرتها مؤسسة العفيف الثقافية ، والموسوعة الفلسطينية ، ومشروع الموسوعة العربية في القطر العربي السوري ، وغير ذلك مما لم يبلغنا علمه ، هذه الموسوعات تضم الى جانب ما تزخر به من معلومات ومعارف عن الأقاليم التي وضعت فيها جوانب معرفية لا يأس بها في حقل الفهرسة الوصفية ؛ ولا شك في أن ذلك يعتبر ارهاصات وبدايات للشرع في وضع فهرس وصفي وطني خاص بالأقاليم ، وينبغي له أن يواكب أمثاله مما وضعته الأمم المتقدمة التي طورت وسائلها (الببليوغرافية) تطوراً رائعاً في التقنية والافادة في عالم اليوم ، ويأخذ مكانه في المكتبة العربية الذي لا يزال ينتظر من يشغله به . ويلبي حاجات

العلماء والباحثين ، ويكون بالتالي لبنة وركتاً في بناء صرح فهرسة وصفية (ببليوغرافيا) عربية إسلامية .

لقد بلغ فن صنع الفهارس الوصفية الوطنية في هذا الزمان شأنها من التقدم يتبع للانسان الانتفاع بها والافادة منها ب AISER السبيل بسبب تقديم الوسائل التنظيمية والتكنولوجية المعينة على ذلك ، وتعددت وجوه اخراج الفهارس وطرقها ولعل خير الطرائق في وضع الفهارس الوصفية الوطنية نفعاً وأكثرها دقة ، وأيسرها في الكشف عن طلب الباحثين الطريقة التالية :

أولاً : يحدد واضعو الفهرس الوصفي الوطني في الأقاليم المراد وضع الفهرس له من هو المؤلف صاحب الأثر المكتوب المنتهي الى ذلك الأقاليم ، ولادة ، أو منشأ ، أو اقامة أو نحو ذلك مما يحدد طبيعة انتماه الحضاري الى القوم الذي يعيش على هذه الرقعة من الأرض ، وحمله مواريثه ، ومعاييره الوان حياته وظروفها ، فقد عرف المؤلف وواضع الأثر أنه ذلك الذي أوتي أمرين :

آ - القدرة على تمثل قدر ما يفرزه عصره وأطروه الاجتماعية والحياتية الواسعة منها والضيقة من المطليات الحضارية ومنجزاتها في مختلف فروع المعرفة الإنسانية وشعبها من تجارب ، وألوان حياتية ، وثقافات ، وعلوم ، وفنون ، وعلاقات انسانية ونحو ذلك ، ثم ما انعدر الى ذلك الم忽ر من المواريث المعرفية الإنسانية من المصور الخالية .

ب - القدرة على أن يؤلف ويبدع ويخرج في شعبة أو أكثر من تلك المعرفة والمواريث انتاجاً معرفياً ملوناً بخصوصية قومه ومجتمعه وأطروه الحياتية من ناحية وبخصوصيته هو باعتباره انساناً مبدعاً من ناحية آخر ؛ ويقدم ذلك الى أنساني عصره ، ثم يرثه بعده من سيخلفه من الأجيال .

تأسيساً على ذلك تتعدد معالم هوية الأمة أو الجماعة وملامحها من خلال ما صنعته لنفسها من فهرسة وصفية ت MLM جوانب انتاجاتها المعرفية والثقافية .

ثانياً : يتبع واضعو الفهرس الوصفي الوطني في قطر بعينه المكتسبات النسوية الى مؤلفين ومبدعين منتمين الى ذلك القطر ويستقصونها منذ أول رقم

رقمت عليه يد انسان من هذا القطر الى آخر كتاب او رسالة او مقالة او بحث او حديث او غير ذلك مما يُخْرِج قبل زمان وضع الفهرس .

ثالثاً : الجمع بل دمج الفهرسة الوصفية الراجعة بالفهرسة الوصفية المبارية في سفر واحد ، للبقاء على الصورة المضاربة للجامعة المتوضعة على هذا المكان من الأرض مُؤلَّفة موحدة ، ولا حاجة للتقسيم ووضع فهرين وصفيين وطنين أحدهما راجع والآخر جار .

رابعاً : يعزز محصول ما تم جمعه من المكتوبات زمراً وفق موضوعاتها وفنونها ، كزمرة مكتوبات علوم القرآن - على سبيل التمثيل - وزمرة مكتوبات التشريع والفقه ، وزمرة مكتوبات الحديث وعلومه ، وزمرة مكتوبات اصول الدين ، وزمرة المكتوبات في الأدب ، وزمرة المكتوبات في العلوم التطبيقية ، كالرياضيات ، والطب ، والهندسة ، ونحوها ؛ وزمرة المكتوبات في الفنون الجميلة ... وهكذا . ويفرد لكل زمرة تنضوي تحت فن من هذه الفنون جزء قائم برأسه ، ويمكن أن يتهدى في تحديد عناوين هذه الفنون التي تتوضع للتقسيمات والتجزئة وتسميتها بـ (فهرس النديم) ، و (مفتاح السعادة) ، و (كشاف اصطلاحات الفنون) ، و (أبجد العلوم) ، و (التصنيف العشري) الذي وصفه ديوي في تقسيمه لأنواع المعلوم .

ولا يميز بين المكتوبات التراثية التي تدخل في اطار الفهرسة الوصفية الوطنية الراجعة من المكتوبات المعاصرة التي تدخل في اطار الفهرسة الوصفية لاوطنية الجارية ، لأن المميز لكل منها هو تاريخ وفاة مؤلف الأثر المكتوب .

خامساً : بعد أن تفرز المكتوبات على موضوعاتها وفنونها التي اتخذ لها المعنوانات الكبيرة الرئيسة يجري فرزها مرة ثانية على موضوعات فرعية تتشقق من العنوان الرئيس للفن ، فمثلاً في فن الأداب الذي أفرد له جزء مستقل برأسه تتشقق منه فروع ، كالشعر وأنواعه ، الترسل وأنواعه ، النقد ، تاريخ الأدب ، الرواية ، القصة ، فن المقام ، المسرح ، ... وهكذا ، وتجعل عنوانات الموضوعات الفرعية مداخل يدرج تحتها أسماء من ألف فيها ثم يثبت بين يدي كل مؤلف الفهرس الوصفي لأعماله ، ويستعمل بالفهارس المذكورة في الفقرة السابقة في تحديد أسماء عنوانات المداخل الفرعية .



سادساً : تؤخذ الزمرة التي يضمها عنوان فن من الفنون الفرعية ويجري عليها فرز جديد وفق أسماء مؤلفي المكتوبات ، ويرتب في هذا الفرز أسماء المؤلفين على حروف المعجم سواء منهم مؤلفو المكتوبات التراثية والمؤلفون المعاصرون يميز بين القديم منهم والحديث المعاصر تواريخ الولادات والوفيات .

سابعاً : بعد اثبات اسم المؤلف في موضعه من الترتيب المجمعي يترجم له ترجمة وافية مرکزة مكثفة غاية في الاختصار ، يذكر فيها اسمه واسم أبيه وجده وأبيه جده إن تتوفر ذلك ، ولقبه وكنيته ، ونسبته ، وتاريخ مولده إن أمكن ، ووفاته ، ثم دراسته وشيوخه ورحلاته في العلم ونحو ذلك ، وطبقته بين العلماء ، وأهم الأحداث التي تتعلق به ولها أثر في تكوينه العلمي واتجاهاته الابداعية ونحو ذلك .

وحيث يرد اسم المؤلف مرة ثانية في وضعه كتاباً في فن آخر يكتفى بذكر اسمه وشهرته هناك ويعالى حالي حيث ترجم أول مرة في الفن الذي سبق .

ثامناً : بعد الفراغ من ترجمة المؤلف تثبت تحته فهرسة وصفية لمكتوباته على الترتيب التالي :

- مؤلفاته الأصلية .
- ما وضعه شرعاً على كتاب آخر .
- ما اختصر به مصنفاً آخر أو ما يشبه ذلك من نظم كتاب أو نحو ذلك .
- النشرات التي تتضمن اختيارات من أعماله .
- رسائله الشخصية .
- أسماء كتب ترجمتها من لغات أجنبية إلى اللغة العربية .
- أعمال أدبية تصرف فيها المؤلف (مسرحية ، أو رواية ، على سبيل المثال) .
- مرسوماته الفنية في الفنون التشكيلية ونحوها إن كان من المبدعين في هذه الفنون ، وتثبت عناوينها إن كان لها عناوين .
- مواد أخرى للفهرسة الوصفية لمكتوبات المؤلف لا تدخل تحت مادة من المواد المذكورة .

ترتبط عنوانات المكتوبات أو غيرها التي تضمنها زمرة من الزمر الفرعية على حروف المعجم إن كانت هذه المكتوبات كتاباً، أو رسائل، أو أبعاثاً، أو مقالات تحمل عناوين . ويصطمع ترتيب مناسب إن كانت المكتوبات غير ذلك مثل الرسائل ، والمقالات ، والأحاديث ، والرسوم ، والخرائط ، أو ما شابه ذلك مما لم يثبت له عنوان .

يثبت بين يدي كل مادة مفهرسة كتاباً كانت أو غيره وجازة مرکزة غایة في الاختصار في التعريف بها ووصفها موضوعاً وشكلًا .

تذكر المظان التي ورد للمؤلف أو اعماله فيها ذكر .

يذكر بين يدي كل كتاب أو مادة أخرى للمؤلف ما إذا كان ذلك مخطوطاً لم يتح له نشر بعد ، ويدرك مظنة وجوده من مكتبة أو مكان حفظ أو بيت خاص أو نحو ذلك .

إذا كانت المكتوبة أو المادة المفهرسة قد أتيح لها نشر فيذكر مكان النشر والطبع وزمانه ، وعدد الطبعات والنسخ من كل طبعة إن أمكن .

تاسعاً : تتضمن الفهرسة الوصفية للمؤلف أسماء ترجمات كتبه وأعماله إلى اللغات الأخرى ، وتذكر أسماء الأشخاص والجهات الذين تولوا الترجمة والنشر ويعرف بهم إن أمكن ، وترتبت الترجمات حسب اللغات أو البلدان التي أخرجت فيها هذه الترجمات .

عاشرأ : تضم الفهرسة الوصفية للمؤلف التي تدرج تحت اسمه ذكر ماله صلة بأعماله ومكتوباته : (أبعاث عامة عن المؤلف واتجاهاته ، وخصائصه ، وسيرته ، وعلاقاته . أبعاث تخص مؤلفات له من تقريريات وردود على آرائه وكتبه وما إلى ذلك) تذكر عناوين هذه الكتب ومؤلفيها ونشراتها ، ويراعى في إثبات هذه المواد الترتيب الزمني لنشرها .

الحادي عشر : ذكر عناوين الصحف ، أو المجلات ، أو الدوريات ، أو الزوايا الإذاعية المسنوعة والمرئية ، أو المسرح ، أو السينما ، مما يؤلف مشاركة في الكتابة فيه ، وتذكر أيضاً عناوين المقالات والأبحاث والمشاركات الإذاعية التي نشرت في كل من هذه الوسائل .

الثاني عشر : تلعق بكل مدخل من مداخل الفهرس تصاوير تناسبه إن توفرت ، كصور للأعلام المؤلفين ، وصور للرقم والمخربشات (الجرافيك) ، وصور لخطوط العلماء والكتاب وصور لرواميزة من الكتب المخطوطة ، وصور للنفائس من الخطوط ، وصور للوحات الرسامين ، وصور للإعلانات والمتصفات ، وغير ذلك مما يدخل في هذا المعنى ويغني الفهرس ايضاً ونفعاً .

الثالث عشر : يخصص في آخر الجزء المفرد لفن من الفنون مدخل للمكتوبات التي لم يُعرف مؤلفوها وتدرج في إطار ذلك الفن ، ويصطنع لها ترتيب يتناسب مع عنوانتها إن كانت معنونة ، أو مع طبيعة موضوعاتها إن لم يكن لها عنوانين . ومدخل للغرائط ، والإعلانات ، والمتصفات ، كاعلانات المسارح ، أو السينما ، أو غير ذلك مما وضعه مبدعون معروفون في القطر أو غير معروفين .

ومدخل للمصنفات الأجنبية التي تتعلق بالمكتوبات المتنمية إلى القطر في الفن الذي أفرد له ذلك الجزء ، وترتبط عنوانين الكتب على حروف المعجم ، وتذكر لغاتها ويعرف إن أمكن بمؤلفيها والجهات التي أصدرتها وتاريخ صدورها .

مدخل للمجلات ، والدوريات والنشرات ، والمقالات ، والأحاديث الأجنبية الهامة ، وأبواب أو فصول أو فقر من كتب أجنبية لها صلة بالموضوع الاقليمي الذي خصص له ذلك الجزء من الفهرس الوصفي ، ويختار لهذه المواد ترتيب يتناسب مع عنوانين المنشورات أو طبيعة المكتوبات الأجنبية .

الرابع عشر : يذيل الجزء الخاص بفن من الفنون من الفهرس الوصفي بفهارس لتيسير الكشف عن محتوياته ، وتضم :

- ١ - فهرس مداخل الفنون والمواضيع الفرعية التي اشتمل عليها الجزء .
- ٢ - فهرس أسماء وأوضاع المكتوبات .
- ٣ - فهرس عنوانات المكتوبات والرسومات وما في بابها .
- ٤ - فهرس المظان التي ورد للمكتوبات ومؤلفيها فيها ذكر .
- ٥ - فهرس أسماء الجهات والدور التي نشرت المكتوبات .
- ٦ - فهرس أسماء الأماكن التي هي مظان وجود المخطوطات للمكتوبات المتنمية إلى القطر .

الخامس عشر : يعتبر اخراج الفهرس الوصفي عملاً جارياً مستمراً بالتدليل عليه كلما دعت الحاجة الى ذلك ، ويحدد من للتدليل وفقاً لمقدار ما قد يكتشف او يتعدد من مواد ومعطيات تستأهل ان يذيل بها على الفهرس .

وحين تتوفر معطيات تفوق طبيعة التدليل وتتكرر التدليلات أكثر من مرة تصدر طبعة جديدة للفهرس حين يرى القائمون على اصداره ضرورة لذلك .

* * *

هذا ما نراه سبلاً لاخراج فهرس وطني ، ولملنا فيه قد استوفينا كل الجوانب والأبعاد التي تستقيم بها الدقة والوضوح وتبسيير الوصول . وثمة طرائق أخرى لوضع الفهرسة الوصفية الوطنية تبدو لنا أنها لا ترقى الى ما تصورناه وذهبنا اليه في طريقتنا السابقة حسن تنظيم ودقة ترتيب وتبسيير انتفاع .

فمن تلك الطرائق :

١ - طريقة قريبة من السبيل الذي اخترناه لوضع الفهرس الوصفي الوطني ، الا أنها تختلف عنه بأن تجعل فيها الفهرسة قسمين : أولهما : فهرسة وصفية وطنية راجعة : يُدرج فيها اندحاراً منذ عرفت الكتابة حتى المعاصرة وقد تعتمد فيها مداخل على العصور .

ثانيهما : فهرسة وصفية وطنية جارية . وقد تقدم الكلام على هذين الضربين . وينتهج في كل منها السبيل نفسه الذي اتبع في الفهرسة الوصفية الوطنية الموحدة من حيث عرض المواد ، واختيار المدخل .

وتاتي هذه الطريقة في المرتبة الثانية أهمية من حيث الدقة والافادة . . .

٢ - طريقة أخرى : تعتمد في تنظيمها أسماء المؤلفين مرتبة على العروض ثم يثبت بين يدي كل مؤلف فهرسة وصفية لمكتوباته دون نظر الى فرز المكتوبات ومؤلفيها وافق فنونها ومواضيعها ويترجم فيها للمؤلفين ، وتصنف المكتوبات أيضاً .

٣ - وثالثة في الطرائق : يعتمد فيها جمل الفهرسة سرداً أو ثبتاً بأسماء المكتوبات الوطنية وعنوانها وترتباً على العروض ، ثم توصف بایجاز وتعزى كل مكتوبة الى واضعها ومؤلفها ويعرف به بایجاز شديد أيضاً .

وهاتان الطريقتان الثانية والثالثة أيسر مأخذاً وأقل عناء في الوضع والتنظيم والاخراج الا أنها تقتصر ان قصوراً شديداً عن المرت günü من شمول الاحاطة ودقة التنظيم ، وبالتالي من تيسير وصول الدارسين والباحثين الى طلبتهم من النفع والفائدة .

* * *

ولعل هذا المنهاج الذي اخترناه وحاولنا فيه احكام التنظيم وايضاح السبيل يستقيم به اخراج فهرس وصفي وطني يلضم ما تبعث من التراث المعرفي المكتوب ، وما انتجه قرائح المبدعين والمفكرين والعلماء من أهل الاقليم الذي وضع له ذلك الفهرس منذ علم الله الانسان بالقلم ما لم يعلم الى يوم الناس هذا . يقدم ذلك للعلماء والباحثين في شؤون حضارة الانسان مادة منقولة في سلك قويم يقيمون بها نافع الدراسات من ناحية ، ويكون الفهرس الوصفي الوطني من ناحية أخرى ركناً في صرح الفهرسة الوصفية القومية والاسلامية حين بنائه ان شاء الله .

د. عدنان درويش

* * *

من أعلام التراث

ابن رواحة ترجمة حياته وشعره

محمد عدنان قيطاز*

كان ابن رواحة الحموي أبرز شعراء القرن السادس الهجري لما في
شعره من قيمة تاريخية . ومن المؤكد أنه رصد في شعره حركة العرب
الصلبية من خلال آماد يعنه لنور الدين ذيتو وصلاح الدين الأيوبي .
ولئن ورث عن جده الثامن عبد الله بن رواحة شاعر الرسول ﷺ شرف البيان
وكرامة الإيمان ، فقد ورث عنه أيضاً نعمة الشهادة وهي مجادة في الدنيا
وسعادة في الآخرة ، فالبعد قضى شهيداً يوم مותו على أيدي الروم ، والتعين
قضى يوم مرج عكا على أيدي الصليبيين . فمن هو ابن رواحة الحموي ؟

□ التعريف بالشاعر :

يذكر ابن واصل الحموي في تاريخه (مفرج الكروب) أن اسمه : الحسين بن عبد الله
بن الحسين بن رواحة بن ابراهيم بن عبد الله بن رواحة بن عبيد بن محمد بن عبد الله بن
رواحة الأننصاري الخزرجي ، وهذه النسبة نقلها ابن واصل من نسخة بخط ابن رواحة
الذى نحن بصدد الحديث منه ^(١) ، بينما اقتصر مؤرخون آخرؤن على نسبة مختصرة ^(٢) ،
وقد أثرت تسجيل النسب الكامل مراراً على جده الثامن شاعر الرسول عليه السلام تحقيقاً
لقوله المداد الأصبهاني عن شاعر حماه بأنه : في الشهادة والشعر ممرق ، فطرفة الأعلى
يوم مותו مع جعفر الطيار ، وطرفه الأقرب يوم عكا في لقاء الكفار ^(٣) . وقد أجمع على
ذلك عدد من المؤرخين .

غير أن أبا شامة في تاريخه يشكك في صحة هذه النسبة ، ويرى أن ابن رواحة
الحموي ليس من أولاد ابن رواحة الصعابي لأنه لم يعقب ، وإنما في أجداده من اسمه

(*) باحث واديب من سوريا .

رواحة(٤) . وسواء أكان هنا الرعم صححأأم غير صحيح فانه لا يندرج من قيمة الشاعر ، والاعتداد بالأنساب ليس منقبة يحمد عليها أصحابها في كل حال .

□ ولادته ونشاته العلمية :

ولد أبو علي الحسين بن رواحة سنة ٥١٥ هـ(٥) في بيت عماره العلم وقوامه الفضل ، فقد نشأ في كنف أبيه الشيخ أبي محمد عبدالله ، وكان رجلا صالحًا متفقها في الدين ، وله خطابة الجامع في حماة ، لذلك كان شاعر حماة يعرف بابن خطيب حماة(٦) فأخذ ابن رواحة عن أبيه حب العلم وأهله ، وتلقى على يديه كلمات هي أفضل ما ينتحلها والد لولده .

ولما شب ابن رواحة عن الطوق رحل إلى دمشق طلبا للعلم ، فاقام بها مدة طمعا في لقاء آئمه مصر في الحديث والفقه الشافعي ، واجتمع بالحافظ أبي القاسم المشهور يابن عساكر صاحب تاريخ دمشق ، فسمع منه ومن عميه(٧) ، كما سمع بها من أبي المظفر الفلكي وأبي الحسن علي بن سليمان المرادي والصائر هبة الله ٠٠ وأخرين غيرهم من أرباب العلم والأدب(٨) ثم عاد إلى حماة وأقام بها للاحتساب واقراء فقه الشافعى والأداب(٩) .

□ اقباله على نور الدين زنكى :

كانت حماة في الثلث الثاني من القرن السادس الهجري تحت حكم حصاد الدين زنكى بعد أن استخلصها من اسماعيل بن بورى صاحب دمشق ، وبقيت في أيدي الزنكين حتى سنة ٥٧٠ هـ حيث ملكها صلاح الدين الأيوبي . ولذلك تنسى لابن رواحة أن يعاصر جملة من الأحداث الهامة في المعهد الزنكى كان من أبرزها قتال نور الدين زنكى للصلبيين .

ويبدو أن ابن رواحة كان معجبا بشخصية نور الدين وأعماله الاصلاحية وموافقه في الدفاع عن الدين والمرىين ، وهذا دفعه إلى كثرة التردد على نور الدين بعد أن عرفه في حماة ، فكان يزوره كل عام ويمدح بقصائده التي رصد فيها كثيرا من وقائع نور الدين مع الصليبيين . ومن المؤكد أن نور الدين كان يطرب لشعر ابن رواحة ويقبل عليه ، وقد جعل له ما جعل لغيره من المطاعيا والهببات انعاما متصلأ(١٠) .

□ اتصاله بالفاطمية وأسره من قبل الفرنج:

لم يقتصر ابن رواحة في مدحه على نور الدين ، وإنما قصد مصر سنة ٥٥٥ هـ واتصل بال الخليفة الماضد ووزيره الصالح بن رزيك ومدحهما ، فأحسنا إليه احسانا كثيرا(١١) .

وقد اهتب ابن رواحة فرصة وجوده في مصر ، فأتقبل على العلم ينهل نهلا من مصادره الثقات على أيدي طائفة من آئمه مصر في مصر والاسكندرية ، فجتمع في هذه الرحلة بين فضيلة العلم وفضيلة الأدب .

ولما حانت ساعة الموعد إلى حماة ركب سفينة متوجهة إلى ساحل بلاد الشام ، ولكن السفينة تعرضت للأسر من قبل فرنج صقلية ، وبقي ابن رواحة أميرا عندهم مدة غير معلومة ، حتى « توصل بسحر الشعراء إلى حل عقدته ونشط عقلته » على حد تعبير

العماد الأصبهاني^(١٢)) وعاد ابن رواحة إلى حماة واستقر فيها ثانية . غير أن كتب الأدب والتراجم لم تحفظ لنا شيئاً من أشعاره إبان تلك الفترة إلا النذر اليسير ، ولعل ذلك يعود إلى أن شهرة ابن رواحة لم تدع إلا في عهد صلاح الدين الأيوبي .

□ صحبته للناصر صلاح الدين واستشهاده :

ولما آلت بلاد الثامن إلى الحكم الأيوبي بعد انقراض العهد الزنكي على يد صلاح الدين سنة ٥٧٠ هـ اجتذبت شخصية البطل الجديد شاعر حماة وأعجب ببسالته وبناته ، وكان مرور صلاح الدين من حماة باعثاً له على الانطلاق والتفتي بأمجاد الأيوبيين وانتصاراتهم على الصليبيين ، فرحل ابن رواحة إلى مصر ، ومكّل بين يدي صلاح الدين الذي طرب لأماديه كما طرب الشاعر لأعطياته ، وكلاهما كان خليقاً أن يعطي ما استودع وما طُبِعَ عليه . وقد بلغ اعجاب ابن رواحة بصاحبه مبلغاً كبيراً دفعه إلى مراجعة الناصر صلاح الدين ومحاجة الجندي معارضهم متمنياً على الله الشهادة ، ويؤكد ذلك ما قاله ابن رواحة عندما زار قبر النبي عليه السلام في رحلة الحج :

يا خاتم الرسل سلِّ الله لى خاتمة محمودة العاقبة
ولا تردنْ يلني بعد ما مددتها مستشفعاً خائبه

ويذكر ابن واصل في تاريخه أن ابن رواحة عندما نام رأى النبي عليه السلام وهو يقول : قبلت يا بن رواحة^(١٧) . فقبل الشفاعة رسوله فيه ، وقضى إليه شهيداً بمراج عكا سنة ٥٨٥ هـ وذلك عندما قام الفرنج صلاح الدين لنجدته أهلها ، وكان على ميمنته بحصار مدينة عكا ، فهب السلطان الناصر تقي الدين عمر صاحب حماة مع رجاله الأشاوس من أبناء حماة الذين شاركوا في تحرير القدس من رقبة الصليبيين .

ولعل ابن رواحة كان يطمح إلى موقع القيادة كما كان جده الثامن في موقعة مؤتة ، ولكن اذا حرم القيادة فلن يحرم الشهادة وهي غايته ومناء ، ويشاء الله أن تكتب له الشهادة كما كتبت لجده شاعر الرسول عليه السلام ، فقط على أرض المركبة وهو ابن سبعين بعد أن دفع ضريبة الدم من أجل تحرير الأرض المقدسة من غاصبيها .

□ أغراضه الشعرية :

ترك ابن رواحة مجموعة من الأشعار لم تنتظم في ديوان ، فضاء العديد من قصائده ، ولم يسلم منها سوى قدر ضئيل تضمنته كتب الأدب والتاريخ والتراجم ، ومعظمها في المدح والرثاء والفنزل . وربما كانت الأماليح تشكل القسم الأعظم من شعره . فقد مدح على التوالي : نور الدين زنكي وال الخليفة الفاطمي العاضد ووزيره الصالح بن رزيك ، ثم وقف شعره على الناصر صلاح الدين بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين ، ولكن أصدق شعره عائلة وأروعه بياناً ما كان في مدح الرسول الكريم ، من ذلك قوله في رحلة الحج وزيارته النبي عليه السلام :

فقد ألمت أن المسير على هدى
كما شفعت بالشوق عن ساق العدا
وعدت ظلما التوايب في المحسن موردا
يداً ٠٠٠ كلما الفت إلى يشرب يدا
عليَّ كيوم زرت فيه محمداً^(١٤)
والقصيدة طويلة كما يقول صاحب مفرج الكروب ، وتدكرنا بقصيدة الأعشى عندما
هم بالوفادة على الرسول الكريم والتي يقول فيها :
فاليت لا أرثي لها من كلالة ولا من وجي حتى تلاقي محمداً^(١٥)

وربما كانت قصيدة ابن رواحة معارضة لقصيدة الأعشى ، بل اني ارجح ذلك ،
والموازنة بين القصيدين لا مكان لها في هذه المقالة .

وإذا كان شعر المدح عند ابن رواحة أقل جودة وفنية من شعر ابن التمافيدي^(١٦)
وهو معاصر له ، فان لشعر ابن رواحة قيمة تاريخية ذات بال عند المتمرين بأحداث
التاريخ ، فقد أفلح ابن رواحة في تصوير حال الفرنج من خلال قصائده التي سجل فيها
انتصارات نور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي على الصليبيين ، كما استطاع ان
يقدم وصفاً لما كانت عليه اوضاعهم السياسية والاجتماعية والدينية والمسكرية . ولمل
قصيدة ابن رواحة في مدح صلاح الدين من القصائد التي أضفت على الواقع التاريخي
روعة وجلاً ، من ذلك قوله :

لقد خبر التجارب منه عزم وقلب نهره ظهراء لبطن
لکف الکفر ان يطفى بمکر يحرر کل ذئ فکر وذهن
فساق الى الفرنج الغیل برا وادرکهم على بحر بسفن^(١٧)
ومنها قوله يصف السبب بعد وصول صلاح الدين الى دمياط والاسكندرية :
لقد جلب الجواري بالجواري يمددن بكل قدة مرجعهن
زهـت إسكندرية يوم سيقوا ودمياطـ الى المينا بغبن^(١٨)

كما يصف خوف الفرنج من صلاح الدين ، وما يصاحب ذلك الخوف من جزع في الليل
وهلع في النهار ، حتى كانت أقصى أماناتهم بلوغ الأمان حباً بالمالافية :

يرون خيالـ كالطيف يسرىـ فـ لو هـجمـواـ اـتـاهـمـ بـعـدـ وـهـنـ
أـبـادـهـمـ تـخـوـفـهـ فـامـسـىـ مـناـهـمـ لـوـ بـيـتـهـ بـامـنـ^(١٩)

دع العيس في طيـ الفـلاـ تـبلغـ المـدىـ
لـقـدـغـتـيـتـ بالـقـصـدـ عنـ جـاذـبـ السـرىـ
سـوتـ فـراتـ طـيـبـ المـعـرسـ فيـ السـرىـ
اعـدـ لـهـاـ فيـ قـبـصـهـاـ بـانـامـلـيـ
ولـمـ اـدـ فيـ الـاـيـامـ يـوـمـاـ مـبـارـكـاـ

والقصيدة طويلة كما يقول صاحب مفرج الكروب ، وتدكرنا بقصيدة الأعشى عندما
هم بالوفادة على الرسول الكريم والتي يقول فيها :

فاليت لا أرثي لها من كلالة

ولا من وجي حتى تلاقي محمداً^(١٥)

وربما كانت قصيدة ابن رواحة معارضة لقصيدة الأعشى ، بل اني ارجح ذلك ،
والموازنة بين القصيدين لا مكان لها في هذه المقالة .

وإذا كان شعر المدح عند ابن رواحة أقل جودة وفنية من شعر ابن التمافيدي^(١٦)
وهو معاصر له ، فان لشعر ابن رواحة قيمة تاريخية ذات بال عند المتمرين بأحداث
التاريخ ، فقد أفلح ابن رواحة في تصوير حال الفرنج من خلال قصائده التي سجل فيها
انتصارات نور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي على الصليبيين ، كما استطاع ان
يقدم وصفاً لما كانت عليه اوضاعهم السياسية والاجتماعية والدينية والمسكرية . ولمل
قصيدة ابن رواحة في مدح صلاح الدين من القصائد التي أضفت على الواقع التاريخي
روعة وجلاً ، من ذلك قوله :

لقد خبر التجارب منه عزم وقلب نهره ظهراء لبطن
لکف الکفر ان يطفى بمکر يحرر کل ذئ فکر وذهن
فساق الى الفرنج الغیل برا وادرکهم على بحر بسفن^(١٧)
ومنها قوله يصف السبب بعد وصول صلاح الدين الى دمياط والاسكندرية :
لقد جلب الجواري بالجواري يمددن بكل قدة مرجعهن
زهـت إسكندرية يوم سيقوا ودمياطـ الى المينا بغبن^(١٨)

كما يصف خوف الفرنج من صلاح الدين ، وما يصاحب ذلك الخوف من جزع في الليل
وهلع في النهار ، حتى كانت أقصى أماناتهم بلوغ الأمان حباً بالمالافية :

يرون خيالـ كالطيف يسرىـ فـ لو هـجمـواـ اـتـاهـمـ بـعـدـ وـهـنـ
أـبـادـهـمـ تـخـوـفـهـ فـامـسـىـ مـناـهـمـ لـوـ بـيـتـهـ بـامـنـ^(١٩)

ويشير ابن رواحة في تلك القصيدة الى مطافنة من الفرنج هي « الداوية » وكان اتباعها من عتاة الصليبيين المحاربين الذين أخضموا أنفسهم لقانون الرهبان البندكتيين (٢٠) فزهدوا في الحياة الدنيا ، وانصرفوا الى معبادتهم وعباداتهم، وأعرضوا عن مقاربة النساء ، وقصروا حياتهم على العرب والحياة ، ولذلك كان يطلق عليهم اسم « فرسان المبد » أو « فرسان هيكيل-ليمان » . وهذه الاشارة في شعر ابن رواحة جاءت في قوله :

أرى داوية الكفار خافت
بـه داء يضعف كل متن
ابوا نسلاً مخافة نسل بنت
تفارق دينهم او قتلة ابن
فقد عقوبا به من غير جبن (٢١)

اما شعر الرثاء فقد كان مقتبرا على من كان يعرفه من أهل العلم والفضل ، وربما كانت قصيده في رثاء استاذه عالم دمشق ومؤرخها ابن عساكر من مطلعات ابن رواحة ، فقد حرص أن يذكر فيها فضائل وآثار ابن عساكر ، وخدماته الجلى في سبيل اعلاء كلمة الدين . ويعود ابن رواحة أن المصائب بابن عساكر هو مصاب الاسلام والمسلمين ، وقد ذكر منها ياقوت الحموي في معجمه ثلاثة وأربعين بيتاً (٢٢) وأوردتها كاملة صاحب تهذيب ابن عساكر (٢٣) . ويرى بعض النقاد أن القصيدة كلام قد رص على أنه رص أميل إلى السقوط منه إلى البقاء . غير أنني أرى أن القصيدة تمثل أمنونجا من أدب الفقهاء لا أدب الشعراء ، والقصيدة لا تخلو من تكلف وصنعة ، وأروع ما جاء فيها قوله :

فايسر ما لاقت من ذبـه ناصر
خلت سنة المختار من ذبـه ناصر
فاروى بما يروى ظماء المعامل
وكم قد أبان العق في كل محفل
وردة من التشبيه شبهة باطل
وسد من التجسيم باب ضلالـة
مركبة من قوله في عوامل
وان يك قد اودى فكم من أسنة
سوى الأئمـة في نوح البواكـي الشواكل
أرى الأجر في نوحـي عليه ولا أرى
كبـك للدنيـاه على فقد راحـل (٢٤)

ويبدو أن ابن رواحة في غزلياته ٠٠٠ تشبيهاً ونبيباً ارق عاطفة وأرقى ديباجة ، وأقرب الى شعر الطبع منه الى شعر الصنعة ، ولكنه لا يفلت من الآثر الفقهي الذي طبع عليه الشاعر الفقيه ، وهذا الآثر كثيراً ما يكبح خيال الشاعر الجامع ، ويكتم في ضلوعه صوت الشعر . من ذلك قوله :

ان كلـن يحلـو لـديك قـتـلى
فـزـد منـ الـهـجـرـ فيـ عـذـابـي
وـبـيـنـك اللهـ فيـ الحـسابـ (٢٥)

وابن رواحة كفيفه من الشعراء يرى الحب طريقاً إلى السعادة في حال التواصل ، وطريقاً إلى الشهادة في حال العرمان من لذات الاتصال . وزبما كان ابن رواحة – وهو الشاعر الفقيه – متاثر بما حفظ لنا من أدب النبوة « من أحب ففت فمات ، مات شهيداً » وذلك حين يقول :

لاموا عليك وما دروا أن الهوى سبب السعادة
ان كان وصل ٠٠ فامنى او كان هجر ٠٠ فالشهادة^(٢٦)

ولكن الشاعر بما طبع عليه من زهد مرعان ما ينصرف عن الحب ، ويرى أن في الهجر والوصل اضاعة للدنيا والآخرة معاً ، وفي ذلك الضلال المبين . أسمعه وهو يخاطب قلبه :

ما أنت منه حامدأ أمرا
يا قلب دع عنك الهوى قسرا
اضعت دنياك بهجرانه ان نلت وصلاً خساعت الأخرى^(٢٧)

وقد يروق له الضلال ، فينهج في شعره نهجاً توسيعاً حتى تتحدد غزليات النسوية بالفلامية ٠٠ من ذلك قوله :

فالم على السلوان هناك معوال
فالام يتعب في هواك العذل
يزداد حبتك كل يوم جدة وكان آخره بقلبي أول
اصبحت ناراً للمحب وجنة خداك جمر غضاً وريفك سلسيل
لك لين أغصان النقا لو لنت لي ولك اعتدال قوامه لو تعدل^(٢٨)

ويبيّن هذا اللون من الغزل الفلامي دليلاً على صدق الصورة التي تنعكس في مرآة الشعر عن الحياة اليومية ونزوات أهل الأهواء ونزغاتهم الشيطانية ، وان بدا لنا غير شهي على مائدة الأدب العربي .

□ مذهب الشعري :

جرى ابن رواحة في قصائده مجرى الشعراً القديماً غير مخالف أو مجائب لما عرفه العرب في التصييد العمودية ، فهو يبدأ عادة بالغزل ثم ينتقل بعد ذلك إلى الفرض من نظم الشعر مواءً أكان مدحًا أم غيره من ضروب الشعر .

ويبدو أن ابن رواحة كان مولعاً في شعره باستخدام الصور البينية والزخارف البديمية والمحسنات اللقطية والمنوية ، شأنه في ذلك شأن الكثرين من الشعراء الذين أخذتهم بهارج الصنعة البديمية فظلوا عليها عاكفين . وكان من آثار هذه البهارج اللقطية انتشار الآلزار والمعميات في الشعر العربي ، ولعل ابن رواحة كان من جيل الرواد في الأجاجي الشعرية ، وقد أورد له المعاد الأصبهاني عدداً من المقطمات الحسان^(٢٩) .

وتجدر بالذكر أن الأثر الديني أو الفقهي يبدو واضحاً في شعر ابن رواحة ، ولعل الشواهد التي ذكرناها آنفاً تتفق عن ذكر المزید .

وقد أوجز العماد الأصبهاني القول في شعر ابن رواحة مقرضاً لا ناقداً ، وبين التقرير والتلخيص شوطاً بعيداً ، وفي مقدمة العماد الأصبهاني تلمع عين الرضى ، اذ جاء في الغريدة قوله : شعر ابن رواحة روح الشعر وروح السر ، وريحان أهل الأدب ، وراحة ذوى التعب . معنى لائق ، وروي شائق ، وكلام فائق ، وأسلوب موافق . سمح الفريزة ، سهل التحيزة . . . لا يتكلت صنعة ، ولا يتعسف صيغة ، ولا يركب الا الدلول الذي يسلف العقول . ان أقصد بلغ المقصد ، وان أقطع أحسن المطلع والمقطع ، وان نسب أهاب نسميم النسيب ومتارج الريما ، وان تفزع لشبة بالفنالة والفنزال الحبيب المتجلج المعياً (٢٠) .

.. وبعد : فهل أحسن ابن رواحة في صيده الشعري عندما طار محلقاً في سماء ملوك الشعر ، أم أنه لم يكن ذلك البازى الذى أراده بقوله :

وللزبور والبازى جميماً لدى الطيران اجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد بازى وما يصطاده الزبور فرق (٢١)

ان لم يكن كذلك .. فحسب ابن رواحة شرفآ مدح النبي عليه السلام ، ومجد الشهادة على بطاح فلسطين .

★ ★ ★

□ حواشى البحث :

- ١ - مفرج الكروب ٢ : ٣٠٠
- ٢ - معجم الأدباء ١٠ : ٤٦ ، تهذيب ابن حساكن ٤ : ٣٠٢
- ٣ - فوات الوفيات ١ : ٤٦
- ٤ - المفتح القسي ٣٨ : ٣١٨
- ٥ - كتاب الروضتين في أخبار النولتين ٢ : ١٤٢
- ٦ - اللغة العربية رقم ٨٧
- ٧ - المراجع السابقة ٤٦ : ٤٦
- ٨ - الوايى بالوفيات - الجزء العاشر - مصورات مجمع اللغة العربية رقم ٨٧
- ٩ - خريدة القصر ١ : ٤٩٢
- ١٠ - الرجيم السابقة ٤٦
- ١١ - مفرج الكروب ٢ : ٣٠١
- ١٢ - خريدة القصر ١ : ٤٨٢ ، مفرج الكروب ٢ : ٣٠١
- ١٣ - مفرج الكروب ٢ : ٣٠٢
- ١٤ - المرجع السابق
- ١٥ - شرح ديوان الأعشى ٤٧ : ٤٨
- ١٦ - هو أبو الفتح محمد بن هيداوة ، شاعر مشهور تقدم على شعراء العراق ، نسب إلى التعاويني جده لأمه نشأ في حبرة ، توفي سنة ٥٨٤ هـ (شدرات الذهب ٤ : ٢٨١)
- ١٧ - خريدة القصر ١ : ٤٩٢
- ١٨ - المرجع السابق
- ١٩ - المرجع السابق
- ٢٠ - لمزيد من التفصيل حول قاعدة القديس بندكت يمكن الرجوع الى ما كتبه وعربه الدكتور نور الدين حاطوم في كتابه القيم « تاريخ مصر الوسيط » ١٤١ و « ما تلاماً »
- ٢١ - خريدة القصر ١ : ٤٩٥

- | | |
|--|---|
| ٢٧ - المرجعان السابقان ، وفي فوات الوفيات تغير طفيف في
رواية البيتين .

٢٨ - خريدة القصر ١ : ٤٨٦ .

٢٩ - المراجع السابق ١ : ٤٨٨ - ٤٨٩ .

٣٠ - المراجع السابق ١ : ٤٨٢ .

٣١ - معجم الأدياء ١٠ : ٥٦ . | ٢٢ - معجم الأدياء ١٠ : ٥٤ - ٥٨ .

٢٣ - تهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٢ .

٢٤ - معجم الأدياء ١٠ : ٥١ - ٥٢ .

٢٥ - فوات الوفيات ١ : ٢٧٦ ، معجم الأدياء ١٠ : ٥٥ .

خريدة القصر ١ : ٤٨٣ .

٢٦ - معجم الأدياء ١٠ : ٥٥ ، فوات الوفيات ١ : ٢٧٥ .

وفيه :
ان كان وصلاً فالمى او كان هجراً فالشهادة |
|--|---|

★ ★ ★

□ مصادر البحث :

- ١ - الاعلام (ج ٢) : خفي الدين الزركلي - مطبعة كوستاتوماس بمصر ١٩٥٤ .
- ٢ - تهذيب ابن عساكر (ج ٤) تصحيح عبد القادر بدران - مطبعة روضة الشام ١٣٣٢ .
- ٣ - خريدة القصر وجريدة القصر (ج ١) عماد الدين الاصفهاني (٥٩٧) هـ - تحقيق الدكتور شكري فيصل - مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٥ .
- ٤ - شدرات الذهب في اخبار من ذهب (ج ٤) : ابن العماد العنطلي (١٠٨٩) هـ - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٧٩ .
- ٥ - الفتح القدسى في الفتح القدسى : العماد الاصفهاني (٥٩٧) هـ - تحقيق محمد محمود صبح - طيبة الدار القومية للطباعة والنشر - مصر ١٩٦٥ .
- ٦ - فوات الوفيات (ج ١) : ابن شاكر الكتبى (٧٦٦) هـ - تحقيق محي الدين عبدالحميد - مطبعة المسئانة - القاهرة ١٩٥١ .
- ٧ - كتاب الروضتين في اخبار الموتىين (ج ٢) : عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي الملقب بابن شامة (٦٦٥) هـ - القاهرة ١٢٨٢ هـ .
- ٨ - مفرج الكروب في اخبار يبني ايوب (ج ٢) : ابن واصل العمسي (٦٩٧) هـ - تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٥٣ .
- ٩ - معجم الأدياء (ج ١٠) : يالوت العمسي (٦٦٦) هـ - طبعة دار المامون - مصر ١٩٣٧ .
- ١٠ - الوالق بالوفيات : صلاح الدين خليل بن ابيك الصنفي (٧٦٤) هـ - البزه العادى عشر مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٨٧ .

★ ★ ★

عمرُو بْنُ أَحْمَرَ الْبَاهِي

الشاعِرُ الْخَضْرَمُ

محمد محجى الدين مينو*

لابن أحمر مكانة مهمة في لغة العرب وديوانهم ، اذ كان شاعراً فصيحاً متقيناً على غيره من الشعراء المخضرمين في فنون الشعر وغريبه ، فاستشهد على اللقة بشعره كثيراً ، حتى لا يكاد مصلب من مصادرها يخلو من بيت له ، وجعله غير واحد من القناد القدامى فوق طبقته ، ومع هذا غفل عنه مؤرخوا الأدب ودارسوه ، فلم يحظ باهتمام علمي ، يليق بمكانته لدى القديماء ، فمن ابن أحمر ؟

إن

١ - نسبة وأسرته :

ان شاعرنا هو عمرُو بْنُ أَحْمَرَ الْبَاهِي من بني معن بن مالك بن أعمُر^(١) ، ولا خلاف في ذلك ، ولكن الخلاف تجده في نسب ابن أحمر الذي يصل بينه وبين « معن بن مالك أعمُر » . فأبُو زيد الترشي في جمهرة أشعار العرب ، والمرزباني في معجم الشعراء أوردَا نسبة على هذا النحو : « عمرُو بْنُ أَحْمَرَ بْنُ الْمُرَّادِ بْنُ عَامِرٍ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ هَبْدَ بْنِ قَرَّاصِ بْنِ مَعْنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَعْمَرٍ »^(٢) ، وأورد نسبة ابن سلام في طبقات فحول الشعراء^(٣) ، وأبُو الفرج في الأغانى^(٤) ، والأمدي في المؤتلف والمختلف^(٥) ، والمرزباني مرة أخرى في معجم الشعراء^(٦) ، وأبُن حجر في الاصابة^(٧) ، والزبيدي في التاج^(٨) ، ولكن ثمة شيئاً من الاختلاف بين هذه المصادر، فقد ورد عند ابن سلام والمرزباني وأبُن حجر^(٩) : « الْمُرَّادُ بْنُ تَمِيمٍ بْنُ رَبِيعَةِ أَبْنِ حَرَامٍ بْنِ قَرَّاصٍ » ، وعند أبي الفرج : « عبد شمس بن قرّاص » ، وعند الأمدي : « عبد بن قدام بن قرّاص » بالتفاف ، وهو تصحيف ، وتقول الأمدي عن ابن الكلبى ما أورده في جمهرة التسبب ، فقال : « عامر بن عمرو بن عبد بن قرّاص » ، وورد عند الزبيدي : « الْمُرَّادُ بْنُ عَمْرُو بْنُ قَرَّاصٍ » .

واختصر نسبة ابن قتيبة في الشعر والشعراء^(١٠) ، والبكري في سمع اللآلئ^(١١) والبطليوسى في الاقتضاب^(١٢) ، وقالوا : « عمرو بن أحمر بن فراس بن معن » ، وقال ابن الجراح : « عمرو بن أحمر بن العمـرـ دـالـبـاهـلـيـ منـ بـنـ بـنـ فـرـاسـ »^(١٣) .

وتفق هذه المصادر كلها على أن ابن أحمر منبني فراس بن معن ، ولكن الغلاف الغريب إنما يطالعنا فيما أورده ابن الشجري في أمالية ، إذ قال : « هو عمرو بن أحمر بن العرء بن عامر بن عبد شمس بن معن بن مالك بن عاص بن عبد الله بن قيس عيلان بن مضر »^(١٤) . وهذا النسب غريب ، تفرد به ابن الشجري في أمالية ، ثم نقله عنه البندادى في خزانة الأدب^(١٥) ، ولم نقف على أثر له في غير الأمالى والخزانة ، فابن الشجري يجعل « عبد شمس بن معن » ، فيختصر حلة بارزة من حلقات نسبة ابن أحمر ، وهي فيما أورده القرشى والمزبانى : (عبد بن فراس)^(١٦) ، إذ ليس في أولاد معن بن مالك من سمي عبد شمس^(١٧) .

والمهم أن ابن أحمر منبني فراس بن معن بن مالك بن عاص ، وأما كنيته ، فلم نجد له سوى كنية واحدة ، إذ كان « يكنى أبا الخطاب »^(١٨) ، ولكنه لم يكن يُعرف بكنيته أو بلقبه ، وإنما يذكر باسمه ، فيقال : ابن أحمر ، فميّز بينه وبين من سمي باسمه من الشعراء ، ولهذا يراه الطيبالى من « عرف باسمه دون لقبه »^(١٩) ، ويؤكد ذلك ابن الأثير في المرصع ، فيذكره في الأبنام من معجمه ، ويقول : « ابن أحمر : هو عمرو بن أحمر الباهلى ، شاعر معروف ، يستشهد على اللغة بشعره كثيراً ، فيقال : ابن أحمر ، ولا يذكر له اسم »^(٢٠) .

وإذا سألنا صاحب المؤلف والمختلف عن عرف باسم « ابن أحمر » في ديوان العرب ، فسنظفر بثلاثة شعراء ، يعرفون به غير ابن أحمر الباهلى ، وأحد هم : « ابن أحمر الباجلى ثم العتكتى ، أحد بنى العتكتى بن الربيعة بن مالك بن عبد الله بن زيد بن قسر بن عبقر بن أنسار ابن إراش بن عمرو بن الفوزان بن نبيت بن زيد بن كهلان بن سبا » . وابن أحمر هذا إسلامي قديم ، وشاعر مجيد ، وصف للحيات ، وعلى قوله احتذت الشعراء ، وهو القائل :

قد كاد يأكلنى أصم مرقش ٠٠٠ « القصيدة »^(٢١) .

والآخر : « ابن أحمر الكنانى ، وهو هنـىـ بنـ أحـمـرـ منـ بـنـ العـاـرـثـ بنـ مـرـةـ بنـ عبدـ منـاـ ابنـ كـنـانـةـ بنـ خـزـيـمـةـ ، جـاهـلـيـ ، وـهـوـ المـقـائـلـ :

[يا] ضـمـنـ أـخـبـرـنـيـ ولـسـتـ بـمـغـبـرـيـ ٠٠٠ (القصيدة) »^(٢٢) .

والثالث : « ابن أحمر الإيادى ، ولم يقع الي من شعره كبير شيء ، ووجدت له في كتاب إيداد بيتاً واحداً ، وهو :

هل يـتـنـهـيـنـكـ عنـ نـوـكـ وـعـنـ حـمـقـ منـ بـالـجـزـيرـةـ مـنـ بـرـدـ وـدـعـمـيـ »^(٢٣)

وتتبع سائر من يقال له : « ابن أحمر » في ديوان شعرنا العربي (٤)، فوجدت المرزباني في معجم الشعراء يذكر اثنين منهم، وأحدهم : « عوف بن عبد الله بن الأحلدر الأزدي » : شهد مع علي - عليه السلام - صفين، وله قصيدة طويلة ، رثى فيها العسين ، عليه السلام ، وحضر الشيعة على الطلب بسمه، وكانت هذه المرثية تغبا أيامبني أمية ، إنما خرجت بعد ذلك ، قاله ابن الكلبي ، فيها :

ونحن سمعنا لابن هند بمحاجفل ٠٠٠٠ (القصيدة) (٧٥) ٠

والأخر : « عطاء بن أحمر المديني » : أحد ظرفاء المدينة المدودين ، يسير الشعر ضعيفه ، له قصيدة يذم فيها جواري القيان ، أولها :

لا تعتبن على القيان ولا تتره ود القيان فانهن تجار (٧٦) ٠

ولعل ابن أحمر هذا هو الشاعر نفسه الذي روى له الوشائ في الموشى (٢٧) قصيدة رائعة ، يذم فيها القيان ، ويصف ظرفه ممهن ، ولعله التظريف نفسه الذي عناه الجاحظ يقوله : « ولو أن رجلاً ألق نادرة بابي العارث جمئن والهيثم بن مطهر وبمزيدَ وابن أحمر ، ثم كانت باردة لجردت على أحسن ما يكون » (٢٨) . ويبين أن هذا الشاعر التظريف قد حظي بكثير اهتمام ، فجمع بعضهم أخباره ونواصره في كتابين ، يذكر ابن النديم في الفهرست (٢٩) أحدهما - وهو « كتاب ابن أحمر » - في (أسماء الرجال) لا يعرف من صنفها ، والأخر - وهو « نواصر ابن أحمر » - في (أسماء قوم من المقلعين الـفـيـقـيـنـ فيـ نـوـاـصـرـ) ، فلا يساورنا أدنى شك في اضطراب بين هذا الشاعر المغفل وشاعرنا ابن أحمر الباهلي .

وإذا أردنا البحث عن أسرة ابن أحمر لم يكن ذلك بالأمر الميسور ، إذ إننا لا نجد حديثاً واضحاً عن أسرته في مصادرنا القديمة ، وكل ما نعرفه أشتات بسيطة ، لا تكاد تبرز جوانب صورة بيت شاعرنا بوضوح .

والظاهر أن ابن أحمر عاش في بيت متواضع ، لا يمتاز بشيء من صيت أو شهرة ، شأنه في ذلك شأن قبيلته باهله ، والرواية لا يذكرون شيئاً من أخبار أجداده غير ما حدثنا اليزيدي عنه ، فقال : « كان المـمـرـدـ جـدـعـمـرـوـ بـنـ أحـمـرـ الـبـاهـلـيـ ، فـطـلـبـنـ رـجـلـ يـزـيدـ بـنـ الـمـعـقـلـ ، فـرـجـعـتـ فـيـ وـقـةـ كـانـ بـيـنـهـمـ » (٣٠) ، ثم أنشد اليزيدي في تلك المـوـقـعـةـ رـجـلـاـ يـرـوـىـ لـابـنـ أحـمـرـ وـعـمـهـ تمـيمـ بـنـ العمـرـ مـاـ ، فقال (٣١) :

أبي الذي اختبأَ رجل ابن الصدق
اذ كانت الغيل كعلباء العنق
ولم يكن يرده العين العمق

وسواء أصبح هذا الرجل لتميم بن العمراً لم يصح ، فإن المطبي الـسـيـيـ انشد له شمراً في أغشى بني بيـنةـ ، فقال (٣٢) :

فمن مبلغ أعشى بنى بَيْنَ أَنْسِي
وَانْ ضَجَّ مِنِي بَالنَّعْيِ خَافَ وَالْقِعْ
لَقَهْرَكَ فِي يَوْمِ الْعَيْقَلَةِ مَانِعٌ (٣٣)

والرواية ما كانوا لينسبوا شيئاً اليه لولم يدركوا له شمراً قليلاً كان أم كثيراً، فالأرجح أن عمه كان شاعراً ، ولعل والد ابن أحمر كان يرتجز كأخيه تميم ، فقد روى أبو عمرو الشيباني هذا الرجز لأبي الموده (٣٤) :

تَشَكُّو إِلَى الْأَدْتَنِينَ وَالْأَقْسَارِ
مِنْ أَسْدٍ فِي الرَّخْنِلِ غَيْرَ كَاسِبٍ
لَيْثٌ عَلَى مَا جَمَعَتْ قَرَاضِبِ (٥٣)

فإذا صح لدينا أنه اختص بهذه الكنية دون سائر اخوه ، فانته تؤكد أنه كان يرتجز حقاً ، ولكن المصادر لا تسعفنا بالخبر اليقين ، فيبقى الأمر مجرد ظن بحث .

وروى ابن بري شمراً مضطرباً بين ابن أحمر والأزرق بن طرفة بن العمرد بن الفرزاصي (٣٦) ، فلعل الأزرق ابن عمه كان شاعراً أيضاً ، وابن السيرافي يحدثنا عنه ، فيقول : « تنازع ناس من بنى قرطاص وناس من بنى قترة بن حبيرة بن سلامة بن قشير ، حتى صاروا إلى السلطان ، فقال بعض القشيريين للسلطان : إن الأزرق بن طرفة – وهو من بنى باهلة – لص بن لص ، ليغزو به ، فقال قصيدة ، فيها :

رَمَانِي بَامْرِ كَنْتِ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيشَا وَمِنْ أَجْلِ الطَّوَّيِ رَمَانِي
دَعَانِي لَصَا مِنْ لَصُوصِ وَمَا دَعَا بَهَا وَالِدِي فِيمَا مَضِي رَجَلَانِ » (٣٧)

واما والد ابن أحمر واخوه ، فلم نتعذر على شيء من أخبارهم غير ما أورده ابن رشيق في العمدة والد ابن أحمر واخوه ، فلم نتعذر على شيء من أخبارهم غير ما أورده ابن رشيق في العمدة ، فسمى أخوين له في من لم يُعرق في الشعر ، فقال : « عمرو بن أحمر ، وأخوه سنان وسيئار » (٣٨) ، وفي كلام ابن رشيق ما يدل على أن بيت ابن أحمر لم يكن مُعترقاً في الشعر ، فليس في آيديينا من الدلائل ما يشير إلى أن والده وجده كانوا شاعرين ، أو أن هذا الأمر قد تكرر في أولاده وأحفاده .

وإذا دلفنا إلى بيت ابن أحمر نفسه ، فإن المصادر القديمة لا تسعفنا بشيء من الأخبار حول زوجه وأبنائه ، ولكننا نعرف أنه كان متزوجاً ، وأن العلاقة بينه وبين زوجته كانت غير ودية ، وذلك مما أنشده الأنباري ، فقال : « قال ابن أحمر يذكر أمراته :

رَمَتِي بِهَوَزَاتِ الذُّنُوبِ وَبِأَعْدَتِ فَرَاشِي فِي لِنَاسٍ مَاذَا يُلِيقُهَا » (٣٩)

وبينما أن هذه العلاقة قد انتهت بالطلاق ، فهو يذكر أنها كانت ترجمو في الطوائف زوجاً آخر سواه ، فتدركه منبوداً وحيداً :

أَمْسَتْ تَخَيَّرَ فِي الْأَشْيَاعِ أَيْهُمْ تَرْضِي وَأَمْسِيَتْ بِوَا نَاثِيَا جَسَّدَا (٤٠)

ولهذا نراه يرحب بها عن كل مسترخ مستكين ، ويرغب إليها كل أديعي شجاع ،
و « يقول لأمرأته » (٤١) :

سرى في الركب أصبح منستكينا
اغتثا كان حالك لم سمينا
كما القيت بالتنن الوضينا
على ما في سقائك قد روينا
فلا قيدها يدل ولا لتبونا
من الفتىان لا يضحي بطينا
إذا نفخ العيوب وقد خفينا
إذا زجر السبندنة الأمونا
وهن لفيرة لا ينتفينا
ولا الطير الذي لا تعبرينا (٤٢)

فلا تصلني بمطروق اذا ما
مطيع لا يطاع ولا ينبعالي
يظل أمام بيتك مجرعيها
إذا شرب المرضعة قال أوكى
إذا اشتد الزمان أكب لتغينا
وكوني ان هلكت لأريحي
كان الصقر يقلب مقلتيه
كان الليل لا يأتي عليه
يصيب مغارما في القوم قصدا
فما كلفتك القذر المقبسي

وتقع على رواية أخرى للأبيات ، تنشد لها بعض المصادر ، وتقول : « فبلي يا غني
باريحي » (٤٣) ، فترى أن هذه الزوج كانت تدعى غنية ، ولكن ابن أحمر رحمة ، فقال :

شيء وهان بذلك ما لم تزدد
مرحتوجالت في الصراح الأبعد (٤٤)

ذعمت غنية أن أكثر لم تسي
لما رأت غربا هجائن وسطها

وقال :

ببرق في عوارض قد شريننا
جواشن ليهنا بينا وبينا
وجارتها ومن أم البنيننا (٤٥)

وما بيساء في نضد تداعى
يضمء صيرها في ذي جسى
باحسن من فنيّة يوم راحت

ولملنا نلح في هذا الشعر سبباً مهماً من أسباب الغلاف بينهما ، فهو شيخ
طاعن في السن ، يشكو - كما سرى - عوراً في عينيه وستقاً في بطنه ، وهي امرأة شابة ،
تمرح بنشاطها وحيويتها ، فتتسادي في مواجهته والاستخفاف به ٠

وابن أحمر يذكر في شعره نساء آخريات ، هن : ليلي والعازية وهي وختناء وكتانية
وجدوى ، ولا ندرى من أمرهن شيئاً غير هذه الأسماء التي قد تكون لامرأة واحدة ، يكنى
بها عن اسمها الحقيقي الذي يريده ٠

٢ - نشاته وصلاته :

اذا كانت المصادر القديمة قد حنت علينا بأخبار أهل بيته وأحوالهم ، فحياته لم تكن بأدنى حظاً من ذلك ، فقد شغلت هذه المصادر بما أتي به من حروف الغريب والفصيحة واللغة ، وأغفلت أخبار نشاته ومراحل حياته ، فلا نكاد نجد شيئاً من سيرته الأولى .

ولهذا فتحنا لا ندرى متى ولد ، وكيف شب وتدرج ، ومع ذلك كله لا بد لنا أن نلتمس شيئاً عن نشاته من خلال ما عثرنا عليه من أخبار يسيرة في أصناف تلك المصادر ، وما نجده في قصائد ابن أحمر نفسه .

وأقدم ما نجده من إشارات إلى نشاته الأولى ما رواه ابن قتيبة عن أبي عمرو بن العلام (١٥٤ هـ) ، فقال : « قال أبو عمرو بن العلام : كان ابن أحمر في الموضع بقعة من الأرض أملاً ، يتبدل والممتع ، يعني مولده قبل أن ينزل الجوزية ونواحيها » (٤٦) ، فنشأ هذا الطفل الأعرابي في أحضان ياديه نجد ، وتهيات له سبل الفصاحة ، حتى أمكن له أن يكون « سجع الكلام كثير الغريب » (٤٧) ، ثم يكون « الشاعر الفصيح » الذي يتقدم شعراء أهل زمانه (٤٨) . وإن كان أبو عمرو بن العلام قد حيد مولده بتجدد ، فليس من مصدر آخر يعدد بوضوح الزمن الذي ولد فيه ابن أحمر ، ولكن ثمة اتفاقاً بين الملمع على أنه « من شعراء الجاهلية » (٤٩) ، فما لا شك فيه أنه عاش طفولته وشعلها من شبابه قبل الإسلام ، حتى كان شاعراً من شعراء الجاهلية المذودين (٥٠) ، قال فيها قصائد كثيرة ، ولعل معنى ذلك أنه كان في نحو الشرين من عمره على أقل تقدير ، وإذا كان ابن أحمر قد أدرك المقد الأول من ولاية عبد الملك بن مروان (٣ - ٧٣ هـ) حين شكا ظلم الساعة التي يعيي بن الحكم بن أبي العاص ، واليه على المدينة سنة خمس وسبعين للهجرة (٥٢) ، فهذا يعني أنه قد عمر نحو خمس وتسعين ، ويؤكد هذا أيضاً أنه قد ولد قبل الهجرة ب نحو عشرين سنة .

ويكاد هذا الشطر من حياته يكون غامضاً أشد الفوضى ، وذلك لأننا لا نعرف خبراً واحداً ، يضيء لنا جانباً ما من جوانب هذه الفترة التي قضتها في الجاهلية ، ولهذا نفترض إلى أن تستقرئ شعره ، فنراه في أغلب قصائده يتسرّع على أيام شبابه ، ويندب ما يلاقيه من صروف الدهر ، وفي هذا ما يدل على أن تلك القصائد لم تنظم إلا في فترة متأخرة من حياته ، وإذا ما بحثنا في شعره عن ذكريات الشباب ، فأننا لا نجد سوى ذكرى مجلس لهو وشراب ، لا يدانبه في سموه غير مجالس الملوك ، وهو يصطحب بفنان القبيان وموسيقي المود والصنج ، ويعشق بريح الكؤوس والقلوب :

ولقد غدت وما يفزعني خوف أحاذره ولا ذعر
رود الشباب كانني فصن بحرام مكة ناعم نفس
كشراب قيل من مطيته وكل امر والمع قدر

مـد النهـار لـه وطـال عـلـيـه
 ومسـفـة دـهـمـاء دـاجـنـة
 وجـرـادـتـان تـغـنـيـاـنـهـم
 وـجـلـبـلـ دـانـ زـبـرـجـلـهـ
 وـثـانـ حـنـأـنـانـ بـيـنـهـمـا
 هـلـلـيـلـ وـاسـتـعـتـ بـهـ الغـمـرـ
 رـكـلتـ وـاسـبـلـ دـونـهـاـ السـتـرـ
 وـتـلـلـاـ المـرـجـانـ وـالـشـلـرـ
 حـبـ كـمـا يـتـعـدـبـ الدـبـرـ
 وـتـشـانـ حـنـأـنـانـ بـيـنـهـمـا
 وـلـا خـمـدـتـ نـشـوـةـ الذـكـرـيـ ،ـ وـأـحـسـ اـبـنـ أـحـمـرـ أـنـ الشـبـابـ قـدـ وـلـيـ ،ـ بـدـاـ لـلـشـاعـرـ الـحـكـيمـ
 أـنـ طـرـيقـ اللـهـ بـطـلـ وـضـلـلـةـ :

خلوا طريق الديربون فقد ولی الصبا وتفاوت النجر(٥٤)

ويبـدوـ منـ خـلـالـ قولـهـ :ـ «ـ كـانـتـيـ غـصـنـ بـحـرـامـ مـكـةـ نـاعـمـ نـسـرـ»ـ ،ـ أـنـ هـذـاـ الفتـيـ النـجـدـيـ
 كـانـ يـرـتـحلـ إـلـىـ الـعـجـازـ ،ـ وـلـكـنـاـ لـاـ نـقـوـيـ عـلـىـ تـحـدـيـدـ ذـلـكـ بـوـضـوحـ وـدـقـةـ ،ـ وـذـلـكـ لـأـنـاـ
 لـاـ نـجـدـ مـنـ أـخـبـارـ تـلـكـ الرـحـلـاتـ الـأـمـلـ الـمـذـكـورـ إـلـىـ الـاشـارـةـ إـلـىـ بـعـضـ بـلـادـ الـعـجـازـ .ـ
 وـهـذـاـ المـجـلسـ الـوـحـيدـ فـيـ شـعـرـهـ يـنـمـ عـنـ شـبـابـ فـتـيـ ،ـ لـمـ يـكـنـ مـاجـنـاـ ،ـ إـذـاـ مـاـ قـوـرـنـ بـماـ
 نـرـاهـ مـنـ طـرـفةـ بـنـ العـبـدـ وـأـمـرـيـ القـيـسـ مـثـلاـ ،ـ أـوـ بـماـ يـعـرـفـ اـبـنـ أـحـمـرـ نـفـسـهـ عـنـ الـمـلـكـ
 الـضـلـلـ وـلـهـوـ بـهـنـدـ وـهـرـ وـفـرـنـتـىـ .

وأـمـاـ قـصـائـدـ الشـبـابـ ،ـ أـوـ مـاـ قـالـهـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ ،ـ فـقـدـ كـانـ كـثـيرـاـ ،ـ حـتـىـ اـنـ الـأـصـفـهـانـيـ
 قـالـ :ـ «ـ قـالـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ وـالـاسـلـامـ شـعـرـاـ كـثـيرـاـ»ـ (٥٥)ـ ،ـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـصـلـ إـلـيـنـاـ مـنـ سـوـيـ
 أـبـيـاتـ يـسـرـةـ ،ـ تـرـتـيـبـ باـحـدـاثـ جـاهـلـيـةـ مـعـيـنـةـ ،ـ لـاـ نـجـدـ بـيـنـ أـيـدـيـنـاـ وـسـيـلـةـ إـلـىـ تـحـدـيـدـ زـمـنـهاـ
 بـدـقـةـ ،ـ وـلـمـ أـوـضـعـ مـثـالـ نـسـوـقـ هـنـاـ مـاـ أـنـشـدـهـ اـبـنـ أـحـمـرـ فـيـ سـلـئـيـ ،ـ وـهـوـ يـوـمـ لـبـاهـلـةـ عـلـىـ بـنـيـ
 ضـبـةـ ،ـ فـقـالـ :

مـنـ لـكـ أـنـ تـلـقـيـ اـبـنـ هـنـدـ مـنـيـةـ
 وـجـعـلـاـ أـبـاـ عـمـروـ وـقـرـةـ ذـاـ النـلـىـ
 عـرـانـيـنـ مـنـ عـبـدـ بـنـ فـنـمـ أـبـوـهـمـ
 فـوـارـاسـ سـلـئـيـ يـوـمـ سـلـىـ وـسـاجـرـ
 لـلـنـ غـلـوـةـ حـتـىـ كـرـرـنـ عـشـيـةـ
 تـدـارـكـنـ حـيـاـ مـنـ نـبـيـ بـنـ عـامـرـ
 فـلـمـ أـرـ يـوـمـ كـانـ أـكـثـرـ غـارـةـ
 وـشـمـساـ أـبـتـ اـطـنـابـهاـ أـنـ تـقـضـيـاـ (٥٦)

وـأـمـاـ تـلـكـ الـأـشـتـاتـ الـتـيـ نـلـمـلـهـاـ مـنـ أـضـعـافـ كـتـبـ الـلـفـةـ وـالـأـدـبـ لـاـ نـكـونـ مـنـالـينـ إـذـاـ
 مـاـ قـلـنـاـ :ـ أـنـ طـائـفةـ مـهـمـةـ مـاـ قـالـهـ اـبـنـ أـحـمـرـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ قـدـ فـقـدـتـ ،ـ شـائـهـ فـيـ ذـلـكـ شـائـهـ كـثـيرـ
 مـنـ شـعـرـ الـجـاهـلـيـةـ الـذـيـنـ أـغـلـلـ ذـلـكـ الـجـانـبـ الـمـهـمـ حـيـاتـهـ .

وقد حاول الدكتور حسين عطوان أن يقول شيئاً في هذا الأمر ، فزعم «أن ما يقى
من شعره لا يتبينه بأنه قال شمراً كثيراً أو قليلاً في الجاهلية ، وقد تكون بعض أشعاره التي نظمها
في الجاهلية قد ضاعت ، ولم تصل إلينا»^(٦٧) ، إلا أن الدكتور عطوان في مناقشته هنا الأمر
كان حازماً جازماً ، فقال الكلمة الأخيرة في آيات ، لا يملك أمامها الباحث غير أن يتريث ،
حتى يقف على نسخة من ديوان ابن أحمر ، نرجو أن يوجد بها الزمان .

وإذا ما نظرنا إلى علاقة ابن أحمر بقومه ، وهو في مطلع شبابه ، لم نجد لها ودية ،
وربما أوشكت أن تصل إلى حد خلمه ومدرده ، ويدرك ذلك على لسان زوجه ، فيقول :

نأينا ان نزور وان تزارا
تقول حليلتي بشراء إنما
عليكَ الجانب الوحشي اني
سمعت لقومنا حليفا حاروا
لشن ورد السممار لقتلنـه
فلا وأبيكَ لا أرد السمـارـا
اخاف بـسوانـقا تسـري إـلينـا
من الأشيـاع سـوا او جـهـارـا^(٦٨)

والصادرة القديمة لا تسعفنا بالأسباب ، ولكن القصيدة ذاتها تشير إلى طرف خفي
من هذا الخلاف ، إذ بدا أن قريباً له ثال من عرضه قدحاً وذماً ، فهجاء ابن أحمر ، وقال :

كداء البطن سـلا او صفارـا
ارانا لا يزال لنا حـيمـه
ليـلتـقـعـهـما فـيـنـتـجـهـا حـوارـا
يعـالـجـ عـاقـرـا اـعـيـتـ عـلـيـهـ
ابـا دـغـفـاءـ وـلـدـهـما فـقـارـا
يـدـنـسـ عـرـضـهـ لـيـنـالـ عـرـضـيـ
بـشـرـتـهـ فـتـارـكـنـا تـبـارـا^(٦٩)

ويظهر أن ابن أحمر لم يسلم في غمرة هذا الخلاف من بوائق قومه ، ويدرك الرواة أن
مَخْشِيَاً – ولله أحد رجالهم – رماه بسهم ، ففقأ عينه^(١٠) ، ففرح لثام قومه بما أصابه :

تسـائـلـ بـابـنـ أحـمـرـ منـ رـأـهـ
اعـارـتـ عـيـنـهـ اـمـ لـمـ تـعـارـاـهـ
فـانـ يـفـرـحـ بـمـاـ لـاقـيـتـ قـومـيـ
لـثـامـهـ فـلـمـ اـكـثـرـ حـوارـا^(١١)

ونظن أن ذاك الخلاف اضطر ابن أحمر إلى أن يودع ركايه رجلاً من بنى سعد ، ويدرك
ابن دريد هذا ، ويقول : «كان ابن أحمر أودع إبله وراعيها رجلاً من بنى سعد ، فأغار
عليها قوم منهم ، فأخذوها ، ولم يسع الخير فيها»^(٦٢) ، فهجاهم ، وقال :

لا صـابـ جـارـهـ الـرـبـيـعـ وـلاـ
طـرقـ الـخـتـاسـرـةـ اللـثـامـ فـلـمـ
زـادـتـ حـسـولـتـهـ عـلـىـ عـشـرـ
يسـعـ الغـفـيرـ بـنـاقـةـ الـقـسـرـ

لو كنتَ ذا علمٍ علمتُ وكيف لي
بالعلم بعد تدبّر الأمر
لو بسي تعمّست الرِّكاب إذا
ما خانني حسبي ولا وفري(١٣)
ثم تهدّهم بداعية عظيمة ، تاتيهم ، فتصمّهم ، ان لم يردوه عليه إبله ، وقال :
فردَّوْ ما لدِيكُم مِّن دِيَّابٍ وَمَا تَأْتِكُم صَمْيٌ صَمَامٌ(١٤)
ويبدو أن ابن أحمر كان صاحب رعي وركاب ، يخرج ورائيه القسنر(١٥) بها إلى
الرعى ، كما يقول :

انكَ لو رأيتني والقسنرِ
مُجَشِّرِينَ قَدْ رَعَيْنَا شهراً
لَمْ تَرْ فِي النَّاسِ دِيَّاعَةَ جَشَّرَا
أَتَمْ مَنَا قَصْبَا وَسِيرَا(١٦)

ويذكر اسم راع آخر له ، هو كنّاز(١٧) ، ويدعوه عليه بالهلاك ، فيقول :
اقْسُولْ لِكَنَّازْ تَدْكَشْلَ: فَانَهَ
إِبَا لَا اَقْلنَ الضَّيَّانَ مِنْهَ نَتَوْجِيَا
فَمَالِكْ مِنْ أَرْوَى تَعَادِيْنَ بِالْعِمَى
وَلَاقِيْتَ كَلَابَابَا مُطْبِلَا وَرَامِيَا(١٨)

ثم استبدل بالرعاي حين نزل الجزيرة حياة حضيرية ، لم تعجب هذا البدوي :
تَبَدَّلَتْ بِصَطْبَلَا وَتَلَا وَجَرَةَ
وَدِيَّاكَا إِذَا مَا أَنْسَ الْفَجَرَ فَرَّ قَرَا
وَبِسْتَانَ فَنِي ثُورِيْنَ لَا لِيْنَ عَنْهَ
إِذَا مَاطَقَنِي نَاطُورَهُ وَتَقَشَّمَرَا(١٩)

وأما في كهولة ابن أحمر ، فالذى يبدو أنه كان ضيف العصلة باكثر الأحداث في عصره وبأكثر الأمراء والخلفاء الذين عاصرهم ، فإذا كان قد وجدنا أبياتاً معبودة ، يمدح فيها ابن أحمر خليفة ، أو يثنى على أمير ، فليس ثمة ما يشير إلى أنه قد اتصل حقيرة بهؤلاء .
والمصادر القديمة لا تذكر لابن أحمر صلاتٍ ببعض رجال عصره وأحداثه ، وهي صلاتٍ تكاد تكون غير وثيقة ، أو أن أخبارها قد انقطعت ، فلم يصلنا منها غير القليل القليل ،
ففي فهد التبوة لا تعرف البتة لابن أحمر مشاركة في الدعوة الإسلامية ، ولا نعلم متى أسلم ، وكيف كان اسلامه ، واذا سألنا ابن حجر عن اسلامه وصحته وجدناه في الاصابة يجعله في قسم المغضومين من الصحابة ويقل عن المرزباني قوله : « هو مغضوم ، أدرك الجاهلية والاسلام ، فأسلم » (٢٠ ، ٧٠) .

ولابن أحمر في الاسلام فضل كبير ، فقد كان أحد الفرسان المجاهدين في الفتوح الاسلامية ، ويدرك ابن الجرجاش أنه « أسلم ، وغزا مغازي الروم ، وأصيب بيته هناك » (٢١)
ويرى المرزباني هنا فيقول : « غزا مغازي الروم ، وأصيبت احدى عينيه هناك » (٢٢)
ويروي أبو الفرج أنه « كان في خيل خالد بن الوليد حين وجه أبو بكر خالداً إلى الشام » (٢٣)
وينشد في خالد ، رضي الله عنه ، قوله :

اذا قال سيف الله كروا عليهم كررت بقلب رابط اباش صائم (٢٤)

ونظن أن ابن أحمر نزل الشام^(٧٥) في هذه الفترة من الفتوح ، اذ ليس من وسيلة الى تحديد زمن نزوله مع عشيرته جزيرة الشام وانتقالهم من البداوة والرعى الى نمط جديد من الحياة ، لم يكن ابن أحمر راضياً عنه .

وأما علاقته بالخلفاء الراشدين ، فقد ذكر الأصفهاني أنه « لم يأت أبا بكر » (٧٦) ، والمساكن لا تروي له شيئاً في مدحه والثناء عليه .

ويبيو أنه لم يأت أيضاً عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ، ولكنه أثني عليه وعلى قومه بقصيدة طويلة ، ينشد أبو الفرج بعض ما بقى من أبياتها ، فيقول : « قال في عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قصيدة له طويلة جيدة :

أدركت آل أبي حفص وأسرته
قد ترتمي بقوافٍ بيننا دول
الله يعلم ما قوله وقولهم
وقبل ذاك ودهراً بعده كلباً
بين الهناتين لا جداً ولا لعباً
إذ يركبون حناناً من شيئاً ورباً^(٧٧)

ونجد صاحب الأغانى ينشد له في عثمان، فيقول : « وقال في عثمان بن عفان ، رضي الله عنه :

حتى فليس إلى عثمان مرجع
إلا العداء ولا مكتنع ضرر
إهانة القسر ليلاً حين تنشر»^(٧٨)

فكان أبي الفرج يظن أن ابن أحمر قد قال هذا الشعر في مدح عثمان بن عفان ، ولو نظرنا نظرة شاملة إلى مشوبة ابن أحمر التي أوردها القرشي في الجمهرة^(٧٩) والى موضع هذين البيتين منها ، لعرفنا أن القصيدة ليست في ابن عفان بالذات ، وإنما في يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، ولعل المقصود بعثمان هنا أحد عمال الصدقات الذين يشكون ابن أحمر إلى ابن أبي العاص ظلمهم وعَسْتُهم .

وإذا كانت المصادر لم ترو له شيئاً في مدح عثمان بن عفان ، فالظاهر أنه كان عثمانى الهوى ، انحاز إلى المطالبين بدمه والمعادين لعلي بن أبي طالب ، ويدل على ذلك أمران ، أحدهما أنه استخفع لنفسه عند أبي الحسن بر رسالة ، لم يبق منها غير بيت واحد ، يرويه صاحب الأغاني ، فيقول : « قال في علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه :

من مبلغ مالكا عنى أبا حسن فارتع لخصم هداك الله مظلوم (٨٠)

والآخر أنه كان مقرباً من النعمان بن بشير الأنصاري(٨١) ، أحد أشهر من مالوا إلى معاوية بن أبي سفيان ضد علي بن أبي طالب(٨٢) ، ومدحه ابن أحمر بقصيدة من غنر قصائده(٨٣) .

وال المصادر تصنف بأخبار ابن أحمر خلال اضطراب الأحوال السياسية في تلك الفترة الخامسة من تاريخنا العربي الإسلامي ، فكانه لا ذ بالصلمة حتى خلافة يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤) ، إذ رأينا صلته بهذا الخليفة غير ودية ، فابن أحمر وقومه ربما لم يسعوا بالولاء ليزيد حين توقي معاوية ، وبوبيع له قسرا ، شانهم في ذلك شأن أهل العجائز الذين أخذوا البيعة بالخلافة لمعبد الله بن الزبير بمكة سنة أربع وستين للهجرة(٨٥) ، وربما وقفوا منه موقف عداء ، فاستغفَّ ابن أحمر به ، وشق عصا الطاعة ، فقال :

أبا خالد هدب حميك لن ترى
بعينيك وفدا آخر الدهر جانيا
ولا طاعة حتى ت shading بالقنا
قنا ورجالا عاقدين التواصيا
فلا ياتنا منكم كتاب بروعة
فلن تعلموا من سائر الناس راعيا(٨٦)

ولَا اتصل بيزيد عن ابن أحمر أنه هجاه طلبه ، فلم يجد شاعرنا سبيلا غير الاعتذار إليه والفرار من سلطوته وعقابه ، وهو يتبرأ من هجاء جرب ، نسب إليه ، وناله شهره ، ثم ينكر حكم هذا القضاء الجائر ، ويقول :

وان قال شاو من تنوخ قصيدة بها جرب عدت على بزوبرا
ويقطفها غيري واكلف حملها فهذا قضاء حقه ان يغيرا(٨٧)

وتتفق المصادر على أن ابن أحمر قد فر من يزيد بن معاوية ، ولم يقدم اشارة إلى هذا ما ذكره التبريزى في تعليقه على البيتين السابقتين ، فقال : « كان ابن أحمر ادعى عليه أنه هجا يزيد بن معاوية ، فطلبته ابن حاطب ، فأخذنه ، وقيده ثم أفلت » (٨٨) ، وقال التبريزى ثانية في تعليقه على أبيات أخرى من القصيدة نفسها : « قال هذا في هربه من أمير ، كان طلبه ، ليجعل إلى يزيد بن معاوية ، وكان يزيد بلغه أن ابن أحمر هجاء ، فطلبته ابن حاطب ، ليحمله إلى يزيد ، فهو رب منه » (٨٩) . ولما شعر ابن أحمر أن يزيد يجد في طلبه ، ويسعى إلى محاربة معارضيه في العجاز ، لم يجد من الرحيل عن الشام بدا ، ورأى أن يعود إلى قومه ، لينتصر بهم ، فأتى البصرة في طريقه إلى الأبلة(٩٠) ، وقال :

أخبر من لقيت انى بضر
وكائن ترى قبلى من الناس بضر
صلدت صلودا عن جبابر حاطب
صود ابن كسرى عن صود ابن قيصر
وقلت له لما قضى جل ما قضى
وطار خباء فوقنا فتجسوها
جزى الله قومي بالإبلة نصرة
وبلدوا لهم حول الفراض وحضرها
علي وردوا البغترى المؤمّرا(٩١)
هم خلدوني بالنفوس واشفقوها

وهناك أحسن ابن أحمر بالطمأنينة والأمان ، فيزيد لن ينال منه ، ولن يقدر عليه ، والبغدادي في خزانة الأدب يرى أن يزيد « أراد أن يأخذني » ، فقر منه ، ولم يقدر عليه « (٦٢) » ، فكانه استقرأ ذلك مما قاله ابن أحمر نفسه :

اذا ما جعلت السر بيدي وبينه **فليس على قتلي يزيد بقادره (٦٣)**

ومكذا يلوذ ابن أحمر بقومه ، وولاية يزيد توشك أن تنتهي بموته عام (٦٤ هـ) (٦٤) ، وتنتقطع أخباره طوال فترة المراجعة بين التربتين ، فلعله لم يكن يقوى على المشاركة في الأحداث السياسية ، وقد بلغ به العمر ما بلغ ، وأصابه منه المرض ما أصابه .

ويظهر أن الأيام لم تصلح ما فسد بيده وبين يديه ، فلا نعرف له صلة بهم ، إلا أن صاحب الأغاني يذكر أن ابن أحمر أدرك خلافة عبد الملك بن مروان (٧٣ هـ) (٦٥) ، وأنشد شعراً فيه ، ويقول أبو الفرج : « قال في الجاهلية والاسلام شعراً كثيراً وفي الخلفاء الذين أدركهم : عمر بن الخطاب فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان » (٦٦) ، ولكننا لم نجد له شعراً في خلافة عبد الملك غير قصيدة ، قالها في يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، والتي المدينة عبد الملك بن مروان ، وهي المشويبة التي اختارها من شعره أبو زيد القرشي في جمهرة أشعار المرب (٦٧) ، فصانها من يد العذثان ، وهذه القصيدة تعد آخر ما نجد له من شعر سياسي ، يرجع إلى أيام كهولته التي قضتها في قمه ، فكان لا بد أن تظهر فيها بعض معالم شيخوخته ، فهو « شيخ شموس » (٦٨) في « الشهاني من التسعين » (٦٩) ، يستفيث من جور السماء على قومه وظلمهم بابن أبي العاص ، فلا يبدو من خلال شوكاه إلا سيداً من سادات قومه ولساناً معبراً عن حالهم ، فيخاطب يحيى بكل حكمة وكل جرأة قائلاً :

ضرب الجلود وعسر المال والعسر
فما لاحتنا ورد ولا صدر
وبالغليفة ان لا تقبل العذر
لا يعدلون ولا نابسي فنتنصر
لم تبن بيتك على أمثالها مضر
و قبل ذلك أيام لنا أخر (٦٠)

يا يحيى يا بن امام الناس اهلكنا
ان قمت يا بن أبي العاصي بعاجتنا
اني اعوذ بما عاذ النبي به
من متزيفكم وأصحاب لنا معهم
فان تقر علينا جور مقلمة
لا تنس يوم أبي اللداء مشهدنا

وبذلك نجد أن ابن أحمر قد نشأ أعمريباً في نجد ، وارتجل فاتحاً إلى الشام ، ونزل الجزيرة ، وامتدت به الحياة إلى الشطر الأكبر من القرن الهجري الأول ، ولكنه يكاد يكون ضعيف الصلة بأحداث عصره ورجاله .

٣ - عوره ووفاته :

حمل أبو السلام المري ابن القارج يطوف في نعيم « رسالة الفرقان » ، فيلقى ابن أحمر في قوم عور ، فقال : « بينما هو يطوف في رياض الجنّة لقيه خمسة نفر على خمس

أينق ، فيقول : ما رأيت أحسن من عيونكم في أهل الجنان ! فمن أنتم ، خلد عليكم النعيم ؟
فيقولون : نحن عوران قيس : تميم بن مقبل المجلاني ، وعمرو بن أحمر الباهلي ،
والشماخ معقل بن ضرار ، أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وراعي الأبل عبيد بن العصين
النسيري ، وحميد بن ثور الهلالي « (١٠١) » .

وتفتفق كلمة العلماء على ذلك الوصف فنراهم يذكرون ابن أحمر في عوران
قيس (١٠٢) ، الا أن ابن قتيبة في المارف (١٠٣) يورده في الصحابة المور ، وأن ابن سيده في
المخصص يورده في عوران العرب ، ويقول : « عوران العرب خمسة : تميم بن أبي بن
مقبل ، والراعي ، والشماخ بن ضرار ، وابن أحمر ، وحميد بن ثور الهلالي » (١٠٤) ، فإذا
لم يكن ثمة تعريف أصاب عبارة ابن سيده فلاشك أنه يقصد هنا عوران قيس ، لأن عوران
العرب كثر (١٠٥) ، وابن سيده نفسه في الحكم (١٠٦) يتفق والعلماء الآخرين في أن
عوران قيس خمسة شعراً عور ، ولكنها يستبدل الراعي النسيري بالأعور الشنني .

وأما عور ابن أحمر ، فليس خلقيا ، وإذا ما سالنا المصادر عن أسبابه فاتنا نقف
على خبرين متباينين ، أحدهما رواه ابن الجراح في من سمي من الشعراء عمرا ، والمرzbاني
في معجم الشعراء ، وأما الأول ، فقد قال : « أسلم ، وغزا مفازي الروم ، وأصيب بعيته
هناك » (١٠٧) ، وأما الآخر ، فقد قال : « غزا مفازي الروم ، وأصيبت أحدي عينيه
هناك » (١٠٨) ، والغير الآخر يرويه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، ويقول : كان أعود ،
رماء رجل ، يقال له : مخشى ، بسمه ، قد هبب عينه » (١٠٩) ، ويرويه البطليوسى في
الاقتضاب ، ويقول : « كان رماء رجل ، يقال له : مخشى ، بسمه ، ففتا عينه » (١١٠) .

ويبدو أن الرأي الأول يبعد كثيرا ، اذليس له ما يؤيده في شعر ابن أحمر ، وأما
الرأي الآخر ، فهو نتيجة استقراء واضحة فيما يقوله ابن أحمر نفسه :

ولا استغان بضاحي كفه أبدا سيف ابن أحمر يشكو الرأس والكبادا وكنت ادعوا قدماها الانمد القودا رب الزمان فامسى ضوؤها خمدا	شلت أنا مثل مخشى فلا جبرت أصارنى سهمه أعشى وغادره اهوى لها مشقصا حشرا فشبقرها اعشو بعين وأخرى قد اضر بها
--	---

ويظهر أن مخشاً هذا أصاب ابن أحمر بعيته في غمرة خلافه مع قومه اصابة حقد
وضيقية ، فرح بها لثامهم :

تسائل بابن أحمر من رأه فان يفرج بما لاقيت قومي	اعارت عينه ام لم تعارا لثامهم فلم اكثر حوارا
---	---

وكان لهذه الملة أثر جارح في نفسه ، فقد كانت دمية نافذة ، أصابت كبرياته ،
وملات فؤاده حسرة وأسى :

ولا تقولن ذهوا ما تخبرني لم يترك الشيب ليذهبوا ولا العور(١١٣)

وهذا الاحسان بالعور تفرد به ابن أحمر ، ولم نقف على اثر له في غير شعره ، فاذا عوران قيس كانوا خمسة شعراً ، فان أصحابه الأربع لم يكونوا البتة يশعرون بالعور شعور ابن أحمر ذاته ، وربما يرجع ذلك الى ان هذه العلة كانت خلقيّة فيهم ، بينما نجدها طارئة على ابن أحمر ، لا تملك وسيلة الى تحديد زمانها بدقة ووضوح ، ونقطن أنها كانت في مطلع شبابه ، وهو في غمرة خلافه مع قومه .

وعلة شاعرنا لم تكن العور فحسب ، وانما يذكر ابن أحمر نفسه أن الماء الأصفر أصابه في سيخوخته ، فعالجه بالكلي والشكاعي(١١٤) ، فلم يبرأ وتحت وطأة المرض وشدة يتولى ابن أحمر الى الله منهاكا ، يرجو البرء أو الموت :

عيادة وخفاً أن تطيل ضمانيها
وان كان فيضاً فاقض ما أنت قاضياً
وقد عشت أياماً وعشت ليالياً
وكيف رجاء المرء ما ليس لاقياً
وضم فؤادي نوطة هي ماهياً
الي وما يبعدون الا الهواهيا
الي جنبي عرقاً من الداء ساقياً
اذاويتما العصرلين آم لا تذدوايا
وأقبلت أفواه العروق المكاويا
لسائني ان لم يشفه الله شافياً
اذا الله حمّ الفدر لا تداوينا(١٥١)

اليس الله العق أرفع رغبتي
فان كان برماء فاجعل البرء نعمة
للقاؤك خير من ضمان وفتنة
أرجي شباباً مطهراً وصحّة
وكيف وقد جربت تسعين حجة
وفي كل عام يدعوان أطبثة
فان تعسماً عرقاً من الداء تترکا
فلا تعرقا جلدبي سوء عليكم
شربت الشكاعي والتندت الستة
لأنساً في عمرى فليلًا وما أرى
شريناً دادينما وما كان ضرنا

والرواية ينشدون هذا الشعر ، ويقولون : كان ابن أحمر قد سُقِي بطنه(١٦٦) ، فلا يضيفون الى ما قاله شيئاً ، ولكن ابن قتيبة يجعل هذا السُّقُي سبباً لوفاته ، فيقول ، « سُقِي بطنه ، فمات »(١٦٧) .

وهكذا كان السُّقُي مرضاً الذي مات فيه بعد أن بلغ عمراً طويلاً ، فقد جرب - على حد تعبيره - تسعين حجة ، وبلي أعمامه وأخواله ، فابن أحمر كان ممراً مخضراً ، جاوز التسعين من العمر قبل أن تواجهه المنية .

والرواية لم يتفقوا على المعهد الذي أدركه ابن أحمر ، بل تجد هم يسكنون عن سنة وفاته ، والزركلي من المحدثين أول من يذهب الى أنه توفي نحو ٦٥ هـ - ٦٨٥ م(١٦٨)، فيجعل وفاته عام بايع أهل الشام عبد الملك بن مروان ، ولمل خيراً في الأغانى ، أوحى اليه بهذا الرعم ، وهو ما ينفرد الأصبهاني برأيته ، فيقول : « أدرك الاسلام ، وأسلم ، وقال في الجاهلية والاسلام شرعاً كثيراً ومن الذين أدركهم : عمر بن الخطاب فمن دونه

الى عهد عبد الملك بن مروان (١١٩) ، وكان الزركلي لم يقت على ذاك الشمر الذي لم يقله ابن أحمر في ابن مروان بالذات ، وإنما قاله في يعيي بن الحكم بن أبي العاص ، وإليه على المدينة منة حسن وسبعون للهجرة (١٢٠) ، ليعرف أن حياة ابن أحمر امتدت الى ما بعد السنة الخامسة والستين للهجرة بعشر سنوات على أقل تقدير .

ثم نرى الأستاذ الدكتور رضوان محمد حسين النجار يذهب الى أنه « توفي سنة ٧٥ للهجرة تقريباً » (١٢١) ، فيجعل وفاة ابن أحمر على اعتاب شكواه الى ابن أبي العاص ، ويكون أقرب الى الصواب .

وإذا كان الأصل بهاني يحمل ابن أحمر يدرك ابن مروان ، فانتنا نجد رأياً آخر ، يتفرد به ابن الجراح ، فيقول : « توفي على عهد رسول الله (ص) » (١٢٢) ، ثم نجد رأياً ثالثاً يتفرد به أيضاً المرزباني ، فيقول : « توفي على عهد عثمان ، رضي الله عنه ، بعد أن بلغ سنَا عالِيَّة » (١٢٣) .

ورأى ابن الجراح والمرزباني غريب ، يطعن للوهلة الأولى بجملة حقائق ، يراها الباحث في حياة ابن أحمر وشعره ، فإذا كان قد توفي على عهد النبي (ص) ، أو على عهد عثمان ، رضي الله عنه ، فعثمان قُتل سنة خمس وثلاثين للهجرة (١٢٤) ، ونون نجد لا بن أحمر صلات بين جاء بعده من الغلائم ، فقد ذكرنا أنه قال شعراً في علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، ثم هجا يزيد بن معاوية ، وشكأ ظلم السُّمعَة الى ابن أبي العاص ، والتي ابن مروان على المدينة . وهذا الشعر لا يرقى اليه شك ، بل لا نجد سبباً لاثارة ادنى شك حوله ، فالرواية يتفقون على أن ابن أحمر « ادعى عليه أنه هجا يزيد بن معاوية ، فطلبه ابن حاطب ، فأخذته ، وقيده ، ثم أفلت » (١٢٥) ، وابن أحمر نفسه في قصيدة التي اختارها أبو زيد القرشي في الجمهرة (١٢٦) يصرح أنه كان « في الثمانين من التسعين » (١٢٧) حين شكا ظلم السُّمعَة الى ابن أبي العاص ، فإذا علمنا أن عبد الملك بن مروان قد ولد ابن أبي العاص على المدينة سنة خمس وسبعين للهجرة (١٢٨) ، فإن ذلك يؤكّد أن ابن أحمر كان في حوالى التسعين من العمر على الأقل ، والرواية يتفقون مرة أخرى على أنه كان شاعراً مخضراً ممراً ، بلغ سنَا عالِيَّة (١٢٩) ، ويتفرد ابن قتيبة عنهم بقوله في الشعر والشعراء : « عمر تسعمين سنة » (١٣٠) ، وفي الماني الكبير : « كان بلغ تسعمين » (١٣١) ، وهو في شعره ينوه بأنه « شيخ شام » (١٣٢) ، جرّب تسعمين حجة (١٣٣) ، فيظل يتعسر على أيام شبابه ، ويظل يندب ما يلاقيه من هرم وضعف وتقدم مفرط في السن .

وفي هذا ما يشير الى أن ابن أحمر لم يُقبض في عهد النبي (ص) ، ولا في عهد عثمان ، رضي الله عنه ، ولم تحريراً قدّيماً وتزييداً أو أضحاً أصاب عبارة المرزباني ، فمن اليسير أن تختلط عبارة « ابن مروان » بـ « عثمان » ، فيتداول نساخ مجده هذا التحرير ، ويتنزبون بالرضا على عثمان ، ثم ينقل ذلك عن معجم الشعراء ابن حجر في الاصابة (١٣٤) ، وعبد القادر البغدادي في خزانة الأدب (١٣٥) ، والمرتضى الزبيدي في تاج العروس (١٣٦) ،

الا أن ابن حجر والبنداوي يجدان أن مقالة أبو الفرج يخالف قول المرزباني ، ولكنها لم يكونا في معرض هذا البحث .

وهيئنا فابن أحمر لم يتبع في عهد النبي ﷺ ، ولا في عهد عثمان ، وإنما امتدت به العيادة إلى عهد عبد الملك بن مروان (١٣٧ هـ - ٧٣ م) ، فإذا كان نرى ابن أحمر « شيئاً شموساً» في «الثانية من التسعين» عام ولد ابن العاص المدينة أو بعده بقليل ، ثم نراه يشكوا سقياً ، قضى عليه ، و«قد جرّب تسمين حجة» ، وهذا يعني أنه توفى بعد ذلك عن عمر ، يتوارى بين (٩٥ و ٩٠) سنة على الأقل ، وإن اتفقنا على ذلك ، فانتهت نستطيع أن نقدر وفاته بين (٧٧ و ٨٢ هـ - ١٩٦ و ٢٠١ م) .

إن حياة ابن أحمر لا تكاد تخرج عن النمط المألوف الذي يعياه بهدوء شاعر قضى شطرًا من حياته في الجاهلية وشطرًا آخر في الإسلام ، فنحن لم نجد في جواب تلك العيادة ما يمكن أن يميز ابن أحمر من غيره بين الشعراء المختضرمين الذين كان لهم دور بارز في الدعوة الجديدة ، أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وعبد الله بن الزبير وسواهم ، الا أنه يشمخ بمنزلة أدبية رفيعة ، جعلته «يتقدم شعراء أهل زمانه» (١٣٨) .

٤ - شخصيته وثقافته :

إن شخصية ابن أحمر واضحة الجواهير ، لا تكاد تخرج في إطارها العام عن النمط المألوف عند أهل الباذية الذين لم يكن للتعقيد دور مهم في مجتمعهم وأثر بارز في نفوسهم ، فقد كانوا يبنون عن آثار الحضارة ومظاهرها ، فظللت طبائعهم جلفة جافية . وابن أحمر أعرابي ، نشأ في بادية نجد ، ثم ارتحل فترى إلى الجزيرة ، وتبدل بالبداوة والرعي حياة حضرية ، لم يكن راضياً عنها ، فاضطر أن يعود إلى موطنه حيث «النصرة» و«الشفقة» على حد تعبيره (١٣٩) .

وإذا كانت وسائلنا إلى دراسة هذا الجانب من حياته شبه قاصرة بعد أن عرفنا أن ديوانه مفقود ، وأن المصادر لا تسمعننا بأكثر أخباره ، فليس لنا إلا أن نعتمد في هذا البحث ما يقوله ابن أحمر عن نفسه ، وما يتراوئ لنا من ملام ، تضافرت في تكوين شخصيته .

وهذا الجانب الأعرابي من شخصيته يبرز واضحاً من خلال الفاظ غريبة ومعانٍ جاذبة ، تبدو ظاهرة ، لفتت قدامي الباحثين إليها ، فيراه غير واحد منهم «كثير الغريب» (١٤٠) ، يذكر حروفًا ، لم يأت بها غيره من الشعراء ، ومنها «كأس رَنْوَنَة» ، أي : دائمة ، وذلك في قوله :

بَشَّتْ عَلَيْهِ الْمُلْكَ أَطْنَابَهَا كَاسْ رَنْوَنَةِ وَطِيرِ طِيمِيرِ (١٤١)

وهذا الراعي النجدي قد يمتع من صميم الصحراء وأعماتها معانٍ دقيقة ، قل من يعرفها ، وأمثال هذا قوله :

تَلَسِّنَ أَهْلَهُ زَمَنًا عَلَيْهِ رَمَاثًا تَعْتَ مِقْلَاتِ نَيْنُوبِ (١٤٢)

ونقل ابن ثعلب وابن منظور عن ابن السكيت شرحه ، فقال ثعلب : « هذا غريب ، والمعنى فيه أنهم أقاموا للناقة فصيلا ، ليستدرلبنها » (١٤٣) ، وقال ابن منظور : « هذا معنى غريب ، قلَّ من يعرفه » (١٤٤) .

وأمثال هذا لا يعرفه إلا من تبدي ، أو اختلف فترة من الزمن إلى الbadia ، ولعل في هذا دليلا على جفام هذا الأعرابي وارتباطه لوثيق بحياة الصحراء .

وهذا الأعرابي أسلم ، وحسن إسلامه ، فتهذب بمكارم الأخلاق التي أتى بها هذا الدين العنيف ، ليتمها بين عرب الجزيرة ، ولكن بقية من جاهلية ظلت في نفسه ، ولم يل آبا زيد القرشي أول من تنبه على ذلك ، اذرأى في شعره شيئاً من معالم الاسلام و شيئاً آخر من آثار الجاهلية في أنَّ دوافين سبعة شعراً مخضرمين ، وقال : « أصحاب المشوبات التي اختارها في جمهورته من دوافين سبعة شعراً مخضرمين ، وهم : النابفة نابفة بنى جمدة ، وكعب بن زهير ، والقطامي شابهن الاسلام والكفر ، وهم : الشمامان بن ضرار الفطفاني ، وعمرو بن أحمر وتيم بن مقبل » (١٤٥) .

ومن الطبيعي أن نلاحظ ذلك عند هؤلاء الأعراب الذين نشأوا في بوادي نجد ، وقضوا شطراً منها من حياتهم قبل الاسلام . فابن أحمر ما انفك يذكر مثلاً جاهلية عدة كطلب الورتر وشرب التمر وزجر الطير والصلصيبة القبلية بكل مظاهرها ، وهو يذكر مجلس شراب واحداً قبل أن ينها الحلم والدين عن ذلك الرجس ، وربما أشار إلى شيء من اللهو والمجون ، ولكنه لا يصرح به ، وإنما يوردذلك من خلال لهو الملك الضليل ومجونه ، وهو يتحدث عن مآkan فيه من سفه الشباب، فيتراءى لنا ابن أحمر فتى عابثاً ، يستجيب لهوى نفسه ونوازعها ، فلا يلوى على شيء من القيم قبل أن يعلم « ماينفع مما يضر » :

قد دنا الصبح فما انتظر
يل ودعيني طفل إني بكر
إن آدأة الكاس شيء نكير
إن امراً القيس على عهده
في إرث ما كان أبوه حجر
بنشت عليه الملك أطناها
كأس ردونة وطرف طمير
يلهو بهندي فوق أنماطها
وقال : هذا من وداعي دبر
أنى إلى هند تعياتها
ويفتنى من بعد ما يفتقر
إن الفتى يقترب بعد الفنى
والعي كالميت ويبيق الفتى
واليشن فتشان فعلو ومر
اما على نفسى وأما لها
أو يغلدى منع ما ادخل
هل ينهلكنى بسط ما في يدي
أعلم ما ينفع مما يضر(١٤٦)
ولن ترى مثلى ذا شيء

وابن أحمر دائم العسرا على شبابه ، بل توشك حسرته أن تكون توطئة لأغلب أغراضه ، فإذا ما شكا ظلم السعاة ، فليس ثمة تمهيد لشكواه إلا أن يندب شبابه (١٤٧) ، وإذا ما كان بين يدي مدوحة ، فلن يجد مدخلًا إلى غايتها سوى ذلك المعهد الماضي (١٤٨) ، وإذا ما ذكر مجلسا ، حدثنا عما فيه من سفة الصبا ، فما يأسى له شبابه الذي ولى :

بان الشباب وأخلف العمر وتنكر الاخوان والدهر (١٤٩)

وشايعنا يشير إلى تعلقه بغير امرأة أيام شبابه ، ولكن حديثه فيهن حديث عام ، لا يصدر عن شاعر ماجن كامرىء القيس وطرفه في الجاهلية وكعمر بن أبي ربعة في الإسلام ، وإذا ما تراءى لنا شيء من الجنون ، فانتابنا نجده غامضًا ، يتستر ورام لهو الملك الفليل وعيشه ، فكان ابن أحمر قد طبع بالمدرسة المنجدية العذرية أجمل طبع وأرقه .

وابن أحمر لا يلح كثيراً على مظاهر شبابه ، ولا يصر على ما نجده في شعره من ارث الجاهلية ، فقد تهذب بمحكم الأخلاق أحسن تهذيب ، وامن بالدين الجديد أعمق الإيمان ، فهو رجل شهم ذو نجد ومرودة ، لا تخونه الفعال الحسنة والوفر الواسع اذا استفاثت به الركاب :

لوبى تحمس الركاب اذا ما خاني حسبي ولا وفري (١٥٠)

وديوان العرب سيظل يحفظ لهذا الشاعر موقفاً فذا في وجه السعاة المترفين الذين همكروا سياطهم الناس ذلا وجوراً ، فقد قام بحاجة هؤلاء المقهورين خير قيام ، ودان صوت الحق في وجه سلطان جائز ، انذره ابن أحمر بالشدائد من الأيام ، وتوعده برجال شجعان ، أخلصوا أنفسهم للحق ، وسخروا للحق :

وبالغليفة أن لا تقبل العذر
لا يعدلون ولا تأبى فنتصر
لم تبن بيتك على أمثالها مضر
وفبل ذلك أيام لنا آخر
في عصمة الأمر ما لم يغلب القدر
حتى يفيء إليها النصر والظفر
قد صعّدوا بزمام الأمر وانحدروا
ماض من الهند وانئات من سدر
بدر تضاءل فيه الشمس والقمر (١٥١)

اني أعوذ بما عاذ النبي به
من متريفكم وأصحاب لدن معهم
فان تقر علينا جور مظلمة
لا تنس يوم أبي الدرداء مشهدنا
من يمس من ال يعيي يمس مفططا
وراده يوم بعث الموت رأيتهم
من أهل بيت هم لله خالصة
كانه صبح يسري القوم لي لهم
يعلو معداً ويستنقى الغمام به

فيبدو أنه شيخ شموس ، عَسَر في عداوته ، شديد الخلاف على من عانده ، حتى يُشترى الحق ، ويرفع الظلم ، وهو يشير إلى ذلك ، فيقول :

شيخ شموس اذا ما عز صاحبه شهم وأسمى محبوه له عنرا (١٥٢)

لذلك نراه يعرض على أن لا يدخل في مهاجة ، حتى قال الأصمعي : « ابن أحمر لم يهاج أحداً » (١٥٣) ، فإذا وجدنا ابن أحمر يعرض « ب الرجل كان يشته ، ويميه ، يقال له : سفيان » (١٥٤) ، فهذا التعریض لم يكن ليبلغ مستوى حد السخرية والمهانة ، ويقول :

نَبَثَتْ سَفِيَانَ يُلْحَانًا وَيُشَتَّمَا

فَدَكَ كُلَّ ضَيْلِ الْجَسْمِ مُخْتَشِع

وَسْطَ الْمَقَامَةِ يَرْعِي الصَّفَانَ أَهْيَانًا

تَهَدِي إِلَيْهِ ذَرَاعَ الْجَلْدِ تَكْرَمَة

عَيْطَ عَطَا بَيْلَ لَثْنَ الرَّيِّ وَابْتَلَتْ

مَعَاطِفَ سَابِرِيَّاتَ وَكَثَانًا (١٥٥)

وَإِذَا خَاصَّمَ فِي ضَجَاجِ مَضْلَا ، فَانِه يَدْعُه ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى مَجَالِتِه :

وَخَصْمَ مَضْلَلَ فِي الضَّجَاجِ تَرْكَتْهُ وَنَدَ كَانَ ذَا شَغْبَ فُولِيِّ مَوَاتِيَا (١٥٦)

فَأَخْلَاقَه تَابَى أَنْ يَدْخُلَ فِي نَفْرَةِ ، قَدْ تَحْطَمَ مِنْ حَسْبِ وَوْفَرِهِ ، وَتَهْلِكَ حَيَا ذَا عَدْد

وَقَدْرَ :

تَقْلِيلَتْ أَبْرِيقَا وَعَلَقْتْ جَعْبَةَ لَتَهْلِكَ حَيَا ذَا زَهَاءِ وَجَامِلَ

فَلَا تَحْسِبْتِي مَسْتَعِدًا لِنَفْرَةِ وَانْ كَنْتَ نَطَاطًا كَثِيرًا الْمُجَاهِلَ (١٥٧)

وَهُوَ لَيْسَ بِجَبَانٍ ، وَلَكِنَّه يَخْشِي بِوَاقِعِ الدَّهْرِ وَصَرْوَفِهِ ، وَمَتَى حَاوَلَتْ يَدُ الْمُحَدِّثَانِ

أَنْ تَنَالَ مِنْ عَرْضِهِ ، فَانِه لَا يَسْتَكِينُ لَهَا ، وَلَا يَلِينُ :

وَلَوْسَتْ بِهِرِيعِ حَقْقِ حَشَاءَ إِذَا مَا طَرِيتَهُ الرِّيحَ طَارَا

وَلَوْسَتْ بِعَرْنَةَ عَرَكَ سَلاْحِي عَصَا مَنْقُوبَةَ تَقْصِيَّ الْجَمَارَا

وَلَا يَنْسِيَنِي الْعَدْشَانُ عَرْضِي (١٥٨)

فَابن أحمر ليس رجلاً هادانا ، يهاب الشدائداً ، ولكنه حريص ان لا تصرف نفسه في عداوة ، لا طائل فيها . ولا شك أن ابن أحمر قد جبل على تلك السجايا الرفيعة والأخلاق الكريمة ، حتى كأنه يراها مزية ، تسمق بالشاعر ، ومن هنا ندرك معنى اختياره زهير بن أبي سلمى أشهر الناس ، فكانه يشاكله في هذه الأخلاق ، ويقول أبو زيد القرشي : « قال ابن أحمر : زهير أشعر الناس » (١٥٩) .

وهذه الجبلة التي طبعت على الحق والغير جعلت شاعرنا يرحب عن النفاق في صلته ب الرجال عصره ، فتصدى لسعاة والي المدينة ، وتعرض ليزيد بن معاوية الذي أخذت له البيعة بالمال والمنف . والرواية لم ينشدوا له غير مدحه واحدة في النعمان بن بشير الانصاري ، لا نكاد نجد فيها أثراً للمدحاجة أو للمساندة التي يراها الأستاذ الدكتور عبد العفيف السطلي « ظاهرة طبيعية في تلك الفترة ، ذلك لأن تقلب الأحداث السياسية

بسريعة والصراع المنيف بين الطامعين الى الحكم والسلطان ولا سيما في العراق ، قد جعل أمثال العجاج يرهبون أن تدور الدائرة عليهم أو على قومهم في ظروف ، لم تكن لها سابقة في تاريخ القبائل » (١٦٠) .

ولعل ابن أحمر كان على شيء من اليسر ، وهو يذكر غير مرة أنه صاحب رعى وركاب ، فلم يكن يسمى إلى جاه أو مال مثل بعض شعراء عصره .

ويندلك نرى أن شخصية ابن أحمر متعددة الجوانب ، واضحة المعالم ، مالوفة السجايا ، تضافرت في تكوينها عدة عناصر ، كان من أهمها : نشأته بنجد شاهة أعرابية في قوم ، كادوا أن يخلموه في شبابه ، ثم كان صوتهم الأقوى في شيخوخته ، ومنها ما كان وليد العامة والمرض ، ومنها ما كان وليد الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية التي عاصرها في الجاهلية والاسلام .

وهذه العناصر ضربت جذورها في أعماق نفسه ، فلم يستطع الواقع الجديد في الجزيرة أن يترك أثراً كبيراً في تلك النفس ، أو ان يغير شيئاً من ثقافته الأعرابية ، ولهذا نرى أن لسانه زل في التعبير عن مظاهر تلك الحياة الجديدة التي لا تتصل بحياة الأعراب ، فقد أخذ عليه العلماء قوله في وصف امرأة :

لم تذر ما نسج اليرونج قبلها ودراس أغوص دارس متخدده (١٦١)

فظن ابن أحمر أن اليرونج مما ينسج ، وإنما هو جلد سود ، تعمّل منها الخفاف ، وهذا الخطأ أخذه عليه عدد من النقاد ، أمثال ابن السكبيت (١٦٢) ، وابن قبيبة (١٦٣) وابن عبد رب (١٦٤) ، والبرجاني (١٦٥) ، وأبي هلال العسكري (١٦٦) ، والسيوطي (١٦٧) وغيرهم . فثقافة ابن أحمر توشك أن تكون في الحياة الأعرابية التي عاشها في نجد ، ومنها انتقلت إليه الفصاحة قبل أن ينزل المجزيـرة ، حتى قال أبو عمرو بن الملاـم : « كان ابن أحمر في أنسـح بقعة من الأرض أهـلا ، يذيل والـتعاقـع » (١٦٨) ، فقد تهـيات له سـبل الفصـاحة ، فـلماـنـكـنـ لهـ أنـ يـكونـ « صـحـيـحـ الكلـامـ كـثـيرـ الغـرـيبـ » (١٦٩) ، ثمـ يـكونـ « الشـاعـرـ الفـصـيـحـ » الـذـيـ « يـتـقدـمـ شـعـراءـ أـهـلـ زـمانـهـ » (١٧٠) ، وـ « يـسـتـشـهـدـ عـلـىـ اللـفـةـ بـشـعـرهـ كـثـيرـاـ » (١٧١) ، فـكـانـتـ فـصـاحـتـهـ مـنـ أـبـرـزـ مـاـ تـمـيـزـ بـهـ شـخـصـيـتـهـ وـ ثـقـافـهـ ، وـ ماـ ذـلـكـ إـلـاـ لـأـنـ هـذـهـ الثـقـافـةـ كـانـتـ أـعـرـابـيـةـ الطـابـعـ ، تـسـتـمـدـ مـظـاهـرـهـ مـنـ الـبـادـيـةـ وـ الـصـحـراءـ ، فـنـرـىـ ابنـ أحـمـرـ عـلـىـ بـحـيـةـ الـأـعـرـابـ ، خـبـرـ الـبـادـيـةـ بـكـلـ أـفـانـهـاـ ، وـ عـرـفـ الـصـحـراءـ بـكـلـ أـكـنـافـهـ ، وـ مـنـ ذـلـكـ قـوـلـهـ :

هي الأربى جاءت بام حبـوكـرا عـشـيـةـ أـدـعـوـ بـالـسـتـارـ المـجـبـراـ لـأـمـالـهـ عـنـديـ إـذـاـ كـنـتـ أـوـجـراـ تـعـلـىـ النـدىـ فـيـ مـتـنـهـ وـتـعـدـداـ(١٧٢)	فـلـمـاـ فـسـيـ لـيـلـيـ وـأـيـقـنـتـ أـنـهاـ وـأـفـلـتـ مـنـ أـخـرىـ تـقـاصـرـ طـيرـهاـ فـزـعـتـ إـلـىـ الـقصـوـاءـ وـهـيـ مـعـدـةـ كـثـورـ الـعـدـابـ الـفـردـ يـضـرـبـهـ النـدىـ
---	--

فقد شبه ما وقع من حبائل الأمور بأعظم الدواهي ، ولكنه بثقافته الأعرابية أدرك أن أقوى الصواعق ما تجعل الطير يتضاءل من شدة وقوها ، وفي ذلك قال ابن قتيبة : «العلير تناصر من حسن المصاعقة »^(١٣٧) ، ولهذا جعل نفسه تفتلت « من أخرى تقاصر علىها » ، فيفرغ إلى ناقته القصواء ، فيشبهها في نشاطها وقوتها وسرعتها بثور وحشى ، ولا يكتفي بذلك ، بل يجعل هذا الشور من المداد ، أي : الرمل المستدق اللين ، لأنّه يعرف أن بقر الوحش تلوذ به ، وفي ذلك يقول البطليوسى : « خصه ، لأن بقر الوحش تالفه لخصبه وخوفه من القانص ، فإذا ما جاء القانص اعتصمت برکوب الرمل ، فلا تقدر الكلاب عليها »^(١٧٤) .

وإذا ما هجا بنى أعيما في رواية أو بنى سهم في رواية أخرى ، فإنه يعيّب عليهم لؤمهم ، ويستمد من البيئة البدوية صورة طريفة ، تليق بهم ، فيراهم كالعنز التي ترتفع من خلفها ، ويقول :

أني وجلت بنى أعيما وجاميلهم كالعنز تعطف رؤقيها فترتضىع (١٧٥)

ولم يكن ابن أحمر عالمًا بطبياع الحيوان فحسب ، وإنما كان عالماً بالأنواع والرياح في هذه الصحراء ، ويقاد يه jes بالحديث عنها، حتى أنه يرى في هبوبها حنين والله، لا مُستكنة في عقلها ، ولا زبر لللبها :

الا منازل كلها قر	خلد الجَبَنِ وباد حاضره
هوجاء ليس للتبها ذئبر	ولهَتْ عليهَا كُلْ مُغصِّفَة
عشواء ربَّنَةِ الرَّواحِ خجو	جَاه الفَلُو رَوَاحُهَا شَهْرٌ
خرقاء تلهم الجبال واج	سَوَازِ الْفَلَةِ وَبِطْنَهَا صَفَرٌ

وما ينفك يذكر أنواعها كالشمال والذبور والمصبا والجنوب والجرياء وسوى ذلك ، وتمده بينته بتصورها الرائعة وأوقاتها المختلفة وأوصافها المتنوعة ٠٠٠ وبذلك أمكن لثقافة ابن أحمر أن تسعفه برصد الفلك ، وهو نفسه يذكر أنه كان يراقب النجم حتى غيابه ، ويقول :

أراقب النجم كاني مولَّع بعيث يجري النجم حتى يتقطعم (١٧٧)

وهذا الاهتمام بمواعيد النجوم ومواقيتها أمر لا يستغرب من شاعر جاهلي أو مخضرم ، إذا تحدث عنه ، لأن هذه الأمور من أهم مستلزمات حياة العرب قبل الإسلام ، حتى وجد القرآن الكريم القسم بموقع النجوم قسماً عظيمًا ، لا يستهان به ، ولو لا اهتمامهم بهذا الموضوع وارتباطه بحياتهم ، لما اقسم القرآن به ، وبه على اسماعهم أنه قسم عظيم^(١٧٨) . وأمثال هذه الظواهر كثيرة ومتعددة في ثقافة ابن أحمر الأعرابية ، ولسوف نرى في

دراستنا موضوعاته وخصائص شعره جوانب أخرى منها ، لا تكاد تخلو من مؤشرات البيئة الحضرية التي ارتحل إليها فترة وجيزة من الزمن ، ومن ذلك قوله في مجلس غناء :

وجراداتان تغنيانهم وتلاً المرجان والشذار
ومجلجعه دان ذَبَرْجَدَه حدب كما يتعدي الدُّبْرَ
وتَان حَتَّانَان بِينَهُما وتر اجش غناؤه زَمَرْ (١٦٧)

ذكر قيانا وأحجاراً كريمة وعدا وصنجاً .

ومن ذلك قوله في المعاطف السابريات :

عيط عطابيل لثُن الري وابتذلت معاطفا سابریات وكتنان (١٨٠)

وفي السابري من الشياط :

بمنزلة لا يشتكي السُّئل، أهلها وعيش كملس السابري رقيق (١٨١)

ذكر السابريات ، وهي من أرق الشياط وأجوادها .

وإذا كانت هذه الثقافة تستمد مظاهرها من الصحراء والميادنة ، ولا تكاد تخلو من مؤشرات البيئة الحضرية ، فإن ثمة مصدرأهما ، ينبغي أن نشير إليه ، وهو القراءة ، فاغلب الفان أن ابن أحمر كان يعرف الكتابة قراءة وخطا، فهو يعرف لحناً في عنوان صحيفه، ويقول :

إذا جاء منهم قافل بصحيفة يكون عناء ما ينتَق عانياً
وتعرف في عنوانها بعض لعنها وفي جوفها صماء تبلى التواصيا (١٨٢)

ويذكر كتاباً ، ويقول :

أم لا نزال ترجمي عيشة انتفا لم ترج قبل ولم يكتب بها زَبْرْ (١٨٣)

ويصف كتاباً آخر على ناقه هببية ، ويقول :

تماثيل قيرطاس على هببية نضا الكُور عن لعم لها متخلد (١٨٤)

ولعل من أوضح هذه الاشارات إلى ذلك قوله في حاجب :

وحاجب كالنون فيه بسطة أجاده الكاتب خطأ بالقلم (١٨٥)

وكل ذلك يجعلنا نعتقد أن ابن أحمر كان من يقرأ ويكتب ، ف تكون قراءته مصدراً آخر من مصادر ثقافته وسمة أخرى من سمات شخصيته .

وبذلك أمكن لهذه الشخصية الأغرايبة أن تكون في طليعة الشعراء الأعلام الذين خاضوا بعره ، وبمقدار فيه شاؤهم ، فإذا ما سأله أبو حاتم أستاذه الأصمعي عن منزلة ابن أحمر بين الفحول من الشعراء ، قال : « قلت : فابن أحمر الباهلي ؟ قال : ليس بفنل ، ولكنه دون هؤلاء الفحول وفوق طبقته » (١٨٦) . وأما ابن سلام في طبقات فحول الشعراء (١٨٧) ، فيجعله في الطبقة الثالثة من الإسلاميين وخاصة ، ويجدتهم أربعة ، وهو : كعب بن جعيل التغلبي ، عمرو بن أحمر الباهلي ، فسحيم بن وثيل الرياحي ، وأوس بن مفراء السعدي ، ثم يرى أن ابن أحمر مقدم على ابن وثيل ، فيقول : « عمرو بن أحمر مقدم في الشعر على سعيم بن وثيل ، وسعيم أشرف منه » (١٨٨) .

ويجعل أبو عبيدة ابن أحمر في طبقة الثالثة من الشعراء بعامة ، وينقل أبو زيد القرشي رأيه هذا ، فيقول : « ذكر أبو عبيدة من الطبقة الثالثة من الشعراء : المرقش ، وكعب ابن زهير ، والعليلية ، وخداش بن زهير ، ودرید بن الصمة ، وعنترة ، وعروة بن الورد ، والنمر بن تولب ، وعمرو بن أحمر ، والشماخ . قال المفضل : هؤلاء فحول الشعراء أهل نجد الذين ذموا ، ومدحوا ، وذهبوا بالشعر كل مذهب » (١٨٩) .

ثم يختار القرشي نفسه من شعره قصيدة ، يراها من « عيون أشعار العرب في الجاهلية والأعلام » (١٩٠) ، ويرويها في مشوبات العرب من جمهرته .

وإذا كان الأصمعي يرى « لوق طبقته » ، فإن ثمة ناقدين آخرين ، يقاربانه الرأي ، وهما ابن الجراح والأحدب ، وأما الأول ، فقد قال : « شاعر فصيح مقدم على جميع نظرائه في فنون الشعر وغريبه » (١٩١) ، وأما الآخر ، فقد قال : « كان يتقدم شعراء أهل زمانه ... وقد ذكرت حاله وأشعاره مع الشعراء المشهورين » (١٩٢) ، وللعلم بذلك يضمونه على رأس طبقة الشعراء المخضرمين الذين نعرف من فحولها : العليلية والأعشى والنابفة الجعدي وكعب بن زهير وغيرهم .

وهذه المكانة الرفيعة التي تبوأها ابن أحمر كانت موضع اهتمام أهل اللغة والأدب ، فصنّع ديوانه ، وامتنع بشعره ، حتى لا يكاد مصدر من المصادر يخلو من شعر له .

★ ★ ★

□ العواشي :

- ١ - طبقات فحول الشعراء ٥٧١ ، والشعر والشعراء ٣٥٦ ، والمغارف ٨١ ، وجمهرة أشعار العرب (طـ. البجاوي) ٨٦٢ ، والاغاني ٢٩٨٠ ، والمختلف والمختلف ٤٤ ، ومعجم الشعراء ٢٤ ، وسمط اللاليه ٣٠٢ ، والإمامي لابن الشجيري ١٣٧ ، وخزانة الأدب ٢٨/٣ ، ٣٨ ، وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٢٥/٢ ، والتساج (فرض) . وينذكر ابن قتيبة في نسبة : « من بن أصر » ، وهو ابن ملك ، وليس ابن أصر ، فكان سقطاً في مباراته ، والصواب : « معن بن مالك بن أصر » . انظر : الشعر والشعراء ٣٥٦ ، وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٢٤/٢ ، وقارن بجمهرة انساب العرب ٢٤٥

- ٢ - جمهرة أشعار العرب (طـ. البجاوي) ٨٦٢ ، ومعجم الشعراء ٢٤
- ٣ - طبقات فحول الشعراء ٥٧١

- ٤ - الاشاني ٢٩٨٠ .
- ٥ - المؤتلف والمختلف ٤٤ ، وعنه في خزانة الادب ٣٨/٣ ، وشرح آيات المفتى للبغدادي ١٣٥/٢ ، وأورده البغدادي في الشرح : « عبد قدام بن فراس » ، فسقطت « اين » من عبارته .
- ٦ - مجمع الشعراء ٢٤ .
- ٧ - الاصابة ١١٢/٣ .
- ٨ - التاج (فرص) .
- ٩ - أورده ناشر الاصابة معرضا ، فقال : « عمرو بن الأحمر بن العمود بن تميم بن ربيعة بن حرام الباهلي » الاصابة ١١٢/٣ .
- ١٠ - الشعر والشعراء ٣٥٦ .
- ١١ - سمعط اللالى ٣٠٧ .
- ١٢ - الالتصاص ٣١٩ .
- ١٣ - من سمعي من الشعراء معرضا ٥٦ .
- ١٤ - الإمامي لابن الشثري ١٣٧/١ .
- ١٥ - خزانة الادب ٣٨/٣ .
- ١٦ - جمهورة اشعار العرب (ط. البيضاوي) ٨٤٢ ، ومعجم الشعراء ٢٤ .
- ١٧ - انظر : المعارف ٨١ ، والاشتقاق ٢٧١ ، وجمهرة انساب العرب ٢٦٥ ، واللباب ٩٤/١ ، وخزانة الادب ٥٩٥/٦ ، وشرح آيات المفتى للبغدادي ٧/٢١٧ ، والتجاج (فرص) .
- ١٨ - مجمع الشعراء ٢٤ ، وسمعط اللالى ٣٠٧ ، والاصابة ١١٢/٣ .
- ١٩ - المكانة ٥٥ .
- ٢٠ - المرصع ٦٥ .
- ٢١ - المؤتلف والمختلف ٤٤ ، وعنه في شرح آيات المفتى ١٣٦/٢ ، والبغدادي يضيف : « واسمه مالك بن سعد » . وما ابن سعد - كما ثر في المؤتلف والمختلف ، الا جد اين أحمر الجبل . واظفر قصينته في الاصمعيات ١٢٣ لابن مهديية الكلابي ، وببعضها في التكملة ٧٩/٢ ، واللسان (عز) و (قرطع) ، والتجاج (قرطع) للجبل ، وفي الفصول والاقيات ٣٧٢ لابن مهديية ، وفي عيون الاخبار ١٠١/٢ ، والافتال ٦٠/٤ ، والصحاح ٣٩١ ، واللسان ، والتجاج (قرطع) دون عزا .
- ٢٢ - المؤتلف والمختلف ٤٥ ، وعنه في شرح آيات المفتى للبغدادي ١٣٦/٧ . وابن سعيد الاندلسي يجعله من بني ضمرة بن يكر بن عبد مناة بن كنانة ، ويقول : « هي بن أحمر الفضرى : ذكر البيهقي أنه من شعراء الجاهلية » . نشوة الطرب ٣٨٠ و ٣٨٢ .
- ٢٣ - المؤتلف والمختلف ٤٥ ، وعنه في شرح آيات المفتى للبغدادي . والنوكه : العجز والجهل والعمق . والبرد من القرس : المقطف الوشى . والنعي منه : اذا كان في صدره بياض .
- ٢٤ - وجدت من صنع شعر مزاحم العقيلي في مجلة معهد المخطوطات العربية (ص ١٤٠ ، ج ١ ، مع ٢٢ ، هـ ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م) ينقل عن الجوالىقي قوله في بيت : « وهذا البيت يروى مزاحم العقيلي وعروة بن أحمر الغزاعي » . بالواراء ، فتثبتت ذلك في شرحه ادب الكاتب ، وروايات الجوالىقي يقيده بالدار ، ويقول : « اين احمد الغزاعي » . شرح ادب الكاتب ١٢٠ .
- ٢٥ - مجمع الشعراء ١٣٦ .
- ٢٦ - المصدر السابق نفسه ١٦٠ . والتجاج : جمع تاجر ، واصل التجاج الفمار يخصونه به من بين التجار .
- ٢٧ - انظر : الموشى (ط. الغانجى) ١٢٤ ، و (ط صادر) ١٤٣ .
- ٢٨ - البخلاء ٧ .

- ٤٣٥- الفهرست .
٤٣٦- الأدبي ١٣٩ . وانظر : اللسان ، والتاج (ختب) و (صمع) .
٤٣٧- الأدبي ١٣٩ .
٤٣٨- المخاترة ٢٩ .
٤٣٩- قال الطيبالسي : « أعشىبني سعد بن مالك » و « لم تعرف اسمه ، ولا وجدها له شعرا ، المكاره
٤٤٠- ووضح : فزع من شيء ، هصاح مستفيها . والعجيبة : الغضب لحمرة تنتها أو عهد ينكث .
٤٤١- العجمي ٩١/٣ .
٤٤٢- القراءضب : الأكول ، وفرضب اللعم : أكل جميعه .
٤٤٣- انظر : اللسان (جول) .
٤٤٤- شرح أبيات سببوبة ٢٤٩/١ .
٤٤٥- العملة ٣٠٢/٢ . وقال ابن دشيق : « الفرق بين المعرق وبين ذي البير أن المعرق من تكرر الأمر فيه وفي أبيه وفي جده فصاعدا ، ولا يكون معروقا ، حتى يكون الثالث فعلاً » . ذو البير من الأمور جميعاً له بيرته أو أكثرهم .
٤٤٦- الأقصداد ٢٩٣ .
٤٤٧- القصيدة ٧/١٦ من ديوانه الذي أخرجته جماعة أو شرحاً وتحقيقاً ما امكتني إلى ذلك من سبيل ، وارجو - إن شاء الله - أن يرى النور قريباً . انظر في ذلك مقالتنا في مجلة التراث العربي : العددان ٤٢ و ٤٣ ، كانون الثاني ونisan ١٩٩١ السنة (١١) .
٤٤٨- كنز العفاظ ٤٤٠ .
٤٤٩- القصيدة ٣٤٢٥/٥٧ .
٤٥٠- تهذيب اللغة ٢٦١/٢ ، والصحاح ١٤٩١ ، وتهذيب أصلاح المتقى ٤٦٠ ، واللسان (بلل) و (معد) ، والتاج (معد) .
٤٥١- القصيدة ٣٢٧/١٤ .
٤٥٢- القصيدة ١١٩/٥٧ .
٤٥٣- الشعر والشعراء ٣٥٩ ، وعنها في شرح أبيات المغني للبغدادي ٢/١٣٤ .
٤٥٤- طبقات فحول الشعراء ٥٨٠ ، ومعجم الشعراء ٢٤ ، والاصابة ١١٢/٣ ، وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢/١٣٤ .
٤٥٥- المؤتلف والمختلف ٤٤ ، وخزانة الأدب ٢٨/٣ ، وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٣٥/٢ . وانظر : من سمي من الشعراء عمرها ٥٦ .
٤٥٦- الأغاثي ٢٩٨٠ ، والأدبي لابن الشجري ١٣٧/١ ، والاصابة ١١٢/٣ ، وخزانة الأدب ٣٩/٣ .
٤٥٧- الأغاثي ٢٩٨٠ ، والاصابة ١١٢/٣ ، وخزانة الأدب ٤٣١/٦ .
٤٥٨- تاريخ الخلفاء ٤٢٦ ، وتاريخ الطبرى ٢٠٢/٦ .
٤٥٩- القصيدة ٢١-١٤/٢٠ .
٤٦٠- القصيدة ٢٤/٢٠ .
٤٦١- الأغاثي ٢٩٨٠ .
٤٦٢- القصيدة ٧-١/٧ .
٤٦٣- مقدمة شعر ابن أحمر (ط. عطوان) ١٠ .
٤٦٤- القصيدة ١٥-١٧/٣٠ .
٤٦٥- القصيدة ٨٥/٣٠ .
٤٦٦- الشعر والشعراء ٣٥٦ ، والاقتضاب ٤٢٤ ، وشرح شواهد الشافية ٦/٣٥٤ ، وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٣٤/٢ .
٤٦٧- القصيدة ١٨١٧/٣٠ .
٤٦٨- جمهرة اللغة ٢٠٦/٢ . وبنو سعد : قوم سعد بن زيدمناة بن تميم .

- ٦٣- القصيدة ١٩٦/٢٤ .
 ٦٤- القصيدة ١/٥١ .
 ٦٥- التقافية ١٩٧ ، وجمهرة اللغة ٢٠٦/٢ ، واللسان ، والتاج (رس) و (هيب) .
 ٦٦- القصيدة ١٣١/٦ .
 ٦٧- الأفعال ١٢٢/١ .
 ٦٨- القصيدة ٢٢٢/٥٨ .
 ٦٩- القصيدة ١٣٢/٢٦ .
- ٧٠- الأصابة ١١٢/٣ ، وعنها في خزانة الأدب ٣٩/٣ . وعبارة المزرياني : « ادرك الاسلام ، فاسلم » معجم الشعراء ٢٦ ، وهي ذاتها عبارة الأغاثي ٢٩٨٠ . وانظر: الامالي لابن الشجري ١٣٧/١ .
- ٧١- من سعي من الشعراء عمر ٥٦ .
 ٧٢- معجم الشعراء ٢٦ ، وعنها في الأصابة ١١٢/٣ ، وخزانة الأدب ٣٩/٣ .
 ٧٣- الأغاثي ٢٩٨٠ .
 ٧٤- القصيدة ٢/٤٩ .
- ٧٥- الأغاثي ٢٩٨٠ ، ومعجم الشعراء ٤٦ ، والأصابة ١١٢/٣ ، وخزانة الأدب ٣٩/٣ .
 ٧٦- الأغاثي ٢٩٨٠ .
 ٧٧- الأغاثي ٢٩٨٠ .
 ٧٨- المصدر السابق نفسه .
- ٧٩- انظر : جمهرة اشعار العرب (ط٠ صادر) ٣٠١ ، و (ط٠ البجاوي) ٨٤٢ .
 ٨٠- الأغاثي ٢٩٨١ .
- ٨١- التعمان بن بشير الانصاري : له ولابيه صحبة ورواية، وكان اول مولود في الاسلام من الانصار بعد الهجرة ياربعة عشر شهراً . استعمله معاوية على الكوفة لم على حصن ، ودعا الى ابن الزبير لم الى نفسه ، فقتله بنو ابيه ستة خمس وستين للهجرة . انظر : المعارف ٢٩٤ ، وتاريخ الطبرى ٤٠١/٢ و ١٣٣/٥ و ٤٦٢ و ٤٨١ و ٥٣٩ ، وجمهرة انساب العرب ٣٩٤ ، والأصابة ٥٥٩/٢ .
- ٨٢- تاريخ الطبرى ١٣١/٥ .
 ٨٣- القصيدة ١٩٦٠/٤٤ .
 ٨٤- تاريخ الخلفاء ٤٢٠ ، وتاريخ الطبرى ٤٩٩/٥ .
 ٨٥- تاريخ الخلفاء ٤٢٢ .
 ٨٦- القصيدة ٣٣-٣١/٥٨ .
 ٨٧- القصيدة ١٩٦٠/٢٦ .
- ٨٨- كنز العفاظ ٥٠٤ . وانظر : تهذيب اصلاح المتنق ٥٠٠ ، والاقضاب ٣١٩ و ٤٠٢ ، والمشوق المعلم ٦٥ ، وخزانة الأدب ٣٨/٣ ، وشرح آيات المنفي للبغدادي ١٣٠/٢ .
- ٨٩- كنز العفاظ ٤١٠ .
 ٩٠- الابلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة .
 ٩١- القصيدة ٣-٢٩/٢٦ .
 ٩٢- خزانة الأدب ٣٨/٣ .
 ٩٣- القصيدة ١/٧٣ .
- ٩٤- تاريخ الخلفاء ٤٢٠ ، والمعارف ٣٥١ ، وتاريخ الطبرى ٤٩٩/٥ .
 ٩٥- تاريخ الخلفاء ٤٢٢ ، وتاريخ الطبرى ٤١٨/٦ .
 ٩٦- الأغاثي ٢٩٨٠ ، وعنها في خزانة الأدب ٣٩/٣ .
 ٩٧- انظر : جمهرة اشعار العرب (ط٠ صادر) ٣٠١ ، و (ط٠ البجاوي) ٨٤٢ .

- ٩٨- القضية ٤١/١٨
 ٩٩- القضية ٤٠/١٨
 ١٠٠- القضية ٢٨٧٧/١٨ ، ٢٦٣١
 ١٠١- رسالة الفرقان ٢٧٧
 ١٠٢- انظر : جمارة اللغة ٣٩٠/٢ ، والاتضاب ٣١٩ ، وشرح ادب الكاتب ٣٥٥ ، وخزانة الادب ٣٨/٣ ، وشرح شوادر الشافية ٣٥٣/٤ ، والتابع (عور) ٠
 ١٠٣- المسايق ٥٨٧
 ١٠٤- المقصص ١٦٩/١٣
 ١٠٥- انظر : العبر ٣٠٢ ، والبرصان ٣٦٢
 ١٠٦- الحكم ٢٤٥/١
 ١٠٧- من سعي من الشعراء عمرًا ٥٦
 ١٠٨- معجم الشعراء ٢٦ ، وعنه في الاصابة ١١٢/٣ ، وخزانة الادب ٣٩/٣
 ١٠٩- الشعر والشعراء ٣٥٦ ، وعنه في شرح ابيات المغني للبغدادي ١٣٤/٢
 ١١٠- الاتضاب ٤١٤ ، وعنه في شرح شوادر الشافية ٣٥٤/٤
 ١١١- القضية ٦٣/١
 ١١٢- القضية ١٨١٧/٣٠
 ١١٣- القضية ٥١/١٨
 ١١٤- الشكاعي : من دق النبات ، وهي دقية العيدان ، صفيحة خراء ، والناس يتداوون بها . اللسان ، والتابع (شكع)
 ١١٥- القضية ١٦٦/٥٨
 ١١٦- ادب الكاتب ١١٩ ، والمعاني الكبير ١٢٢٠ ، وسمط اللآلئ ٧٧٨ ، والاتضاب ٢٤٢ . وستي بطنه ، وستي ، واستنسق اي : حصل فيه الماء الاصغر ، والستي والستي: ماء اصغر يقع في البطن. اللسان ، والتابع (ستي)
 ١١٧- الشعر والشعراء ٣٥٦ ، وعنه في شرح ابيات المغني للبغدادي ١٣٤/٢
 ١١٨- الاسلام ٧٧/٥
 ١١٩- الاخافي ٢٩٨٠ ، وعنه في الاصابة ١١٢/٣ ، وخزانة الادب ٣٩/٣
 ١٢٠- تاريخ الطيري ٢٠٢/٦
 ١٢١- القسم الاول من المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة ٢٩٩
 ١٢٢- من سعي من الشعراء عمرًا ٥٦ . وأشار الناشر بجواش الى انه توفى على مهد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه
 ١٢٣- معجم الشعراء ٢٦ ، وعنه في الاصابة ١١٢/٣ ، وخزانة الادب ٣٩/٣ ، والتابع (فرص)
 ١٢٤- تاريخ الخلفاء ٤١٥ ، وتاريخ الطيري ٣٥٥/٤
 ١٢٥- كنز العفاظ ٥٠٤ . وانظر : تهذيب اصلاح المنطق ٥٠٠ ، وكنز العفاظ ٤١٠ ، والاتضاب ٣١٩ و ٤٠٢ ، والمشوف المعلم ٦٥ ، وخزانة الادب ٣٨/٣ ، وشرح ابيات المغني للبغدادي ١٣٠/٢
 ١٢٦- انظر : جمارة اشعار العرب (ط. صادر) ٣٠١ ، و (ط. الباراوي) ٨٤٢
 ١٢٧- القضية ٤٠/١٨
 ١٢٨- تاريخ الطيري ٢٠٢/٦
 ١٢٩- معجم الشعراء ٢٦ ، وعنه في الاصابة ١١٢/٣ ، وخزانة الادب ٣٩/٣ ، والتابع (فرص)
 ١٣٠- الشعر والشعراء ٣٥٦
 ١٣١- المعاني الكبير ١٢٢١
 ١٣٢- القضية ٣/٤٥

- ١٣٣- القصيدة ١٠/٥٨
 ١٣٤- الاصابة ١١٢/٣
 ١٣٥- خزانة الادب ٣٩/٣
 ١٣٦- الناج (فروض)
 ١٣٧- تاريخ الغفلاء ٤٢٢ ، وتاريخ الطيري ٤٣١/٦
 ١٣٨- المؤتلف والمختلف ٤٤ ، وخزانة الادب ٣٨/٣ ، وشرح ابيات المغني للبغدادي ١٣٥/٢ . وانظر : من سمي من الشعراه عمراء ٥٦
 ١٣٩- القصيدة ٣٠-٢٩/٢٦
 ١٤٠- طبقات فوعل الشعراه ٥٨٠ ، ومعجم الشعراه ٢٤ ، والاصابة ١١٢/٣ ، وشرح ابيات المغني للبغدادي ١٣٤/٢ .
 ١٤١- القصيدة ٩/٣٣
 ١٤٢- القصيدة ٤/٥
 ١٤٣- مجالس تعليب ٣٢٠
 ١٤٤- اللسان (السن) . وانظر : الناج (السن) .
 ١٤٥- جمهرة اشعار العرب (ط. البجاوي) ١٠٦ . وانظر: (ط. صادر) ٨١ منه .
 ١٤٦- القصيدة ٥٤/٢٣
 ١٤٧- القصيدة ١/١٨
 ١٤٨- القصيدة ١/١٩
 ١٤٩- القصيدة ١/٢٠
 ١٥٠- القصيدة ١٩/٢٤
 ١٥١- القصيدة ٣٩-٣١/١٨
 ١٥٢- القصيدة ٢١/١٨
 ١٥٣- فحولة الشعراه ١٧
 ١٥٤- اللسان (ذبح)
 ١٥٥- القصيدة ٥٦
 ١٥٦- القصيدة ٣٩/٥٨
 ١٥٧- القصيدة ٢-١/٤٦
 ١٥٨- القصيدة ٢١-١٩/٣٠
 ١٥٩- جمهرة اشعار العرب (ط. صادر) ٨٠ ، والعملة ٩٧/١ ، والزهر ٤٨١/٢ . وجاء في (ط. البجاوي) من الجمهرة
 ١٥٥ : قال العجاج : زهير اشعر الناس ، واشمار المعقق يخاشية الى ان نمة اصولا اخرى منه عزت هذا القول
 الى ابن احمر ، فقال : « هذا في ع ، وفي النسخ الاخرى : قال ابن احمر » . وكان عمر بن الخطاب ،
 رضي الله عنه ، يرى ابن ابي سلمى اشعر الشعراه ، لانه « كان لا يناظل بين القول ، ولا يتبع حوش الكلام ، ولا
 يدح الرجل الا بما فيه » . الشعر والشعراء ١٣٨ . وانظر : الاقاتي ٣٧٥٢
 ١٦٠- العجاج : حياته ورجزه ٩٢
 ١٦١- القصيدة ١٨/١٤
 ١٦٢- العروق ١٠٠ ، ومنه في تهذيب اللغة ٣٥٩/١٢
 ١٦٣- الشعر والشعراء ٣٦٩
 ١٦٤- العقد الفريد ٣٦٠/٥
 ١٦٥- الوساطة ١٤
 ١٦٦- الصناعتين ٧٩
 ١٦٧- المزهر ٥٠٢/٢

- ١٦٨- الشعر والشعراء ٢٦٩ ، وعنه في شرح أبيات المتنى للبغدادي ١٣٤/٢
- ١٦٩- طبقات فحول الشعراء ٥٨٠ ، ومعجم الشعراء ٢٤ ، والاصابة ١١٢/٣ ، وشرح أبيات المتنى للبغدادي ١٣٤/٢
- ١٧٠- المؤتلف والمختلف ٤٤ ، وخزانة الادب ٣٨/٣ ، وشرح أبيات المتنى للبغدادي ١٣٥/٢ . وانظر : من سمي من الشعراء عمرًا ٦٦
- ١٧١- المرصع ٦٥
- ١٧٢- التصصيدة ٢١-١٨/٢٦
- ١٧٣- المغاني الكبير ٨٩
- ١٧٤- الافتضاب ٣١٩
- ١٧٥- التصصيدة ١/٣٩
- ١٧٦- التصصيدة ٧٦/٢٠
- ١٧٧- التصصيدة ٤/٥٣
- ١٧٨- قال تعالى في سورة الواقعة ٧٥-٧٨ : [فَلَا إِلَهَ بِعْوَالِ النُّجُومِ ، وَلَا لِقَاءَ لِمَنْ تَعْلَمُ] ، إِنَّهُ لِقَرْآنٌ كَرِيمٌ في كتاب مكون [. وقوله : [فَلَا إِلَهَ] : لا زائدة ، أي : أقسم بعوالم النجوم . وانظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ٦٨٨ وما يتعلمه .]
- ١٧٩- التصصيدة ٢١-١٩/٢٠
- ١٨٠- التصصيدة ٤/٥٦
- ١٨١- التصصيدة ١/٤٤
- ١٨٢- التصصيدة ٣٠-٢٩/٥٨
- ١٨٣- التصصيدة ٤/١٨
- ١٨٤- التصصيدة ٢/١٢
- ١٨٥- التصصيدة ٤/٥٣
- ١٨٦- فحولة الشعراء ١٢ ، وعنه في الموضع ١١٩ . وسأل أبو حاتم استاذ الاصمعي : « ما معنى الفحل ؟ قال : يريد أن له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقائق » فحولة الشعراء ٩ . والحقيقة : جمع حيق ، وهو من الأible : الداخل في السنة الرابعة . وقال ابن متنظور : « فحولة الشعراء هم الذين غلبوا بالمجاهد من هاجهم مثل جرير والفردق واشباههما ، وكذلك كل من عارض شاعرا ، فقلب عليه » اللسان (عل) ، ولكن هذا التعريف بيده ناقصا ، لأننا نجد الاصمعي يصف بعض الشعراء بالفحولة لغير ما ذكره ابن متنظور ، فقد رأى طفيلا فحولا ، والله « خاتمة في النعمت » فحولة الشعراء ١٠ ، ورأى أن العويندة « لو قال مثل قصيدة خمس صائنة كان قدلا » فحولة الشعراء ١٢ ، وكان ينظر في المخونة أيضا إلى جودة السبك والتي براعة المتنى والتي الأشبه بالقديم .
- ١٨٧- طبقات فحول الشعراء ٥٧١
- ١٨٨- شرح أبيات المتنى ١٣٤/٢ و (طبقات فحول الشعراء) أدخل يقول ابن سلام الذي نقله البغدادي عن الكتاب نفسه .
- ١٨٩- جمهرة أشعار العرب (طـ. الباري) ١٠٧ . وانظر : (طـ. صادر) ٨١ منه .
- ١٩٠- جمهرة أشعار العرب (طـ. صادر) ٨١ . و (طـ. الباري) ١٠٧
- ١٩١- من سمي من الشعراء عمرًا ٥٦
- ١٩٢- المؤتلف والمختلف ٤٤ ، وعنه في خزانة الادب ٣٨/٣ ، وشرح أبيات المتنى للبغدادي ١٣٥/٢

المصادر والمراجع :

أولاً : المطبوعات :

- ١ - أدب الكتاب لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) . . . تج : محمد معين الدين عبد العميد . ط ٤ . مطبعة السعادة بمصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .
- ٢ - الاشتغال لأبي يكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢١ هـ) . . . تج : عبدالسلام هارون . ط ٢ . مكتبة المتن في بغداد ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٤ م .
- ٣ - الاصحاح في تمييز الصحاوة لابن حجر المسقلاني (٥٨٥٢ هـ) . . . ط ١ . مصر ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م (صورة دار احياء التراث العربي في بيروت دون تاريخ) .
- ٤ - الانصياعيات لأبي سعيد عبدالملك بن قرب الأصمسي (٢١٧ هـ) . . . تج: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هارون . ط ٥ . بيروت (دون تاريخ) .
- ٥ - الأضداد لأبي يكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨ هـ) . . . تج : محمد أبو الفضل إبراهيم . وزارة الاعلام في الكويت ١٤٦٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ٦ - الأعلام لنفي الدين الزركلي . ط ٥ . دار العلم للملاتيني في بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ٧ - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ) . . . تج: ابراهيم الأنباري . دار الشعب في مصر ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ٨ - الافتال لأبي عثمان السرقسطي (بعد ٤٠٠ هـ) . . . تج: د . حسين محمد محمد شرف . ط ١ . مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ٩ - الاقتصاد في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسى (٥٢١ هـ) . . . دار الجيل في بيروت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .
- ١٠ - الأمالي لابن الشجري (٥٤٢ هـ) . . . مجلس دائرة المعارف العثمانية بجيسن آباد الدكن بالهند ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٠ م (صورة دار المعرفة في بيروت دون تاريخ) .
- ١١ - الأمالي لأبي علي القالي (٣٥٦ هـ) . . . المكتب الإسلامي بدمشق (دون تاريخ) .
- ١٢ - البغلان للجاحظ (٢٥٥ هـ) . . . تج : طه العاجري . ط ٥ . دار المعارف بمصر ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٩ م .
- ١٣ - البرصان والعرجان والمعيان والعولان للجاحظ . . . تج: د . محمد مرسي الشولى . ط ٢ . مؤسسة الرسالة في بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ١٤ - تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي (١٢٥ هـ) . . . حققه عدد من الأساتذة المحققين ، ونشرته حتى الجزء الخامس والعشرين ووزارة الاعلام في الكويت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٩ م ، فاستعانت بجزائه الآخر من الطبعة المصرية المعروفة .
- ١٥ - تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (٤٠٠ هـ) . . . تج : احمد عبدالفتخار عطار . دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م .
- ١٦ - تاريخ الخلفاء لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة (٢٧٣ هـ) . . . تج : محمد مطيع العاظذ . نشر في مجلة اللغة العربية بدمشق: ج ٢ ، مع ٥٦ ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ١٧ - تاريخ الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (٣١٠ هـ) . . . تج: محمد أبو الفضل إبراهيم . ط ٣ . دار المعارف بمصر ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- ١٨- التقافية في اللغة لأبي بشر اليمان بن أبي ليمان البندنيجي (٧٨٦ هـ) . . . تج : خليل ابراهيم العطية . . وزارة الاوقاف في بيروت ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م
- ١٩- الكملة والدليل والصلة لكتاب (تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري) للصفاني (٦٥٠ هـ) . . . تج : عدد من الاساتذة المحققين . . . مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
- ٢٠- تهذيب اصلاح المطلق للخطيب التبريزى (٥٠٢ هـ) . . . تج : د. فخر الدين قبادوة . . ط ١ . . دار الافق الجديدة في بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٣ م
- ٢١- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠ هـ) . . . تج : عدد من الاساتذة المحققين . . وزارة الثقافة في مصر ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٧ م
- ٢٢- جمهرة اشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (واخر القرن الثالث الهجري) . . دار صادر في بيروت (دون تاريخ) . . وهناك نشرة اخرى منه ، تحققا على محمد البجاوى . . دار نهضة مصر في القاهرة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٧ م
- ٢٣- جمهرة انساب العرب لابن حزم الاندلسي (٤٥٦ هـ) . . ط ١ . . دار الكتب العلمية في بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م
- ٢٤- جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي (٣٢١ هـ) . . ط ١ . . مجلس دائرة المصارف المشتركة بعيسى آباد الدكنجي بالمهندسين ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م
- ٢٥- الجيم لأبي ظعمه عمرو الشيباني (٢٠٦ هـ) . . تج : عدد من الاساتذة المحققين . . مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م
- ٢٦- العروض (ثلاثة كتب في الحروف) للغراحيبي (١٧٥ هـ) ، وابن السكك (٢٤٤ هـ) ، والرازي (٦٢١ هـ) . . تج : د. رمضان عبدالتواب . . ط ١ . . مكتبة الفاتحية بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- ٢٧- خزانة الادب (وسمه المقاصد النحوية للغراحيبي) لعبدالقادر بن عمر البقدادى (١٠٩٢ هـ) . . دار صادر في بيروت (دون تاريخ) . .
- ٢٨- ديوان العجاج برواية الاصمعي وشرحه (٢١٧ هـ) . . تج : د. عبدالحفيظ السطلي . . المطبعة التعاونية بدمشق ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م
- ٢٩- ديوان عمرو بن احمد الباهلى . . تج : د. حسين عطوان . . مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م
- ٣٠- رسالة الفرقان لأبي العلاء المعري (٤٤٩ هـ) . . تج : د. عائشة عبد الرحمن . . ط ٦ . . دار المعارف بمصر ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م
- ٣١- سبط الالاقي لأبي سعيد البكري (٤٨٧ هـ) . . تج : عبد العزيز الميمنى . . لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م
- ٣٢- شرح أبيات سبيوه لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيراني (٣٨٥ هـ) . . تج : د. محمد علي سلطانى . . دار المامون للتراث في بيروت ودمشق ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
- ٣٣- شرح أبيات المنفي للبغدادى (١٠٩٢ هـ) . . تج : احمد يوسف دلماق ، وعبد العزيز دباس . . ط ١ . . دار المامون للتراث في دمشق ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
- ٣٤- شرح ادب الكاتب لأبي منصور موهوب بن احمد الجوالى (٥٤٠ هـ) . . مكتبة القدسى ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م

- ٣٥- شرح شافية ابن العاچب لرضا الدين الاستراباني (٦٨٦هـ) . و منه شرح شواهنه لمبدال قادر القدادى (١٠٩٢هـ) . تتح : محمد نور الحسن ، ومحمد نزارى ، ومحمد محيى الدين عبد العميد . دار المعرفة بمصر ١٩٧٥/٥ هـ ١٣٩٥ م .
- ٣٦- الشعر والشعراء لابن قتيبة (٧٧٦هـ) . تتح : احمد محمد شاكر . دار المعرفة بمصر ١٣٨٧/٥ هـ ١٩٦٧ م .
- ٣٧- شعر مزاحم العقيلي . تتح : د. نوري حموي القيسى ، و د. حاتم صالح الصامن . نشر في مجلة مهد المخطوطات العربية : ج ١ ، مع ٢٢ ، ١٣٩٦ هـ ١٩٧٥ م .
- ٣٨- كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر لأبي هلال السكري (٣٩٥هـ) . تتح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، وعلى محمد البجاوي . ط ٢ . دار احياء الكتب العربية في مصر ١٣٩١/٥ هـ ١٩٧١ م .
- ٣٩- طبقات فحول الشعراء لأبي عبد الله محمد بن سلام الجعفي (٢٣١هـ) . تتح : محمود محمد شاكر . دار المعرفة بمصر ١٣٩٤/٥ هـ ١٩٧٤ م .
- ٤٠- العقد الفريد لأبي عمر احمد بن محمد بن ربيه اذاندسى (٢٢٨هـ) . تتح : احمد امين ، واحمد الزين ، وابراهيم الابيارى . ط ٣ . لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة ١٣٧٢/٥ هـ ١٩٥٣ م . (مصورة دار الكتب العربي في بيروت دون تاريخ) .
- ٤١- العمدة في محاسن الشعر وأدابه وتقديره لابن رشيق القمياني (٤٥٦هـ) . تتح : محمد محيى الدين عبد العميد . ط ٥ . دار الجيل في بيروت ١٤٠١/٥ هـ ١٩٨١ م .
- ٤٢- عيون الاخبار لابن قتيبة (٧٧٦هـ) . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٣/٥ هـ ١٩٧٣ م .
- ٤٣- فحولة الشعراء للاصمعي (٢١٧هـ) . تتح : تشارلز نوري . ط ٢ . دار الكتاب الجديد في بيروت ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .
- ٤٤- الفصول والفايات لأبي العلاء المعري (٤٤٩هـ) . تتح : محمود حسن زنانى . المكتب التجارى في بيروت ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .
- ٤٥- الفهرست لابن النديم (٣٨٥هـ) . دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت (دون تاريخ) .
- ٤٦- كنز العفاظ في كتاب تهذيب الانفاظ للخطيب البغدادى (٥٠٢هـ) . تتح : لويس شيغو . المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٣١٣ هـ ١٨٩٥ م .
- ٤٧- لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ) . تتح : عدد من الاساتذة المحققين . دار المعرفة بمصر ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .
- ٤٨- الباب في تهذيب الانسب لأبي الحسن علي بن محمد ،المعروف بابن الائمه (٦٣٠هـ) . مكتبة القىسى في القاهرة ١٣٥٨ هـ ١٩٣٨ م .
- ٤٩- مجالس لطلب ، أبي العباس احمد بن يعنى (٢٩١هـ) . تتح : عبد السلام هارون . ط ٢ . دار المعرفة بمصر ١٢٧٦ هـ ١٩٥٦ م .
- ٥٠- المعتبر لأبي جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥هـ) . تتح : د. ايزلزه ليجنن شتيتر . مجلس دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م . (مصورة دار الأفاق الجديدة في بيروت دون تاريخ) .
- ٥١- الحكم لابن سيدنا الاندلسي (٤٥٨هـ) . تتح : عدد من الاساتذة المحققين . ط ١ ، ١٤٧٢ م .
- ٥٢- المخصوص لابن سيدنا . دار الفكر في بيروت ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .

- ٥٣- المرسخ لابن الأثير (٦٠٦ هـ) . تج : د- ابراهيم السامرائي . رئاسة ديوان الاوقاف في بغداد ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م .
- ٥٤- المزهر في علوم اللغة وآدابها لجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) . تج : محمد جاد المولى ، وعلى محمد الجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم . دار احياء الكتب العربية بمصر ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧ م .
- ٥٥- المشوف المسلمين في ترتيب الاصلاح على حروف المجمجم لابي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٦١٦ هـ) . تج : ياسين محمد السواس . جامعة أم القرى في السعودية ١٤٠٣ هـ/١٩٨٢ م .
- ٥٦- المعانى الكبير في أبيات المعانى لابن قتيبة (٧٧٦ هـ) . تج : سالم الكرنكوى . ط ١ . مجلس دائرة المسارف العثمانية بعمران آباد الدكن بالهند ١٣٦٨ هـ/١٩٤٩ م .
- ٥٧- معجم الشعراء لأبي عبيدة الله محمد بن عمران المرزباني (٢٨٤ هـ) . تج : عبدالستار احمد فراج . مكتبة التورى بدمشق (دون تاريخ) .
- ٥٨- المعجم المفهرس للفتاوا القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد البالى . دار الكتب المصرية ١٣٦٥ هـ/١٩٤٥ م .
- ٥٩- المعارف لابن قتيبة (٢٢٦ هـ) . تج : د- ثروت عكاشه . ط ٢ . دار المعرف بمصر ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م .
- ٦٠- المكالمة عند المذاكرة ليعقوب بن محمد الطيالسي (من علماء القرن الرابع الهجري) . تج: محمد بن تاویت الطنجي . انقرة ١٢٧٦ هـ/١٩٥٦ م .
- ٦١- المأذن والمختلف لأبي القاسم الحسن بن بشر الأتمي (٣٧٠ هـ) . تج : عبدالستار احمد فراج . دار احياء الكتب العربية المصرية ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م .
- ٦٢- الوشى ، او الظرف والترفأ للإثناء ، أبي الطيب محمد بن اسحاق (٢٢٥ هـ) . تج : كرم البستانى . دار صادر في بيروت (دون تاريخ) . وهناك نشرة اخرى منه، حققها كمال مصطفى . ط ٢ . مكتبة الغانجى بمصر ١٣٧٣ هـ/١٩٥٣ م .
- ٦٣- نشوء الطرب في تاريخ جاهلية العرب لأبي الحسن علي بن موسى ، المعروف بابن سعيد الاندلسي (٦٨٥ هـ) . تج : د- نصرت عبدالرحمن . مكتبة القدس في عمان ١٤٠٢ هـ/١٩٨٧ م .
- ٦٤- الوساطة بين المتنبي وخصوصه لأبي الحسن علي بن عبد العزيز البرجاني (٣٩٦ هـ) . تج : محمد ابو الفضل ابراهيم ، وعلى محمد الجاوي . دار القلم في بيروت (دون تاريخ) .

ثانية : المخطوطات :

- ٦٥- شعر عمرو بن احمر الباهلي : جمع وتحقيق ودراسة . صنعة : محمد محين الدين ميسنو . يبعث اعد نيل درجة الماجستير في الاداب بياشراوف الاستاذ الدكتور عبدالغفريظ السطلي . كلية الاداب والعلوم الانسانية في جامعة دمشق ١٩٨٨/٨٧ . ومنها نسخة في مكتبة الاسد .
- ٦٦- من سعي من الشعراء عمراً لمحمد بن داود بن الجراح (٢٩٦ هـ) . مصورة (الفاتح ٥٣٠٣) يحتفظ بها مجمع اللغة العربية بدمشق ، ومنه صورة اخرى في مكتبتي .

ثالثاً : المجالات :

- ٦٧- مجلة التراث العربي : ع ٤٢ و ٤٣ ، كانون الثاني ، ونisan ١٩٩١ م/رجب ، وشوال ١٤١١ هـ ، السنة ١١ .
- ٦٨- مجلة مهد المخطوطات العربية : ج ١ ، مج ٣٠ ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م .

اللهُمَّ إِنِّي
أَنْذُلُكُمْ

رَأْسُ الْوُجُوهِ الْبَلَاغِيَّةِ

د. ياسين الأيوبي

١ - تعریفه:

أ- في اللغة: اختلفت الشيء : **اللف** بعده بعضًا . **والتف** الشيء **اللفا** وإيلافا
وولفافا : لزمه . **والتق** بين الشيئين **تاليفا** ، **فاللغا** و**أيلفلا**^(١) .

كل ذلك يفضي إلى المعنى اللغوي العام وهو : الاتفاق والاجتماع ، ولا يكون ذلك إلا بعد تفرق وغريبة ، ومنه قوله تعالى ، في التأليف بين المؤمنين بعد الإسلام :

«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أثقت بين قلوبهم ولكن الله أئن بينهم إله عزيز حكيم»^(٢) ومعنى الآية أن المؤمنين من المهاجرين والأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، فاستشرت المداواة والبغضاء بينهم ، فالله أئن بينهم ، بعد أن هداهم بنور الإيمان^(٣) .

ب - في الاصطلاح : نظرأ لاختلاف النقاد القدامي في تفسيره وتحديد نوعه باسمه ، صعب تعريفه بتعريفاً بلاغياً محدداً . فسمي مراعاة النظير ، والتناسب ، والتوفيق ، والمؤاخاة ، يدخل في ذلك ائتلاف اللفظ مع المعنى ، واللفظ مع اللفظ ، واللفظ مع الوزن وائتلاف المعنى مع الوزن . وغيرهما مما فرّعه البديعيون وجعلوا كل واحد منها له تدبيعاً خاصاً ساقوا له الشاهد الشعري المناسب .

ومن خلال كل ما ذكر يمكن الخروج بصفة تقريبية لتعريف الائتلاف فنقول :
هو أن يجمع الناظم أو الناشر بين أمر وما يناسبه في اللักษ والمعنى والوزن والقافية ،
جمعاً يؤدي إلى تلاؤم وتوافق لا سبيل معهما إلى التضاد .

(*) باحث . . استاذ في كلية الآداب - الجامعة اللبنانية .

ولكن ذلك لا يعفينا من الدخول في التفاصيل والرجوه التي يرد فيها الائتلاف ، وترى كل واحد منها على حدة ، ناظرين اليه نظرة شبه مستقلة عن الوجه الآخر أو القسم الآخر .

٢ - أقسامه أو وجوهه :

١ - ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، لعل أفضل تعريفين لهذا النوع ما قاله ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ م / ١٤٢٣ م) هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع ، ويأخذ عدة معانٍ فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف^(٤) .

والأفضل منه ، تعريف السيوطي (جلال الدين ت ٩١١ م / ١٥٠٥ هـ) أن تكون الألفاظ تلائم بعضها ، يأن يُقرَن الفريب بيمثله والمتداوِل بيمثله ، رعاية لحسن الجوار والمناسبة^(٥) . كقوله تعالى ، على لسان أخوة يوسف : « تَاهَ تَفَنَّا تذَكَرْ يُوسُفْ حَتَّى تَكُونْ حَرَضًا »^(٦) فقد ناسب أو ألهَ بين ثلاثة الفاظ غريبة الاستعمال مع وجود الفاظ سائلة أكثر استعمالاً ، وهي على التوالى : (تاء) القسم بدلًا من (الواو) و (الباء) ، وما المألفتان في القسم ، ثم الفعل الناقص (تفتاً) بدلًا من تزال ، التي تردد في هذا الجانب أكثر من غيرها ، ف (حرضاً) وهي بمعنى : ضعيف القوة ، أو الهالك من العزء والنفم . وترجع غرابتها إلى جزالة حروفها واختلاف قراءتها وتفسيرها . فقد قرأها أنس بن مالك (حرضاً) بضم فسكون . ومعنى الآية : إنهم قالوا لأبيهم إنك لا تزال تذكر يوسف بالعزء والبكاء عليه حتى تصير بذلك إلى مرض لا تنتفع بنفسك معه أو تموت من النفم^(٧) .

على هذا الأساس تجاوزت الألفاظ وتلاعمت جنساً غريباً ، وطابع بعضها بعضاً لتوادي غرضاً بلاغياً سماه البلاطيون : ائتلاف اللفظ مع اللفظ . ومن الائتلاف اللغطي ، ذي الألفاظ المانوسة ، قوله تعالى : « وَاقْسُمُوا بَاسَةَ جَهَدِ أَيَّانِهِمْ لِئَنْ أَمْرَتَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ »^(٨) وهو يعني – جل شأنه – أهل الفقاق الذين كانوا يتعلمون للرسول عليه السلام بطاعته والخروج معه إلى القتال^(٩) . وما كان قسمهم إلا قولًا فعلاً . فقد ورد في الآية الفاظ مانوسة الاستعمال ناسبٍ ببعضها ، فعُسِّنَ جوارها ، وتمادل وضعيها . ومن جميل ما يروى ، في هذا الباب ، قول صاحب العدة ، ابن رشيق، مادحًا أحد الأمرام :

أصح: وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر الماثور منذ قديم
احاديث ترويها السيوول عن العيا عن البحر عن كف الأمير تميم

فقد ناسب فيه بين الصحة ، والقوة ، والسماع ، والخبر الماثور ، والأحاديث ، والرواية ، ثم بين السيل ، والجيا ، والبحر، وكفتيم ، مع ما في البيت الثاني من صحة الترتيب : في المعنونة ، اذ جمل الرواية لصاغر عن كابر ، كما يقع في سند الحديث ، فإن السيوول أصلها المطر ، والمطر أصله البحر ، ولهذا جعل كف المدوخ أصلاً للبحر مبالغة «^(١٠) » .

هذه الألفاظ الواردة في بيتي ابن رشيق، اتسقت وانتظمت وانطلقت ، فادت غرضاً
بلغياً جمل الكلام مُوْتَلِف النسج محكم السُّدَى .

ومن تعريفات هذا النوع البديعي ، قول صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) :
أثناء شرح بديعته المسماة « الكافية البدعية في المذاهب النبوية » :

« هو أن يكون في الكلام معنى يصح معنى واحد من عدة معانٍ ، فيختار منها ما بين لفظه
وبعض الكلام ، اثنالف وملامنة » ، وساق شاهداً لذلك بيئتاً شعرياً من « كافية » ، (من
البسيط) :

خاضوا عباب الوفى والغيل سابعة في بحر حرب بوج الموت ملتحطم(١١)

اما المثال الشعري الذي ضربه الحلي ، من الشعر القديم ، فهو قول البختري، مادحاً
ووصفاً أنساء الابل التي مضت في السفر ودخلت غمار السراب ، (من الخفيف) :

كالقسيِّيَّ المَعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسَى سِمَبِرِيَّةِ بِلِ الْأَوْتَارِ(١٢)

« فان تشبيه الابل بالقسي من حيث هو كنایة على هُزَالِهَا يصح معه تشبيهاً
بالعراجين والأخلة والأطناب ونحوهما . . . فاختار من ذلك تشبيهها بالأسهم والأوتار ،
لما بينها وبين القسي من الملاعنة والاختلاف . . . وكذلك ما في بيت التصيدة من ملامحة المباب
والسباحة والبحر والموج والالتطم ، » (١٣) .

ب - انتلاف اللفظ مع المعنى ، وهو توافق الشكل مع المضمن ، أو المعنى والمعنى
تواافقاً طبيعياً أو عضوياً يكون فيه المألوف مع الغريب ، والغريب مع الغريب والجزل مع
الجزل والرقيق مع الرقيق . . . وهذا ما عنده الجاحظ في قوله : « ولكل ضرب من الحديث
ضرب من اللفظ ، وكل نوع من المعاني نوع من الأسماء ، فالسخيف للسخيف ، والخفيف
للحفييف ، والجزل للجزل . . . وان كان في لفظ الحديث سُفُّ وابتلت السخافة بالبرالة ،
صار الحديث الذي وضع على أن يُسرِّ النقوس يكربيها ويأخذ باكتظامها » (١٤) .

وفي معرض حديثه عن مقومات الأسلوب عند المؤلف من توفيق بين الكلام ومناسبته ،
خاطب القاضي الجرجاني القاريء الكاتب بضرورة تقسيم الألفاظ على رتب المعاني ،
فلا يكون الفزل كالفنر ، ولا الوعيد كالمذبح ، ولا ال Hazel كالجد . . . بل يتربع كل في مرتبته ،
ويؤدي حقه ، يستوي في ذلك النظم والنشر) . . . مثال ذلك قول العق تبارك :

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » (١٥) فعدل الله سبحانه وتعالى عن
ذكر الطين الى ذكر التراب لأن فيه كثافه . اذ المقصود بلفظ التراب ومعناه ، تصغير أمر
خلق المسيح (ع) عند من ادعى اللوهية ، فلهذا كان الآتيان بلفظ التراب أحسن ، بالمعنى
من الطين ، الذي هو أعم من التراب ، ويعني مجموع التراب والماء ، ومن الأمثلة القرآنية
الدالة على هذا النوع من الاشتلاف ، قوله تعالى أيضاً في معرض الاستقسام : « وَإِذ
استسقي موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك العجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً » (١٦) .

ثم قوله تعالى : « وأوحينا إلى موسى إذا سقاه قومه أن اضرب بعصاك العجر فانجست منه إثنتا عشرة عينة » (١٦) فقد استخدم - جل وعلا - مع استسقاء موسى (ع) لفظة « انفجرت » ومع استسقاء قومه « انجست » وشتان ما بين اللفظتين . الأولى أقوى من الثانية باضطراف لأنها في مقام التناسب مع موسى ، وأما الثانية فهي في انتلاف وتوافق مع مقام قوم موسى .. ومثل ذلك قول زهير بن أبي سلمي (ت ٦١٥ م) (من الطويل) :

فَلَمَا عَرَفَ الدَّارَ قَلَتْ لِرِبِّهَا
إِلَّا انْعَمْ صَبَاحًا أَيْهَا الرَّبِيعُ وَالسَّلَمُ

أَنَّاقِي سُفَّا فِي مُعْرِسِ مِرْجَلٍ وَنَوْيَا كَجِيلِمِ الْعَوْضِ لَمْ يَتَّلَمَ (١)

في البيت الأول معانٌ بيته واضحة ومحروفة ، اختلفت مع الفاظ مستعملة معروفة ، أما البيت الثاني فالمعاني غريبة نوعاً ما ، استدعت الفاظاً غريبة بعض الشيء ..

ومن النقاد البلاغيين القدماء الذين أولوا هذا النوع التفاتة مفيدة ، ابن طباطبا الملوى (ت ٢٢٢ هـ / ٩٣٢ م) عارضاً للشعر وأنواعه وأساليبه ، قائلاً في : ملاومة معانٍ الشعر لمبانيه : إن في الشعر أشياء هي قائمة في النقوس ، يقوم الشاعر باستغراجها « واظهار ما يمكن في الضمائر منها ، فيبيتج السامع لما يردد عليه مما قد عرفه طبعه ، وقبليه فهمه ، فيثار بذلك ما كان دفيناً ويزرب به ما كان مكتوناً ... ان الكلام الواحد جسداً وروحاً . فجسده النطق وروحه معناه ، فواجب على صانع الشعر أن يصنعه منتهة متقدة ، لطيفة مقبولة ، حسنة مجتبية لحبة السامع له والناظر اليه ، فيحشثه جسماً ويتحققه روحـاً . أي يتيقنه لفظاً ، ويبدعهـ معنى، ويجتنب اخراجه على ضد هذه الصفة .. بل ينسويـ أعضاهـ وزناً ، ويمعدلـ أجزاءـهـ تاليـاً ، ويحسـنـ صورـهـ اصـابةـ » (٢٠) . ولم يورد الملوى شواهد شعرية تؤيد مثالـ ما قالـ ..

أما صفي الدين الحلي ، فقد عرف هذا النوع ببساطة لافتة قائلاً : « هو عبارة عن الآتيان بالفاظ جزلة ان كان المعنى فخماً ، وبالفاظ رقيقة ان كان المعنى سهلاً » (٢١) شاهدهـ في ذلكـ قولهـ من بدعيـتهـ (من البسيطـ) :

كَانَمَا حَلَّفَ السَّعْدِيَ مُنْتَشِرًا عَلَى الثَّرَى بَيْنَ مُنْفَضٍ وَمُنْفَضٍ (٢٢)

ثم جاء بشاهد آخر ، هو بيتاً لزهير بن أبي سلمي ، أعلاه ، مع تعليـلـ شـبيـهـ بالـتعلـيلـ الذي أورـدـناـهـ فيـ موـضـعـهـ ..

جـ - اـنـتـلـافـ الـلـفـظـ معـ الـوـزـنـ : عـنـيـ قـدـاماـ بـنـ جـعـفرـ بـهـذـاـ النـوعـ بـدـقـةـ وـوـضـعـ ثـوابـتـهـ ظـلتـ بـعـظـلـهـ ، كـماـ هـيـ لـدـىـ الـبـلـاغـيـنـ الـذـينـ جـاؤـواـ مـنـ بـعـدـهـ . فـقاـلـ : « هـوـ آنـ تـكـونـ الـأـسـمـاءـ وـالـأـفـعـالـ فـيـ الـشـعـرـ تـامـةـ مـسـتـقـيمـةـ كـمـاـ بـنـيـتـ ، لـمـ يـضـطـرـ الـأـمـرـ فـيـ الـوـزـنـ إـلـىـ نـقـصـهـ عـنـ الـبـنـيـةـ ، بـالـزـيـادـةـ عـلـيـهـاـ وـالـنـقـصـانـ مـنـهـ ؛ وـآنـ تـكـونـ أـوـضـاعـ الـأـسـمـاءـ وـالـأـفـعـالـ ، وـالـمـؤـنـتـةـ مـنـهـاـ وـهـيـ الـأـقـوالـ ، عـلـىـ تـرـتـيبـ وـنـظـامـ ، لـمـ يـضـطـرـ الـوـزـنـ إـلـىـ تـأـخـيرـ ماـ يـجـبـ تـقـديـمـ ، وـلـاـ إـلـىـ تـقـدـيمـ ماـ يـجـبـ تـاخـيرـهـ مـنـهـ ، وـلـاـ اـضـطـرـ أـيـضاـ إـلـىـ اـضـافـةـ

لفظة أخرى يلتبس المعنى بها ، بل يكون الموصوف مقدماً والصفة مقولة عليها ...
ومن هذاباب أيضاً أن لا يكون الوزن قد اضطر إلى ادخال معنى ليس الفرض في
الشعر متاجراً إليه حتى إذا حذف لم تتنقص الدلالة لحذفه أو استقاط معنى لا يتم الفرض
المقصود إلا به (٢٣) . ويرى قدامة أن كل شعر سليم هو مثال لذلك ، ولهذا لم يأت
بشاهد شعري لتعريفه المطول . بل عرض لما يشوب هذا الاختلاف من عيوب ، وجاء بأمثلة
لكل واحد منها . وعلى غراره فعل صفي الدين الحلي الذي ساق شاهداً على ذلك ،
بيتاً من بديعيته وهو (من البسيط) :

في ظل أبلج منصور اللواء له عدل يؤلف بين الذئب والفتَّام (٢٤)

البيت في مدح النبي ولم يخرج تعريف العلي عما قاله قدامة ، الا أنه جاء أبسط
وأوضح . فقال (٢٥) : هو نوع لا مثال له بصورة معينة ، لأنَّ عبارة عن الا يُضطر
الشاعر الوزن إلى أن يُقدم بعض الألفاظ ، ويؤخر بعضها ، فيفسد تصوّر المعنى ، ويذهب
رونق اللفظ ، كما قال الفرزدق (ت ١١٠ هـ / ٧٣٨ م) في مدح حال هشام بن عبد الملك ،
(من الطويل) :

وما مثله في الناس الا مُملِّكا أبو أمّة حيٌّ أبوه يقاربه

ومراده : ليس في الناس حيٌّ مثله ، يقاربه ، الا مُملِّكا ، أبو أمّة أبوه . ويريد
بالمملَّك مشاماً (٢٦) .

د - اختلاف المعنى مع المعنى عرقه العلي يقوله :

هو ضربان : الأول قوله ، أي العلي ، في بديعيته ، (من البسيط) :

من مُفرد بغرار السيف منتظر ومُزوج بسنان الرمح منتظم

وهو أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران أحدهما ملائم ، والآخر بخلافه فتقىنه
بالملازم (٢٧) . وشفع تعريفه بشاهد آخر للمتنبي ، مادحاً سيف الدولة (من البسيط) :

فالعرب منه مع الكليري طائرة والروم طائرة منه مع العجل (٢٨)

كان من المكن قرن « منتظم » مع « غرار السيف » وهو حده ، و « منتظر » بـ « سنان
الرمح » فهما ملائمان للمعنى – وكذلك كان من المكن أن يقول المتنبي :
فالروم منه مع الكليري طائرة والعرب طائرة منه مع العجل

لكنه أثر التعبير بالشكل الذي أورد لأن القطا يلائم بلاد العرب ، والعجل ، الساكن
في الجبال ، يلائم مع الروم لأنهم يسكنون الجبال مثله ، وبذلك يكون المعنى قد اختلف
مع المعنى بصورة أفضل .

والضرب الثاني : أن يشتمل الكلام على معنى وملائين له ، فتقرن بهما ما لا قتران له مزية ، كما في قول المتنبي ، مادحًا ميف الدولة في معركة انتصاره على الروم ، بالحدث (من الطويل) :

وقفت ، وما في الموت شكٌ لواقفٍ
كانك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلّي هزيمة
ووجهك واضح وثارك باسم (٢٩)

يقول المتنبي - ردًا على سيف الدولة الذي أنكر على الشاعر تطبيق عجزي البيتين على صدرهما - « لما ذكرت الموت في أول البيت ، أتبعته بذكر الردى لتعانسه . ولما كان وجه المهزوم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعینه من أن تكون باكية ، قلت : « وجهك واضح وثارك باسم » ، لأجمع بين الأصداد في المعنى » (٣٠) ، انتهى كلام المتنبي .

ويعقب الواهدي (ت ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م) شارح ديوان المتنبي - على ما قاله : « لا تطبيق بين الصدر والعجز أحسن من بيتي المتنبي : لأن قوله : « كانك في جفن الردى وهو نائم » ، هو معنى قوله : « وقفْتْ وما في الموت شكٌ لواقفٍ » . فلا مدخل لهذا العجز عن هذا الصدر ، لأن النائم إذا أطبق جفنه ، أحاط بما تعله ، وكان الموت قد أطلقه من كل مكان ، كما يُحدِّق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته . وجملة نائماً ، لسلامته من الهاك لأنه لم يُبصِّره وغفل عنه بالسُّوم فسلَّمَ ولم يهلك . »

وفي البيت الثاني ، يقول الواهدي ، « هذا هو النهاية في التشابه لأنه يقول المكان الذي تُكتَّم فيه الأبطال ، فتكلّح فتتبَّس ؟ ثم « وجهك واضح » لاحتقارك الأمر العظيم . وهذا كما قال مسلم (بن الوليد) من البسيط :

يفترى عند الفرار العرب مُبتسماً إذا تغير وجه الفارس البطل (٣١)

ومن الأمثلة القرآنية الدالة على هذا النوع ما ورد في كتب البلاغة القديمة في قوله تعالى :

« ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظما فيها ولا تضحي » (٣٢) .

يلاحظ في الآية عدم مراعاة معنى الري ، للشبع ، ولا الاستظلال ، للبس . بل روبي مناسبة اللبس للشبع ، في حاجة الإنسان إليه وعدم استغنائه عنه ، ومناسبة الاستظلال للري ، في كونهما تابعين للبس والشبع ومكملي لمنافهما (٣٣) .

وفي أعرابه البياني لهذه الآية ، شرح معي الدين الدرويش وجوه البلاغة الكامنة فيها ، فقال : هذه الآية من القسم الذي يوهم ظاهره أن نظم الكلام جاء على غير طريق البلاغة ، لكن لفظه غير مُوْتَلَّ بمعناه . . . وإذا تأمله حق التأمل ، وجده جاريًا على منهج البلاغة . . . فلو قيل : لا تجوع ولا تظما ، ولا تضحي ولا تعرى ، لكن ذلك جاريًا على ما توجبه البلاغة من الملازمة . والجواب أنه لو قيل : ان لك الا تجوع فيها ولا تظما ، لوجب أن يقول : وأنك لا تعرى فيها ولا تضحي . والتضحي : البروز للشمس بغير

سترة . فيصيير معنى الكلام : وانك لا تعرى فيها ولا تعرى . وهذا فساد ظاهر . لذلك وجوب المدول عنه الى لفظ القرآن ٠٠ فان قيل : لم ذكر التضخي ، وهو عُري في المتن ، وقد ألغى ذكر المري ؟ قلت : في ذكر التضخي فائدة كبيرة وهي وصف الجنة بأنها لا شمس فيها . فان التضخي عربي مخصوص ، مشروط بالبروز الى الشمس وقت الفسخى ، الذي سمي تضخيما ، والانتقال من الاعم الى الاختصاص بلاغة لاختصاص الآخرين . ولا ننس أن في الآية تجانساً داخلياً بلينا هو أن الجوع تجرد الباطن من الغذاء ، والمرى تجرد الظاهر من الشفاعة وكذلك الطما : حر الباطن ، والتضخي الظهور للشمس ، فجانس بين التجاردين الأولين في الآية ، والتجاردين الثانيين (٤٤) ٠٠

هـ - ائتلاف المعنى مع الوزن ، نعم قدامة هنا النوع يقوله :

هـ هو أن تكون المانع مستوفاة ، لم تُضطر باقامة الوزن ، الى نقصها عن الواجب ، ولا الى الزيادة فيها عليه ؛ وأن تكون المانع أيضاً مواجهة للغرض ، لم تُمتنع عن ذلك ، وتعدل عنه من أجل اقامة الوزن والطلب لصحته (٤٥) ٠

لم يورد قدامة شاهداً على هذا التعريف - بل عمد - في فصل لاحق ، الى ذكر عيوب ائتلاف المعنى والوزن ، كان يأتي المعنى مقلوباً ، مراعاة للوزن ، كقول الحطينة (ت ٦٣٠ هـ / م) (من الطويل) :

فلما خشيته الهون والعير ممسك على رغمه ما أثبت العجل حافره (٤٦)
أراد العجل حافره ، فانقلب المعنى . أو أن يأتي مبتوراً باطالته ، فلا يكتفي منه ببيت واحد ، بل يحتاج الى بيت ثان ، كقول عروة الصماليك (ت ٥٩٦ أو ٦٦١ هـ) (من الواقر) :

فلو كال يوم كان على أمرى ومن لك بالتدبر في الأمور
لم يتم المعنى ، كما نرى ، لغایب جواب « لو » ، فان البيت الآتي ليتم المعنى :
اذا ملكت عصمة أم وهب على ما كان من حسان الصلور (٤٧)
ومعنى البيتين : لو كنته يؤمند كما أنا اليوم قوة واقتداراً ، لأمسكتها ، وكنت مالك أمرها على ما بيني وبين قومها من الكراهة والعداء .

وعرف صفي الدين الحلي ، هذا النوع ، فقال : هو أن يؤتى بلفظ ياتلف مع المعنى من غير حاجة الى اخراج المعنى عن وجه الصحة بتقديم ، او تأخير ، او تعريف او حذف ، او قلب . مثاله ، بيت له في بدعيته ، (من البسيط) :

من مثله وفراع الشاة حدثه عن سمه بلسان صادق الرزئم (٤٨)
ومن امثلة القلب ، امتحنده الحلي ببيت للشاعر الأموي عبد الله بن الدمشقي (ت ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م) ، (من الطويل) :
ليهنتك امساكى على الكف بالعشما ورقراق دمعى خشية من ذيالك

أراد : امساكی على الحشا بالكتف (٤٩)

ومعنى البيت ، وهو من أجوء أشعار النسيب ، أن الشاعر قد وقف على آثار العبيبة ، الدارسة ، خشى على قلبه التصدع ، فامساك بكتفه على حشاء ، تشبيتاً لها وتقوية ، وبكي وترقرق دمعه في عينيه ، ثم توجه إلى الحبوبية قائلاً : هنيئاً لك ذلك ، أي ما أنا فيه من التلوع والتصدع . ويرى صفي الدين ، أن كل بيت صحيح المعنى ، مستقيم الوزن ، هو مثال لهذا النوع من الاختلاف (٤٠) .

و - اختلاف الوزن مع المعنى ، هذا النوع لا يختلف عن النوع السابق (اختلاف المعنى مع الوزن) في شيء . لكن واحداً من البلفاء القدامي ، قد نظر إليه نظرة فيها شيء من التغابير والمخالفة . ألا وهو حازم الطرجاني المتوفى ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م ، الذي أفرد لهذا النوع - دون أن يسميه - فقرات عديدة شارحاً دور الوزن الشعري في تلاؤم المعنى و المناسبة فقال :

« لما كانت أغراض الشعر شتى ، وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة ، وما يقصد به الهزل والرشاقة ، ومنها ما يقصد به البهاء والتفضيم ، وما يقصد به الصغار والتحقير ٠ وجوب أن تتحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس . فإذا قصد الشاعر الفخر ، حاكي غرضه بالأوزان الفخمة البايمية الرصينة ، وإذا قصد في موضع قصداً هزلياً أو استخفافياً ٠ حاكي ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائفة القليلة البهاء » (٤١) .

ويعد أن يذكر اختلاف مقادير الأوزان والأسباب والأجزاء ٠ ٠ يعرض لحقيقة التأليف ، فيقول : فالتأليفات من المتناسبات لحلوتها في المسموع . وما اختلف من غير المتناسبات والمتناقضات فغير مستحب ولا مستطاب . ويجب أن يقال في ما اختلف على ذلك النوع شعر وما اختلف من أجزاء تکثر فيها السواكن فإن فيه كرازة وتوصعاً . وما اختلف من أجزاء تکثر فيها المترنقات ، فإن فيه لسوة وسباطة (٤٢) ويصل في تحليله المروضي إلى تshireي الأوزان المروضية وتصنيفها وترتيب مقاماتها بالنسبة إلى أغراض الشعراء ، فجعل الطويل والبسيط أعلى الأوزان درجة ، يتلوهما الوافر والكامل ، يتلوهما التغيف . « أما المديد والرمل ففيهما قوى إلا للعرب : وكلهم مع ذلك في غيرهما أقوى . فاما المنسرح ففي الكلام عليه بعض اضطراب وتقلقل . فاما السريع والرجز فهوهما كرازة . فاما المقارب فالكلام فيه حسن الاطراد . فاما المجتث والمقتضب فالحلوأة فيهما قليلة على طيش فيها . فاما المضارع ، ففيه كل قبيحة . ولا ينفي أن يعد من أوزان العرب ، وانا وضع قياساً ، وهو قياس فاسد لأنه من الوضع المتناقض على ما تقدم » (٤٣) .

ويعلق أحمد مطلوب على تصنيف حازم لأوزان الشعر وترتيبها ، بالقول : « لمثل حازماً أراد أن يثبت غير ما قاله هذان الفيلسوفان [الفارابي و ابن سينا] حينما نسبا هذه

المزيد إلى اليونان وحدهم ، فتحدث عن صلة الوزن بأغراض الشعر العربي أو « انتلاف الوزن مع المعنى » ، ولكنه لم يفصل القول في ذلك ، وظل بعيداً عن كشف أسرار هذا الانلاف ٠٠ (٤٤)

ذ - انتلاف الفواصل :

الفواصل في اللغة ، هي أواخر الآيات في القرآن الكريم ، تماثلها القوافي ، في الشعر واحدتها فاصلة (٤٥)

أما في الاصطلاح ، فالفواصل ، « حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها أهتمام المعاني ٠ (٤٦) وهي تختلف عن السجع ، لأن السجع يتبع المعنى ، والفواصل تابعة للمعنى (٤٧) ٠

وتختلف عن القوافي ، في أن هذه الأخيرة لا تحسن الكلام فيها إلا بمجانسة القوافي واقامة الوزن ، بينما تقع الفواصل على حروف متجانسة أو متقاربة ، فهي في طبقة أعلى في البلاغة (٤٨) ٠ ولعل هذا الرأي مستخرج من أن السجع القرآني غير مقصود لذاته ، بل هو نظام تعبيري ، يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى . والفرق بين الفواصل والأمجاع ، هو أن الأولى تمثل فيها حروف المقاطع ، فيكون سجع ، أو تكون متقاربة ، لا متماثلة ، فلا يكون سجع ٠

اما الثانية ، فالمعروض في المقاطع الأخيرة ، هي دائماً متماثلة . وفي القرآن الكريم النوعان معاً : الحروف المتماثلة والمتقاربة في (المقاطع الأخيرة) من ذلك قوله تعالى : (والشِّئْسِ وضَعْنَاهَا ، والقَمَرُ اذَا تَلَاهَا ، وَالنَّهَارُ اذَا جَلَّاهَا ، وَاللَّيْلُ اذَا يَغْشَاهَا) (٤٩) ٠ فالفواصل هنا متماثلة العروض ، مسجّمة ، على جانب كبير من التوازن الایقاعي والموسيقي . وقوله تعالى : (هل آتاكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَّةِ ، وَجُنُوْنُ يَوْمَئِذٍ خَاصِيَّةً ، عَامِلَةً " نَاصِيَّةً " ، تَصْنَلِي نَاراً حَامِيَّةً) (٥٠) ٠

فهي ذات مقاطع متقاربة العروض ، ما بين (الياء) - في الأولى) - و (الميم) - في الثانية - و (الباء) - في الثالثة) - و (الياء) - في الرابعة - ولو لا روبي التام المربوطة في نهاية الآيات ، لاختل السياق الایقاعي فيها ٠

وهناك من جعل هذا النوع ، مشتلاً على كل ما له علاقة بالسجع ، ثروا أم شرعاً أم قرأتا ، فقال : هو أن يمهد الناشر لسجعه فقرته ، والشاعر لقافية بيته ، تمهدأ تاتي به القافية متمنكة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقاً معنها بمعنى البيت كله تعلقاً تماماً ، بحيث لو طرحت من البيت ، لاختل معناه ، واضطرب مفهومه ٠٠٠ (٥١)

ح - انتلاف القوافي :

هو نفسه الذي رأيناه في انتلاف الفواصل ، مع ابن أبي الصباع المصري ، ف تكون القافية في البيت لازمة للمعنى واتمامه ، لزومها لموسيقى البيت وزنه ؛ والا عدت عيماً

بلغياً أقل ما يقال فيها أنها حشو وزيادة لا نفع فيها . كقول أبي تمام يمدح مالك بن طوق [من الكامل] :

كالفتبية الأداء صافت فارتعت زهر العرار الفض والجثجاثا^(٤٢)

قال قدامة : ان القافية قد تكلت في طلبها ، وان جميع هذا البيت مبني على طلبها والا فليس في وصف الظبيبة بأنها ترتعي الجثجاث كبير فائدة^(٤٣) .
ومثله ، قول صفي الدين العلوي ، يمدح السلطان الأرتقي المنصور ، (من الكامل) :

خللت تقاتل للمقاتل أسمها اغفت عن الأفواق والأرعاظ^(٤٤)

(الأفواق والأرعاظ) لفظان متقاربان في المعنى لندرجة التداخل . فال الأول ، جمع : فوق ، وهو مشتق رأس السهم ، والثاني ، جمع : رعاظ ، مدخل النصل في السهم . ومكنا تكون « الأرعاظ » قد زيدت على البيت لأجل الثانية ، وهو ما لا يحسن به انتلاف القافية مع البيت . وأما المثال الذي يصح معه هذا النوع ، فهو قول المتنبي مادحاً سيف الدولة ، [من البسيط] :

يا أعدل الناس الا في معاملتي فيك الغصام وانت الغصم والحكم^(٤٥)

فقد تألفت الفاظ هذا البيت مع قافية تالفاً عضوياً ممتازاً جمل لفظ القافية : « الحكم » لأن في كلا شطري البيت ما يؤدي إلى هذه القافية ، (كالسدى والتعامل) في الصدر ، و (النصومة) في العجز . ومثله قول المتنبي في القصيدة نفسها :

انا الذي نظر الأعمى الى ادبى وأسمعت كلماتي من به صمم^{٠٠}

فالقافية رأس السلم المنوبي والموسيقي لهذا البيت ، لا يمكن حذفها أو تغييرها .
ويمكن نت كل بيت شعري من هذا القبيل بالمؤتلف القافية ، لأن المدار هو قوة القافية ،
وحاجة البيت إليها ، لا حاجة الشاعر ، وعدم اللجوء إليها لأجل إكثار الأبيات والتسبيح
فيها . ومن شواهد هذا البيت ، قول علي بن محمد البصري (ت ؟) [من الطويل] :

وسابقة الأذىال زغف مقاضة تكتنفها منئي نجاد مخطط

الرغف والزغفة : الدرع المحكمة ، وقيل : الواسعة الطويلة^(٤٦) . النجاد : حمائل
السيف .

قال قدامة : ان الشاعر جاء بالقافية (مخطط) لكي تكون نظيرة لأخواتها في
السجع ، وليس لها فائدة ، « فليس لأن يكون هذا البجاد مخططاً صنع في صفة الدروع
وتتجدد نعمتها ، ولكن أتي به من أجل السجع »^(٤٧) .

وفي ختام الكلام على هذا النوع ، لا بد من التذكير بالتشابه والتكميل اللذين يتمتع
بهما النوعان المشروحان أعلاه وما انتلاف الفواصل وانتلاف التواقي ، بحيث لا يختلف
تعريف الواحد عن الآخر الا في أن الأول أنساب لنعمت موسيقى الكلام القرآني ، والثاني
القص بالشعر وموسيقاه .

ط - الاختلاف والاختلاف :

هذا النوع غير مشروح الا عند قلة من البلاغيين . يسمونه تارة كذلك ، وتسارة المؤتلف والمختلف ، وثالثة : المؤتلف والمختلفة ، اي : المعناني المؤتلف والمعناني المختلفة .. وأفضل تعريف له ما جاء لدى زكي الدين بن أبي الاصبع : « هو عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين ، فيأتي بمعانٍ مؤتلفة في مدحهما ثم يرجم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر ، بزيادة فضل لا ينقص مدح الآخر ، في يأتي لأجل ذلك الترجيح بمعانٍ تختلف معناني التسوية » (٥٨) . وضرب مثالاً على ذلك قول الغنساء في مدح (رثاء) أخيها صخر ، موازنة بينه وبين والدهما ، مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص به مدح الولد ، [من الكامل] :

جارى أباء فاقبلا وهما	يتعاوران ملاءة العضر
وهما وقد برزا كانهما	صقران قد حطا الى وكر
برقت صعفة وجه والده	ومضى على غلواته يجري
أولى فاولى ان يساويه	لولا بلال السن والكبر (٥٩)

وهذا النوع على ضربين . الأول ما كان الشاهد يحتوي على المؤتلف والمختلف مما ، كأبيات الغنساء أعلاه ، وكقول العباس بن الأحنف يهجو قوماً [من الطويل] :

وصالكم هجر وحبكم قلى وعطفكم صد وسلمكم حرب (١٠)
هناك أربع جمل في كل واحدة منها مطابقة بين شينين ، والكل مؤتلف فيما بين المطابقة والمكاثبة .

أما الضرب الثاني ، فهو ما كان الاختلاف فيه منفصل عن الاختلاف ، شبه مستقل عنه ؛ مثل هنا مثبتوت في تصاعيف الآيات القرآنية ، من ذلك قول العق تبارك :
« هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً * إنما خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سمينا بصيراً » (١١)

في الآيتين الكريمتين معانٍ متتابعة ، منها عدمية الانسان ثم وجوده وخلقُه من نطفة ثم صبروته الى مخلوق حي عاقل يسمع ويبصر .

وكلا المعنين الاول والثاني منفصل عن الآخر ، على الأقل في اختلاف الجمل التي صيغ بها المعنيان ، ما بين اثنائين استفهامية ، وخبرية مؤكدة .. ولكن خطأ رفيعاً يجمعنيما ويؤلف بينهما وهو واقع الانسان الذي لم يكن شيئاً . ثم كان على احسن صورة . ومنه قوله تعالى : « ومن نعمته ننتكسه في الغلق أفالاً يعقلون * وما علمناه الشعر وما يتبعني له ان هو إلا ذِكر وقرآن مبين » (٦٢) .

في الآية الأولى ثلاثة معانٍ : الهرم والقبح الشنيع والمعتقل مستسقة فيما بينها لتؤدي غرض الرحمن وهو الاعتبار منه حقيقة ما يؤول إليه الإنسان في نهاية عمره ٠٠ وفي الآية التالية ، معانٍ أخرى مستقلة ومعزولة عن المعانٍ السابقة - هي الشعر والوحش والقرآن ٠٠ متساوية مؤتلفة فيما بينهاالتؤدي غرضه الآية وهو عظمة النبي (ﷺ) في ما تلاه من كلام لا علاقة له بالشعر ، لأن أعظم من الشعر وغيره من فنون القول ٠٠ ومع ذلك فقد استقلت المعانٍ بعضها عن بعض ، فاتتلتقت في كل جانب وكل آية ، ولكن على اختلاف بين هذه وتلك !

وأفرد أبو هلال المسكري (ت ٣٩٥ هـ / ١١٠١ م) فقرة خاصة سماها :

« في جمع المؤتلف والمختلف » جاء في تعريفها : هو أن يجمع في كلام قصير ، أشياء كثيرة مختلفة أو متفرقة ٠٠ كقول الله تعالى : « فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقتمان والضفادع والسم آيات مفصلات » (٦٣) .

الجديد في تعريف المسكري ، هو عدم الفصل بين المؤتلف والمختلف في الشامد الذي استخدمه ، ان في القرآن أم في الشعر أم في النثر . فكان يأتي بشواهد يجتمع فيها فقط المؤتلف ، وأحياناً قليلة يجمع ما بين المؤتلف والمختلف . ومن هذا الوجه الأخير ، قول الشاعر (من الخفيت) :

نبطيء إباوه لم يلده ذو صلاح ولم يلد ذا صلاح
معشر أشبها القرود ولـ سكن خالفوها في خفة الأرواح (١٤)
فقد تضمن البيتان وصفاً تشبيهياً للموصوف ، لكنه انتهى بما يشبه المدح ٠٠

ومن هذا القبيل ، قول سعيد بن خذـاق (جاهلي) (من العوليل) :
أبى القلب أبى السـدـير وـ أهـلـهـ وإن قـيلـ عـيـشـ بـالـسـدـيرـ غـزـيرـ
بـهـ الـبـقـ وـالـحـمـيـ وـأـسـدـ خـفـيـةـ وـعـمـرـوـ بـنـ هـنـدـ يـعـتـدـيـ وـيـجـورـ (١٥)

فقد جمع الشاعر كثيراً من المقايد والمساوئ بعد أن مهد لها برفض الحياة والسكن في المكان الذي ذكره . ومن جميل الشواهد الشعرية التي يجتمع فيها المؤتلف والمختلف في أن قول أبي تمام مادحاً سليمان بن وهب ، (من الخفيت) :

ربـ خـفـيـ تـعـتـ الشـرـيـ وـغـنـاءـ منـ شـحـوبـ (١٦)

فقد جمع في البيت الواحد خفـيـنـ المـيـشـ ، وـهـ الدـعـةـ وـالـبـعـوـحةـ ، وـالـمـشـقـةـ وـالـنـقـاءـ ، معـ القـيـاءـ وـالـنـفـرـةـ وـالـشـحـوبـ . وهـذـاـمـ أـجـلـ شـواـهـدـ الـجـمـعـ الـعـضـوـيـ بـينـ الـاـنـثـالـافـ .

ويلتفت أبو ملال إلى الأشياء المؤلفة المجتمعة في شاهد واحد ، فيعرض لقول ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ / ١٠٨ م) (من الكامل) :

وَاللهِ مَا أَنْدَيْ بِكُنْهِ صَفَاتِهِ مُلْكُ الْقُلُوبِ فَأَوْبَقَتِ فِي أَسْرِهِ

ابْوْجَهِهِ أَمْ شِعْرِهِ أَمْ ثَفَرِهِ أَمْ نَحْرِهِ أَمْ رَدْفَهِ أَمْ حَصْرِهِ^(١٧)

وَيَذَكُرُ لِنَفْسِهِ قُولَهُ ، مَادِحًا (من الطويل) :

فَتَى لَمْ نَزَّنْهُ بِالْقَوَافِيِّ وَانْمَا حَطَّلَنَا إِلَيْهِ كَيْ يَزِينَ الْقَوَافِيِّ

مِنْ الْفَرْعَانِ لَا حَوا شَمْسًا وَمَضَوا ظَبَابِيِّ وَصَالَوْا أَسْوَدًا وَاسْتَهْلَوْا سَوَارِيَا^(١٨)

فِي الشَّاهِدِيْنِ ، لَا بَنْ الْمَعْتَزْ وَأَبِي مَلَلَ ، جَمْعُ الْمُؤْتَلَفِ فَقَطْ ؛ وَمُثْلَهُ لِأَبِي مَلَلَ أَيْضًا ،
وَيَذَكُرُ لِنَفْسِهِ قُولَهُ ، مَادِحًا (من الكامل) .

يسبيك منه مفاتيح ومفروع ومقوم ومفراج (١٩)

فقد كنى عن الفم والأسنان بالملائج ، أي المتباعد الأسنان . وعن الخد المؤردة بالمضراج
أي المصطبغ حمرة . وعن القامة المعتدلة بالرمح المقوء . وربما كنى عن النواص والعنادل
بالمعوج ، وعن الشمر أو البدين الرهيف بالمهفهف ، وهو الرقيق الخصر ، أو الرقيق
الشفاف من الشباب .

★ ★ ★

□ العواشي :

- ١ - لسان العرب ١١/١ و ٩٠ (الف) .
- ٢ - سورة الانفال/٦٣ .
- ٣ - تفسير ابن كثير ٣٤٢/٣ .
- ٤ - خزانة الأدب القاهرة ١٣٥٤ هـ / ١٨٨٧ .
- ٥ - الاتقان في علوم القرآن ١٣٦٨ هـ / ١٩٦٨ ، ٢/٢ ، ص ٨٨ .
- ٦ - سورة يوسف/٨٥ .
- ٧ - تفسير الفخر الرازي ، المشهور بالتفسير الكبير . ج ١٨ ، ص ٢٠١ .
- ٨ - سورة النور/٥٣ .
- ٩ - تفسير ابن كثير ١١٧/٥ .
- ١٠ - البديع في ضوء أسلوب القرآن ، ده عبد الفتاح لاشين . دار المعارف بعمر ط أولى ١٩٧٩ من ٣٦ وهذا التفسير
ما ذُكر في الأصل ، من كتاب ، الطراز المتضمن لأسرار البلقة وعلوم حقائق الامجاد ، ليحيى بن حمزة المولوي ،
المنشور في القاهرة ١٩١٤ الجزء الثالث/١٤٧ . ولم يشر إليه ده لاشين في العاشرية .
- ١١ - شرح الكافية البدوية ، تحقيق ده نسيب نشاوى . مجمع اللغة العربية بم دمشق ٢٢٦/١٩٨٢ .
- ١٢ - انظر ديوان البعرى تحقيق الصبيحى مجلد ٢ ١٩٨٧/٢ .
- ١٣ - شرح الكافية/٢٢٦ - ٢٢٧ . والعروجون : المدقق ١٣١ يبس واعوج والأخلة جمع الغلال ، مفردها خلة ، وهي جنون
السين والتاءن حبائل طويلة .

- ١٤ - العيون ٣٩/٣ . والاكظام جمع : كظم ، مخرج النفس •
- ١٥ - الوساطة بين المتنبي وخصوصه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البعاوي - ميسى البابى العلبي ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢٤ .
- ١٦ - سورة آل عمران/٥٩ .
- ١٧ - سورة البقرة/٦٠ .
- ١٨ - سورة الأعراف/١٦٠ .
- ١٩ - شرح ديوان ذهير بن أبي سلمى ، صنعة ثعلب . الدار القومية ، مصورة عن دار الكتب القاهرة ١٩٤٦/ص ٧ و ٨ .
وفي ديوانه : « وزنياً كعوض الجد » . الآتاني : حجارة القبر . الصفحة سواد مختلط بحمرة . الرجل : القديس .
المرس : موضع تریس القوم . جلم العوض : حرفة لم يتمثل (اي النؤي) ذهب اعلاه ولم يتكسر جانبه والتزي
حاجز يرفع حول البيت من تراب للا يدخل البيت امامه .
- ٢٠ - عبار الشعر ، تحقيق د. محمد زغلول سلام . منشاة المعارف بالاسكندرية . لانا . ص (١٤٢ - ١٤٣) .
- ٢١ - شرح الكافية/ص ١٨٣ .
- ٢٢ - نفسه . الحلق ، مفرد حلة ، وهي البرع . والسعدي ، نسبة الى سعد : موضع تصنع فيه البروع .
- ٢٣ - نقد الشعر/ص ١٦٥ .
- ٢٤ - شرح الكافية/ص ٢٣٣ .
- ٢٥ - نفسه/ص ٢٣٣ .
- ٢٦ - م . ن . ص ٢٢٣ - ٢٢٤ . وفي شرح البيت ايضا ان الفرزدق يمدح ابراهيم بن اسماعيل بن هشام المخزومي ،
حال هشام بن عبدالملك . ابو امه : يعني جد هشام امه هو ابو ابراهيم ، حاله .
- ٢٧ - م . ن . ص ١٧٧ .
- ٢٨ - شرح البروفوري ٢٠٧/٣ . الكلري : صفة لطائر القطا الذي يعيش في السهول . والجمل طائر شبيه بالعام احمر
المقصار والرجلين .
- ٢٩ - ديوان المتنبي بشرح الواحدى . ط برلين ١٨٦١ . ص ٥٥٢ .
- ٣٠ - م . ل . ص ٥٥٢ . وفيه تفصيل للحوار الذي جرى بين ابي الطيب وسيف الدولة الذي استشهد ببيتين
لامرئ القيس يشهدان بيته المتنبي ، وتفنيد هذا الاخير لجمالية بيته امرئ القيس . الامر الذي يوحى بقلة
تفانية فاقحة لدى المتنبي .
- ٣١ - نفسه/ص ٥٥٣ .
- ٣٢ - سورة طه/١١٨ و ١١٩ .
- ٣٣ - شرح الكافية البدوية ، ص ١٧٤ .
- ٣٤ - كتاب : اعراب القرآن وبيانه ، دار اليمامة ، ددار ابن كثير : دمشق - بيروت ودار الارشاد للشؤون الجامعية .
حصص - سوريا . الطبعة الأولى ١٤٠٨/٥ - ١٩٨٨ . مجلد ٦/٢٥٨ - ٢٦١ .
- ٣٥ - نقد الشعر ، ص ١٦٦ .
- ٣٦ - نفسه/ص ٢٠٩ .
- ٣٧ - نفسه/ص ٢٠٩ . وفي ديوانه (صادر) : الا وايتك ، لوكاليوم امري . . المصمة : امتلاك الامر . وحسك
الصلبور : غلها وحقتها . ص ٣٢ .
- ٣٨ - شرح الكافية البدوية ، ص ٢٥٦ .
- ٣٩ - نفسه/ص ٢٠٥ . والزيال : الفراق . وهو من زال الشيء : لغة في : ازاله .
- ٤٠ - نفسه/ص ٢٥٦ .

- ٤١ - منهاج البلقاء وسراج الأدباء ، تقديم وتعليق محمد العبيب ابن الغوجة .
دار النشر الإسلامي ، بيروت ط . ثانية ١٩٨١ ص ٢٦٦ .
- ٤٢ - نفسه/٢٦٧ .
- ٤٣ - المصدر نفسه/ص ٢٦٨ . وهنالك كلام آخر للقرطاجي ، يزيد في توضيح الصورة وتفصيل معالمها .
- ٤٤ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الجزء الأول ، المجمع العلمي العراقي ١٩٨٣ ص ٣٠ (من ٢٦٩ - ٢٧٠) .
- ٤٥ - انظر المساند/١١ ٥٢٤ (فصل) .
- ٤٦ - اعياز القرآن ، للبالانلي . تحقيق احمد صقر . دار المعارف بمصر . ط . خامسة ١٩٨١ . ٢٧٠/١٩٨١ .
- ٤٧ - نفسه/ ٢٧٠ - ٢٧١ .
- ٤٨ - نفسه .
- ٤٩ - الآيات الأربع ، من سورة الشمس ، ومثلها جميع آيات هذه السورة البالغة خمس عشرة .
- ٥٠ - آيات الأربع الأولى من سورة الفاطمية .
- ٥١ - بديع القرآن ، لابن أبي الصبيع المصري . ص ٨٩ (عن معجم المصطلحات البلاغية) ١ ص ١٢ - ١٣ .
- ٥٢ - ديوان أبي تمام/ص ٥٩ . صفات ، امتحن حفل الصيف . والغرار والجثث ، ثباتان عطرياً الراحة ، والأول اثنين ضعوا وتقادى في الشم .
- ٥٣ - نقد الشعر/ص ٢١٠ .
- ٥٤ - ديوانه/ ٢٧٧ .
- ٥٥ - ديوانه بشرح البرقوقي ٤/ ٨٢ .
- ٥٦ - لسان العرب ١٣٥/٩ (زغل) . وفي نقد الشعر : « البجاد . بالياء ، ومعناه : الشوب . وقد رواه احمد مطر وبه (بالتون) ولا نرى في ذلك كثير اختلاف لأنهما يعنون اضافتهما إلى البيت . ولكننا نرجح رواية قدامة ، لأن لفظ « مخطط » يناسب « البجاد » بالياء ، لأنه مذكر ، بولا يناسب « النجاد » لأنها مؤنثة ، ولنقط القافية مذكرة .
- ٥٧ - نقد الشعر/ص ٢١٠ - ٢١١ .
- ٥٨ - انظر : جوهر الكفن/ص ١٤٢ . فقد نقل صاحبه تعريف ذكي الدين كما هو تقريباً .
- ٥٩ - ديوان الغنساء والمسي : اليس الجلساء ، دار التراث - بيروت ١٩٩٨ ص ٤٣ - ٤٤ وفي الديوان : « الفخر » بدلاً من « الخضر » . والملاحة ، ثوب واسع .
- ٦٠ - عن معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ج ٢/٤ .
- ٦١ - سورة الانسان/الإيثان الأولى والثانية .
- ٦٢ - سورة يس ٦٨ و ٦٩ .
- ٦٣ - الصناعتين/ص ٤٥٢ . والآية القرآنية هي من سورة الأعراف/ ١٣٢ .
- ٦٤ - نفسه .
- ٦٥ - أسد خفية ، نسبة إلى ماسدة أو خفية يتخللها الأسدعرية . والبيتان في الشعر والشعراء ٣٩٦/١ ، لسويد بن خداق (بالشاء المجمعة) بينما وردت في الصناعتين (بالباء) المهمة .
- ٦٦ - ديوان أبي تمام/ص ٣٧ ، والصناعتين/ ٤٥٤ .
- ٦٧ - الصناعتين/ ٤٥٤ .
- ٦٨ - نفسه/ ٤٥٥ . والظبا ، جمع . واحدة ظبة وهي حد السيف أو سنانه . والسواري ج سارية وهي السعاية المطرزة أو عمود الشراح .
- ٦٩ - نفسه/ ٤٥٥ .

كتاب من التراث

سماس الأدب النسائي في «بلاغات النساء» لأحمد بن طيفور

عبداللطيف أرناؤوط

للمرأة في تراثنا العربي والاسلامي مشاركة بارزة في الانتاج الأدبي عبر العصور . مما يخالف النظرة السائدة التي ترى أنها لم تتحرر إلا في عصرنا ، ذلك أن مشاركة المرأة الرجل في الحياة الأدبية ثمرة وعي حضاري لا يتوافر إلا في شروط معينة .

فالأدب النسائي المتعذر علينا من العاشرية يدل على دور المرأة السياسي والحياة الاجتماعية وقيادتها مسيرة الفكر والثقافة ، وجراحتها على قول الحق ، وعلم استكانتها للنفلم ، ووعيها البالغ في كل موقف من مواقف الحياة ، ولا يستقيم هذا الوعي إلا في جو العربية الذي كانت تعيش فيه المرأة العربية في الإسلام وقبل الإسلام .

وللأدب النسائي طوابعه المميزة وسماته المخصوصة ، وإن كانت هذه الطوابع لم تتن حظاً كبيراً من عناية الكتاب اللهم إلا بعض الاهتمام .

وفي كتاب « بلاغات النساء » لأحمد بن طيفور ، مادة غزيرة للباحث الأدبي ، فهو يتناول جملة من طرائف كلام النساء وملح ذوات الرأي منها ونحوها منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام ، ومادته متنوعة تجمع بين الشعر والنشر ، وتمثل أسلوب كل أدبية ، وسمات أدب المرأة بصورة عامة .

ولد مؤلف الكتاب الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور في خراسان

(*) كاتب وشاعر ومترجم ونالد .. يعمل أميناً لتحرير مجلة (تراث العرب) .

سنة ٢٠٤ هـ وتوفي سنة ٢٨٠ هـ ، في عصر ازدهر فيه الأدب ، وشاع فيه التسري ، وكان للجواري دور في الفناء الذي يقوم على مختارات من الشعر من مختلف العصور ، وقد ساعد الفنان على نشر الأدب وحفظه ، ويز من المغافلات أدبيات صقل الأدب لستنهن ، غير أن مكانة المرأة العرة ، انحدرت عموماً في العصر العباسي مما كانت عليه في الجاهلية وصدر الاسلام وعهد بنى أمية ، فأحب المؤلف أن يعيد إلى الأذهان تلك الصفحة الناصعة لبلاغة المرأة العربية في العصور السالفة في الشعر والنشر ، فألف كتابه « بلاغات النساء » ليطبع في نفوس الأجيال ملكرة البيان ، وتكون مختاراته قدوة لنساء عصره .

قام بنشر كتاب « بلاغات النساء » وعلق عليه السيد أحمد الألفي وطبعه عام ١٩٠٨ م (١٣٢٦ هـ) في مطبعة مدرسة والدة عباس الأول بالقاهرة معتمداً على مخطوط دار الكتب المصرية المستنسخة ، وعلى أصل آخر استنسخ للشيخ العلام الشنقيطي ، ولم تبرأ نشرة الأستاذ الألفي من شيء من الأخطاء والتصحيفات في طبعته هذه .

يقع الكتاب « بلاغات النساء » في (٢٠٣) صفحات من القطع الصغير ، غير المفهرس والتصويبات ، وقد ضبطه المحقق بالشكل وشرح مفرداته وزوده ببعوش غنية ، واعتراضاته صعوبات في التحقيق ، لأن بعض النصوص الواردة فيه غير واردة في المصادر الأخرى، وقد اتبع المؤلف منهاجاً أدبياً في عرض مادة الكتاب ، فبدأ بكلام بليفات النساء في الاسلام ، ومنهن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . وزينب بنت علي . ومحضة بنت عمر بن الخطاب ، وسودة بنت عمارة ، والزرقاء بنت عدي ، وبكارة الهمالية ، والجمانة بنت مهاجر ، وأمرأة أبي الأسود ، وأمنة بنت الشريد . [من ص ١ - ٦٤] . ثم ذكر جملة من كلام بليفات النساء زمن معاوية ومنهن : الدارمية الحجوبية ، وجروة بنت مرة ، وأم البراء .

وأغلب الأقوال التي ذكرها خطب أو كلمات جامعة في المناسبات السياسية والاجتماعية [من ص ٦٤ - ١٢٠] وتحول المؤلف إلى تصنيف كلام النساء في مناسبات معينة ، فاورد بلاغاتهن في المنازعات بين الأزواج وفي مدد الزوج أو ذمه ، وصفات الزوجية ، ووصيات النساء لبناتهن عند الزواج ،

ومشاوراتهن . وعقد فصلاً عن بلالات النساء ومقاماتها وبعض أشعارهن [من ص ١٢٠ - ١٣٨] . وأخر عن أخبار مواجن النساء ونواذرهن وأجوبيهن [من ص ١٣٨ - ١٦٧] وأخر في أشعار النساء [من ص ١٦٧ - ١٧٢] أورده فيه مختارات من شعر الخنساء وليلي الأخيلية، ثم متفرقات من الشعر النسائي في مختلف أغراضه [من ص ١٧٢ - ٢٠٣] .

وستعرض بعض خصائص الأدب النسائي في الكتاب بعد أن نلخص مجلماً أورده المؤلف لبيانات النساء .

١ - الخطابة :

كلام عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : يتجلّى في أدب السيدة عائشة قوة شخصيتها ، وعلو مكانتها ، فهي ذات عقل راجع ، لا تتكلّم الا في الأمور الجليلة ، والمناسبات الخطيرة .

ذكر المؤلف نبذة من كلامها في الدفاع عن أبيها ، ومعاورتها طلحة والزبير حين حجّت في السنة التي قُتلت فيها الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وبعض أقوالها في وقعة الجمل ، قال معاوية : « ما رأيت أحداً بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ أبلغ من عائشة ». فمن أقوالها حين سمعت أن قوماً نالوا من أبيها :

[٠٠٠ ذاك^(١) والله حصن منيف ، وظلّ مديد ، أنجعَ اذ أكديتم وسبّق اذ ونيتم سبّق الجواد اذا استولى على الأمدفتى قريش ناشتاً ، وكهفها كهلاً ، يربش مملقاها ، ويفك عانيها ويرأب صدعها ، ويلسم شعثها ، حتى حلته قلوبها ، واستشرى في دينه ، فما برحت شكيمته في ذات الله عن وجّل حتى اتخذ بفنائه مسجداً يحيى فيه ما أمات المبطلون ، وكان رحمة الله عليه غزير الدمعة ، وقيند الجوائع ، شجي الشبيح] .

والسيدة عائشة تختار في كلامها العمل القصيرة ، وتكثر من التراويف والتوازن وترفد بيانها بالصور الحسية، وفي كلامها سجع وايقاع جميل ، وهي تعحسن اختيار عبارتها وتمدد قريحتها المتدققة وعقلها الراجح عاطفة رقيقة تميز كلامها عن كلام الرجال ، وهي في ارتجالها الأقوال القصيرة البليفة تصدر عن ذكاء وروعة بيان .

١ - ذاك .. المرأة والنها .

رأت رجلاً متماوتاً ، فسألت : ما هذا
قالوا : زاهد" .

قالت : كان عمر بن الخطاب رحمة الله زاهداً ، وكان اذا قال أسمع ، واذا
مشى أسرع ، واذا ضرَّ بهم في ذات الله أوجع .. ، ففهمها للزهد ينسجم وتعاليم
الدين وتعبيرها عنه جاء في قمة البلاغة ، ولها في البلاغة أقوال جامدة مانعة كفونها
في التقوى : « الله در التقوى ، ما تركت لذى غيظ شفاء » .

وقولها : « لا تطلبوا ما عند الله من غير الله بما يسخط الله » ولم يكن كلامها
يخلو من غريب اذا قيس بلفنة عصرنا ، كقولها حين دخلت على أبيها في مرضه :
« يا أبا ، اعهد الى حامتك وانفذ رأيك في سانتك ، وانقل دار جهازك الى دار
مقامك ، انك محضور – اي حضرته المنيـةـ متصل بقلبي لوعتك ، وأرى تخاذل
اطرافك ، وانتقاء لونك ، والى الله تعزىتي عنك، ولديه ثواب حزني عليك ،
أرقا فلا أرقى – اي أسكن فلا أسكن – وأبل فلا أنقى – اي أرتشف الماء فلا
أروى .. وفي حزنهما على مرض أبيها تتجلى بدقة عاطفتها بالرغم من
قوة شخصيتها وشجاعتها الأدبية .

فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله (ص) :

وأما بلاغة فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله (ص) فتتجلى في تدفق عاطفتها
وحراة تعبيرها ، فكلماتها مختارة ، شديدة الواقع في القلوب ، وعباراتها
مسجونة قصيرة ، تعمد الى التصوير المحسوس ، وتسكب الفكرة في ثوب من
البيان الملموس ولغتها مقدودة من عالم الbadie الغشن القاسي ، الا أنها تجيد
التاثير في القلوب ، دخلت النساء عليها في مرضها الأخير ، فسألتها : كيف أصبحت
من علتكم يا بنت رسول الله . فقالت من كلام طويل : « أصبحت والله عافية
لدنياكم ، قالية لرجالكم ، لفظتهم بعد ان عجمتهم ، وشنأتهم بعد ان سبرتهم ،
فقبعا لفلول المدى ، وجوار القنا ، وخطل الرأي ، وبئسما قدّمت لهم أنفسهم أن
سخّط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون ، لا جرم لقد قلدّتهم
ربّقتها ، وشلت عليهم عارها ، فجندعا وعقرأ وبعدا للنقوم الظالمين ، ويعهم
أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ، ومهبط الروح الأمين ،
الطَّبَّين بأمور الدنيا والدين ، ألا ذلك هو الخسان المبين .. » .

ان عاطفتها القوية تطنى على تعبيرها ، وهي تعسн نقل مشاعرها الى القارئ من خلال الكلمات والصور فترقى به الى أفق من الخيال ، و تستولي على حسّه و مشاعره فلا يسعه الا المشاركة الوجدانية .

زينب بنت علي ، وأم كلثوم رضي الله عنهمما :

هاتان السيدتان الكريمتان نشأتا في حجر البلاغة ، وكلامهما يشبه الى حد بعيد كلام المسيدة فاطمة رضي الله عنها من حيث جزالتها، وقوة أسره وشدة وقمعه، من ذلك خطبة زينب بن معاوية بعد مصرع أخيها الحسين :

«أفلنت يا يزيد انه حين اخذ علينا باطراف الأرض واكتاف السماء ، فاصبحنا ننساق كما ينساق الأسرار أنينا هوانا على الله ، وبك عليه كرامة ، وأن هذا العظيم خطرك فشمتت بأنفك ، ونظرت في عطفيك، جذلان فرحا حين رأيت الدنيا مستوسة لك ، والأمور متستقة عليك ، وقد أمهلت ونفست ٠٠٠٠ أمن العدل تعذيرك نساوك وإمازوك وسوقك بنات رسول الله قد هتك ستورهن ، وأصلحت أصواتهن ، مكتبات تحذرى بهن الآباء ، ويعدو بهن الآباء من بلد الى بلد ، لا يراقبن ولا يؤذين ، يتشوفن القريب والبعيد ، ليس معهن ولٰي من رجالهن ٠٠ » .

وفي هذا الخطاب ما فيه من المقوفة والعنف والجرأة في مخاطبة الخليفة مما لا يجدر على قوله الرجال ، وفيه من التجريع واللوم وقوة العجب وروعه البلاغة ما يشعر بأن كلامها قطعة من كلام أبيها فصاحة وبلاغة ٠

ولا تقل خطبة أم كلثوم في أهل الكوفة عن خطبة زينب بلاغة فقد وقفت بين أهل الكوفة ، وتسوتها بيكون الحسين ، فكانما كانت تنطق بلسان أبيها – على حد تعبير جعفر بن محمد الصادق – ، راوي الخطبة، فأومنات الى الناس أن استكتوا، فلما سكتت الأنفاس قالت :

« أبداً يحمد الله والصلة والسلام على نبيه . أما بعد : يا أهل الكوفة ، يا أهل الغرّ (الغير) والخذل ، لا فلا رقات العبرة ، ولا هدأت الرنة ، إنما متكلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة إنكاثا ، تتخدتون أيامكم دحلاً (الغير) بينكم الا وهل فيكم الا الصلف والشنف (البعض) وملق الاماء وغمز الاعداء ، وهل انتم الا كمرعى على ثمنة ، وكفحة على ملعودة (مدفونة) الا ساء ما قدمت انفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب ، انتم خالدون . اتبكون ٩٩٠٠ أي والله فابكون ، وإنكم والله اجرياء ياليكاء ، فابكون كثيراً ، واضحكوا قليلاً ، فلقد فزتم بعارها وشنارها ٠٠ » .

والسيدة زينب تنوع في العبارة بين الخبر والانشاء ، وتتلاعب في قلوب ساميها ، واسلوبها يشبه الى حد بعيد اسلوب والدها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في خطبه ، وكان البلاغة إرث تحدى اليها مع الدم .
سودة بنت عمارة :

كانت سودة بنت عمارة مع علي كرم الله وجهه يوم صفين ، فلما ولد معاوية الغلافة أرسل في طلبها وذكر لها بموافقتها . . فاجابت : نشتك الله يا أمير المؤمنين واعادة ما مضى، وتنكار ما قد نسي ، قال : هيهات . . الله ما مثل مقام أخيك ينسى ، وما لقيت من أحد مما لقيت من قومك وأخيك ، قالت : صدق فوك . . لم يكن أخي ذميم المقام ولا خفي المكان . . مات الرأس وبُتر الذنب ، وبالله أسأل أمير المؤمنين اعفاني مما استفقيت منه . . قال : قد فعلت . . فما حاجتك ؟ قالت : إنك أصبحت للناس سيدا ، ولأمرهم متقلدا . . والله سائلك من أمرنا ، وما افترض عليك من حقنا . . وما يزال يقدم علينا من ينوه بعذك ، ويبيطش بلسانك فيعصفتنا حصد السنبل ، ويدوسنا دوس البقر ، ويسمينا الخسيسة ويسلينا الجليلة ، ولو لا الطاعة لكان فيما عن ومنعة . . » إلى آخر حديثها الطويل الذي أتفعنت فيه الخليفة بعزل (بسر بن أرطاة) واليه بعد أن شكت أعماله وظلمه قومها فكتب بعزله ، وحملت كتاب العزل بيدها الى / بسر بن أرطاة / ولم يكن من السهل عليها اقناع معاوية . وكانت قومها من معارضيه لولا ما أتيت من قوة العجة وبراعة الاقناع .

الزرقاء بنت عدي وبكارة الهمالية :

والزرقاء بنت عدي يشبه موقفها موقف سودة ، كانت مع علي كرم الله وجهه هي وقومها يوم صفين ، وأنشأت كلاماً بليغاً تعرّض الناس فيه على قتال معاوية . . جاء منه :

[لا ان خضاب النساء العناء ، وخضاب الرجاء الدماء ، والصبر خير في الأمور عاقب ، إليها الى الحرب ناكصين فهذا يوم له ما بعده] فاستدعاهما معاوية بعد خلافته وجادلها في موقفها . . فلم تكن أقل جرأة من سودة ، قال لها معاوية من حوار طويل : يا زرقاء . . لقد شركت علياً في كل دم سفكه .

فقالت : أحسن الله بشارتك وأدام سلامتك ، مثلك من يشرّب غير وسرّ
جليسه ..
قال : وقد سرّك ذلك .

قالت : نعم ، والله .. لقد سرني قولك ، فائئٍ بتصديق الفعل ؟
قال معاوية : والله لوفاؤكم بعد موته أحب لي من حبكم له في حياته ، اذكري
 حاجتك .

قالت : يا أمير المؤمنين .. اني آللت على نفسي الا أسأله أميراً أعنّتُ عليه
 شيئاً أبداً .. ومثلك أعطى من غير مسألة وجاد من غير طلب .
قال : صدقت .. فاقطعها ضيعة أغلتتها .

ولم تكن بكارة الهلالية أقل جرأة أمام معاوية من الزرقاء ، والمرء يعجب
من مواقف تلك النسوة، وان كان يداخله الشك في أن قسمًا من هذه الأخبار ، انما
وضع لأغراض سياسية ، لقد دافعت بكارة الهلالية عن موقفها في صفين أمام
معاوية ، فأنبرى لها سعيد بن العاص ، وذكرها بشعرها في صفين ..

فقالت معاوية : نبحثني كلامك يا أمير المؤمنين ، واعتورتنى ، فقصر محجني
(العصبية) .. وكثير عجبي وغشى بصرى ، وأنا والله قائلة ما قالوا لا أدفع ذلك
بتكذيب ، فامض لشأنك فلا خير في العيش بعد أمير المؤمنين (تزيد علينا) .

* * *

٢ - كلام الأعرابيات :

ان بلاغة المرأة العربية تتجاوز سيدات المجتمع البارزات الى الأعرابيات في
الصحراء ، وقد رضعن البلاغة مع حليب الأمهات ، هذه أعرابية من (هوازن)
تقف أمام عبد الرحمن بن أبي بكر في سنة جدب فتغاطبه قائلة :

[أصلحك الله ، أقبلت من أرض شاسعة ترفعني رافعة ، وتخفضني خافضة
بملحات من البلاد ، وملمات من الدهور ، يرى عظمي وأذهبن لعمي ، وتركتني
والهـا ، وأنزلتني الى الحضيـس ، وقد ضاق الى البلد العريـض ، لا عشـيرة
تحميـني ولا حـيم يـكتـنـي .. فـسـالـتـ فـيـ اـحـيـاءـ الـرـبـ المـرـجـوـ سـيـهـ ، الـمـأـمـونـ غـيـبـهـ ،
الـمـكـفـيـ سـائـلـهـ ، الـكـرـيمـةـ شـمائـلـهـ ، فـأـرـشـدـتـ الـيـكـ وـأـنـاـ اـمـرـأـ منـ (ـ هوـازـنـ)ـ .

مات الوارد وغاب الرافد ، ومثلك مَنْ سَدَّ الخلة ، وفك الللة ، فاصنع احدي
ثلاث : اما أن تقيم من أودي ، أو تحسن عطائي ، أو ترددني الى بلدي . قال :
بل أجمعهن لك وحباً ٠٠٠

وبلافة الأعرايبات أقرب الى الطبع والتدايق المفوي ، وسجمنه^٢ بعيد عن
التكلف ، يصدر عن السليقة والطبع ، ولا عجب فهن ينهلن اللغة من نبها
الصافي ، وليس في كلامهن ما يبتعد عن حياة المرأة البدوية العادية ، فلا سياسة
أن ثقافة تجهد الفكر أو تقييد اللسان ، إنهن يعكسن اللغة الشعبية وجوانب
الحياة الخصبية ٠

* * *

٣ - أجوبة النساء ومنطقهن :

وفي أجوبة بعض النساء يبرز الى جانب بلافة القول حدة الذكاء وقوة العجة
وسرعة البديهة ، ويدخل في هذا الباب الذي عقد له المؤلف فصلا خاصا في مواقف
النساء من أزواجهن من مدح وذم ، وأورد ملحاً من نواذرهن ومزاجهن
والمرأة في هذه المواقف تبدو قوية المنطق، بارعة النكتة ، ومن تلك المواقف أجوبة
امرأة أبي الأسود الدؤلي ، فقد طلقها ، فشكته الى معاوية فمثلاً أمامه ، فسأل
معاوية أبي الأسود عن سبب طلاقها ٠٠٠

قال : ٠٠٠ ما طلقتها عن ريبة ، ولا لأي هفوة حضرت^٣ ، ولتكنى كرهت
شمائلها ، فقطعت عنى خبائثها ٠

قال معاوية : وأي الشمائل كرهت يا أبي الأسود ٤٠٠

قال : يا أمير المؤمنين ، انك مهيجها على^٥ بجواب عتيد ولسان شديد ٠

قال له معاوية : لا بد^٦ لك من محاورتها ، فاردد عليها قولها عند من اجتمتها ٠

قال أبو الأسود : يا أمير المؤمنين ، انها كثيرة الصخب ، دائمة الندب (أي
بذاءة اللسان) مهينة للأهل ٠٠ موزية للبلع ، مسيئة الى الجار ، مظهرة للعار ،
ان رأت خيراً كتمته ، وان رأت شرآً اذا عنته ٠٠

فقالت : والله لو لا مكان لامير المؤمنين ، وحضور مَنْ حضره من المسلمين

لترددت عليك بوادر كلامك بنوافذ أقرع كل سهامك ، وان كان لا يجمل بالمرأة
العرّة أن تشتت بعلاقاً ، ولا أن تظهر لأحد جهلاً .
فقال معاوية : عزمت عليك لما أجبته .

قالت : يا أمير المؤمنين ، ما علمته الا سؤولاً جهولاً ، ملحتاً بغيلاً . ان قال
بشرٌ قائل ، وان سكت فندو دغائل ، ليثٌ حين يأنم وتعلبٌ حين يغاف ، شحبيح
حين يُضاف ، ان ذكر الجود انقمع لما يعرف من قصر رشائه ولؤم آبائه ، ضيفه
جائح وجاره ضائع ، لا يحفظ جاراً ولا يعمر ذماراً ولا يدرك ثاراً . أكرم
الناس عليه مَنْ أهانه ، وأهونهم عليه مَنْ أكرمه .

فقال معاوية : سبحان الله لما تأتي بهذه المرأة من السجع :

فقال أبو الأسود : انها مطلقة ، ومنْ أكثر كلاماً من مطلقة ٤٤٠٠

ثم فازت من معاوية بالحكم لها على أبي الأسود ، بفضل بلاغتها وغلبت ابا
الأسود وهو عالم وأديب .

على أن للمرأة العربية مواقف موضوعية من الزوج ، فهي لا تنكر مقتل
زوجها ان كان جديراً بالفضل ، ولا تمدح رجلها الا بما فيه من ذلك ما رواه مؤلف
الكتاب عن امرأة عروة بن الورد بعد أن طلّقها . . فقللت فيه في نادي القوم : أما
انك والله المضحك مقبلًا ، السكوت مدبراً ، خفيف على ظهر الفرس ، ثقيل
على متن الدبو ، رفيع العماد كثير الرماد ترضي الأهل والأجانب .

فتزوجها من بعده رجل ، فقال لها : أثني على كما أثنيت على عروة . فقللت :
لا تحبني الى ذلك . فاني ان قلت قلت حقاً . . فابى ، فقالت : ان شملتك
الالتفاف ، وان شربك الاشتلاف ، وانك لتنام ليلة تخاف ، وتشبع ليلة تضاف .

* * *

٤ - وصايا النساء :

ويدخل في هذا الباب ما تقدمه النساء البليفات من وصايا لبناتها عند الزواج،
وهي وصايا موجزة للبارات ، بعيدة الدلالات ، من ذلك ما أوصلت به السليمية
ابنتها عند زواجهما ، اذ قالت لها : « لا تجلسني بالفناء ولا تكثري من الماء ،
واعلمي أن أطيب الطيب الماء . . »

وما أوصت به النمرية اذ قالت : « لا تطاوي زوجك فتملئه ولا تعاصيه فتشكيه ، واصدقيه الصفاء ، واجعلني آخر طيبك الماء ٠٠ » وما أوصت به الأسدية اذ قالت لابنتها : « ادني سترك وأكرمي زوجك ، واجتنبي الآباء ، واستنظرني بالماء ٠٠ » وهي وصايا ترسم أخلاق فتيات كل قبيلة وعاداتهاهن وصفاتهن في معاملة الأزواج .

* * *

٥ - نوادر النساء :

يورد المؤلف جملة من نوادر النساء وملحهن ، وفيها صراحة ومبون ، تتجلّى من خلالها المرأة على حقيقتها دون تحفظ ، ومن المرجح أن الرواية زادوا في هذه الأخبار بهدف التسلية ، وأغلب المتدررات الماجنات نساء طاعنات في السن أو معرفات بمزاياهن في المجتمع ومنهن : حميدة بنت النعمان التي تزوجت [روح بن زبناع] وهجته فطلقتها ، وتزوجها من بعده الفيض بن حكم ، وكان جميلاً يصيب الشراب ٠٠٠ فكان اذا سكر يلطمها ويقيء في حجرها فقالت فيه :

ألا يا فيض كنت أراك فيضاً فلا فيضاً وجلتْ ولا فراتا

ومنهن حمزة امرأة عمران بن حطان ، وكانت جميلة وكان دمياً فقالت له يوماً : أنا لعلي خير ان شاء الله أعطيتَ مثلثي فشكرت وابتليتُ بك فصبرت .
قال عمران : مثلثي ومثلك ٠٠ ما قال الأحوص :

ان العسام وان رئتَ مضاربَه اذا ضربتَ به مكروهه فصلا

ومنهن تلك الأعرابية التي مر بها إبان بن تغلب وزوجها يضرها وكان دمياً ، وكانت حسنة الوجه ٠٠

قال : أتضرب مثل هذا الوجه الحسن ٠٠ ؟

قالت : أصلحك الله ٠ ان له عذر افادعه ٠

قال : فما هو ٤٠٠

قالت : قدّمت الى الله سبعين . فعاقبني عليهم به ٤٠٠ وقدّم اليه حسنة
فجزاه بي ٤٠٠ !!

ومن أولئك أخت رقية بن مصقله التي ذكرها الجاحظ ، فقد مات أخوها
وترك لها أمانة عند رجل ، فجاء ليسلّمها الأمانة وطلب احضار شاهدين يشهدان
أنها أخت رقية ، فأرسلت الى الامام والمؤذن ليشهدا ، واستندت الى العائض .
فقالت : العمد لله الذي أبز وجهي ، وأنطق عيني ، وشهر بالفacaة اسمي ،
فتقال الرجل : شهدت أنك أخته حقاً ٤٠٠ ودفع الدنانير لها دون شاهد .

ومع أن الباحثين النفسيين يذهبون الى أن المرأة أقل من الرجل براعة في
النادرة ، فإن ما ورد في الكتاب من نوادر النساء يكشف عن ذكاء المرأة العربية ،
وبراعتها في النوادر ، وحبها المزاح ، فهي لا تفترق عن الرجل ولا تقل عنه جداره
في مواقف الجد والمزاح .

★ ★ *

٦ - لباقة النساء ودهاؤهن :

وفي الفصل الذي عقده المؤلف عن أخبار ذوات الرأي والظرف ، منهـن
ما تتجلى لباقة المرأة العربية في الخطاب وبراعتها مقتضي الحال في كلامها ، فمن
تلك اللباقة وحسن التهذيب ما روـي عن نائلة بنت القرافصة حين زفت الى
عثمان بن عفان حلتـ وحملـتـ اليـهـ منـ الشـامـ ، فـلـمـ دـخـلـتـ عـلـيـهـ ٤٠٠ قالـ لهاـ : أـلاـ تـكـرـهـينـ
ما رأـيـتـ مـنـ شـيـيـيـ ٤٠٠

قالـ : أـنـيـ مـنـ نـسـوـةـ أـحـبـ أـزـوـاجـهـنـ الـيـهـنـ الـكـهـلـ السـيـدـ ٤٠٠

قالـ : أـنـيـ جـاـوـزـتـ التـكـهـيلـ ٤٠٠ فـأـنـاشـيـنـ .

قالـ : أـبـلـيـتـ عـمـرـكـ فـيـ الـاسـلـامـ وـنـصـرـةـ الرـسـولـ (صـ)ـ فـيـ خـيـرـ ماـ أـفـنـيـتـ
فـيـ الـأـعـمـارـ .

قالـ : أـتـقـوـمـيـنـ لـيـ أـمـ أـقـومـ الـيـكـ .

قالت : ما قطعت اليك عرض السماوة أكثر من عرض البيت .. بل أقوم ..
اليك

ومن ذلك ما روي عن عاتكة بنت عبد الملك بن العارث المخزومية زوج عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، التي اعترضت المنصور في المحرج، وكان قد أمر بمصادرته ضياع زوجها .. فصاحت :

ـ يا أمير المؤمنين : احمل عنى كلك (أي عيالك ويتاماك) أو أعنى على حمله لك ، معي أبناء عبد الله بن الحسن صبية صغار لا مال لهم ، وأنا امرأة لست بذات مال ، فأناشدك يا الله أن تفارق احتمال ما يلزمك احتماله منهم عوناً لهم في اطرافهم فاني خائفة عليهم ان فعلت أن يضيعوا ..

قال : من هذه يا رب ؟؟ فنسبها الربيع اليه ..

قال المنصور : هكذا ينبغي أن تكون نسااؤهم !! ..

وأمر برد ضياع أبيهم ووهبها ألف دينار ..

ومن أوجبة النساء المفحة التي تدل على دهاء .. ما قالته بشينة جميل عبد الملك بن مروان حين سألها لما دخلت عليه :

ـ ما رجا فيك جميل حين قال فيك ما قال ..

قالت : الذي رجت منك الأمة حين ولئتك أمورها !! ..

فما رد عليها عبد الملك بكلمة ..

على أن مؤلف الكتاب ذكر من دهاء النساء وحيلهن أخباراً صريحة لا يجعل ذكرها ..

* * *

٧ - أشعار النساء :

وما اختاره المؤلف من أشعار النساء مقطوعات للختفاء ولا سيما في رثاء أخويها صغر ومعاوية ، وهي قصائد تحفل بالعاطفة الرقيقة والانفعال

الموجданى ، وتصور أحلى تصوير سمو عاطفة المرأة القوية ، وتميّزها في الوفاء للأحبة ، والألم للفجيعة .. من ذلك قول الخنساء في معاوية :

أبعد بن عمرو من آل الشر
ساحمل نفسي على آلة
وخيّل تقدس بالدارعين
يهين النّفوس وهون
فاذتك مرّة أودت به
فزال الكواكب من قصده
وداهية جرها جارم
كفاما ابن عمرو ولم يستعن
يد حلت^(١) به الأرض اثقالها
فاما عليها وأمالها
نازلت بالسيف أبطالها
النّفوس يوم الكربلة ابقي لها
فقد كان يكثر تقاتلها
وجلّت الشمس إجلالها
ثقل العواضن احجالها
ولو كان غيرك ادنى لها

ومما ذكره منأشعار النساء ، مختارات لليلي الأخيلية في هباء النابفة الجعدي ورثائتها لتبعة بن الحمير . وكانت تحبه ، وكان صاحب غارات فقتله جيران لبني عوف بن عقيل وقد أغاث عليهم ، فمن رثائها الرقيق فيه :

القسمت ابكي بعد توبه هالكا
واحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالقتل عار على الفتى
وما العسى مما احدث النهر معتبا
واحفل من دارت عليه الدوائر

ولورد المؤلف مختارات أخرى لمارة بنت الديان وجنوب أخت عمرو المكتب وهند بنت حذيفة . وكلها في الرثاء .

والرثاء أبرز أبواب الشعر طرورقان الشاعرات ، يليه الهباء ، وما ذكره من هذا الباب هباء الفارعة بنت معاوية القشيرية لبني كلاب ، وسلمى بنت المعلق .

ومن الفخر ماقالته «جل الضبابية» من بني كلاب ، وهو رثاء مؤثر لا يخلو من تصوير للمعارك :

١ - حلت : زينت .

بعزم كراء ضاحية نسوق
 كمشي معاجل فيه زموق
 تكفته ضعي ريح خريق
 وضرب الهمام كلاما ينوق
 وأما المازني فلا يليق
 من الفتیان مختلف رقيق
 فويق لثاثهم فالقوم فوق
 فاضحت كلها بشم تفوق
 سانا ما يسوغ لهم روق
 وقد صحلت من النوح العلوق
 وأما الشرفي فكان جتنا
 مشينا شطрем ومشوا علينا
 كان التبل وسطهم جراد
 فالقينا القسي وكان قتلا
 وأما المشرقي فكان جتنا
 بكل قرارة غادرن خرقا
 وقد كلح المشافر فاستقلت
 فأشبعنا الطباع وأشبعونا
 وأبكيينا نساءهم وابكوا نسـ
 يعادين الكلاب بكل فجر

والأبيات من أروع ما نظم في وصف الحرب تصويراً ودقة وصف ، فهي تعكس
 اهتمامات المرأة بجوانب من الحرب وهم يصلون نارها والنساء يصفنها وصف
 المراقب المشاهد .

وفي غزل النساء أورد المؤلف مقطوعات تراوح بين العفة والمجون ، وبعضها
 لا يقل روعة عن شعر الرجال الغزلين ، من ذلك قول خولة بنت ثابت في الوليد
 بن المغيرة :

يا خليلي نابني سهلي
 لم انم لييلي ولم اكد
 غير اني لا اتوب ولا
 اشتكي ما بي الى احد
 كيف تلجاني على دجل
 فتة عن تذكاره كبني
 مثل ضوء الشمس صورته
 ليس بالزبيلة النكـد

ومن ذلك قول خيرة بنت أبي ضيغم، وكانت من أظرف النساء وفي قولها عفة
 وترفع :

ولا نحن بالاعداء مختلطان
 وان كان قلبانا يدان
 نتعنا غليل النفس بالرشوان

ويتنا خلاف العي لا نعن منهم
 نلود بذكر الله عنا من الصبا
 ونصدر عن ربي العفاف وربما

وقول خلية الحضريّة في هوى لها :

بنا شُمّتَا تلَك العيون الكواش
أطَالَ المَعْبُ الْهَجْرُ وَالْعَيْبُ ناصِحٌ
مَعَ الْقَلْبِ مَطْوِيٌّ عَلَيْهِ الْجَوانِحُ

وَمِنْ أَرْوَعِ مَا عَبَرَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ عَنْ إِصْرَارِهَا عَلَى حُبِّهَا قَوْلُ بَنْتِ حِبَابِ فِي
يَحِيَّ بْنِ حَمْزَةَ، وَقَدْ ضُرِبَتْ بِالسُّوتُ بِسَبِيلِهِ :

تَنَافِي لَوْ تَسْرِي بِهَا الرِّيحُ كَائِنَةً
وَإِنْ نَهَتْ مَنَا السِّيَاطُ وَعَلَيْهِ

الْأَضْرَبُ فِي يَحِيَّ وَبِينِي وَبِينِهِ

إِلَيْتُ يَحِيَّ يَوْمَ غَبَّلَ زَارَنَا

وَقُولُهَا :

أَقُولُ لِعَمْرِ وَالسِّيَاطِ تَلْفِنِي
فَأَشَهَّدُ يَا غَيْرَانِ أَنِّي أَحْبَبَهُ

وَقُولُهَا :

بِلَادًا هُوَ نَفْسِي بِهَا فَادْكَرَانِي
عَلَى سُخْطِ الْوَاشِنِيْنَ أَنْ تَعْذِرَنِي
أَحَادِيثُ مِنْ يَحِيَّ تَشَبَّهُ النَّوَاصِيَا
وَانْ قَطَّمُوا عَمْدًا بِذَاكَ لَسَانِيَا

خَلِيلِيْ! إِنْ أَصْعَدْتَمَا أَوْ هَبْطَمَا
وَلَا تَدْعَا أَنْ لَامِنِيْ تَمَّ لَانِمَّ
فَقَدْ شَفَ قَلْبِيْ بَعْدَ طُولِ تَجْلِيدِ
سَارِعِيْ لِيَحِيَّ السُّودَمَا هَبَّتِ الصَّبَا

وَالثِّباتُ عَلَى الْحُبِّ وَالْاَخْلَاصِ لَهُ ، مُثْلِمًا يَبْرِزُ فِي الْأَبِيَاتِ السَّاِيَقَةِ ، سَمَّةُ مِنْ
سَمَّاتِ الْمَرْأَةِ ، فَهِيَ أَصْدِقُ مُشَاعِرِهِ مِنَ الرِّجَلِ وَأَكْثَرُ ثَبَاتًا فِي مَوَاقِفِهِ الْوَجْدَانِيَّةِ ،
وَالْمَرْأَةُ أَكْثَرُ اِنْدِفَاعًا فِي حُبِّهِ مِنَ الرِّجَلِ ، وَأَقْدَرُ عَلَى تَصْعِيدِ أَحَاسِيسِهَا عَنْهُ
وَسُمُّاً .

وَمِنْ يَقْرَأُ قَوْلَ أَمِ الضَّحَّاكَ الْمَحَارِيَّةِ يَلْمِسُ هَذِهِ الْحَقْيَقَةَ ، وَكَانَتْ تَهْوِي رِجْلًا
يَدْعُى عَطْلِيَّةَ ، فَاسْتَخْوَنَتْهُ ، تَقُولُ فِي الْحُبِّ :

أَجْبَوَا وَقَدْ كَانُوا عَلَى سَالِفِ الدَّهْرِ
يَاجْمِعِهِ ، يَعْكُونُ ذَلِكَ فِي الشِّعْرِ
وَحْنَةَ قَلْبٍ عَنْ حَدِيثٍ وَعَنْ ذَكْرِ
وَبِلَاهِ مَنْ يَهْوِي وَلَوْ كَانَ مِنْ صَغِيرٍ

أَرَى الْحُبُّ لَا يَنْفَسِي وَلَا يَنْفَنِهِ الْأَلَى
وَكَلَّهُمْ قَدْ خَالَهُ فِي فَؤَادِهِ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا سَمِعَ أَذْنَ وَنَظَرَةَ
وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ غَيْرَهُ فَتَى الْهُوَى

هذه لمحه عابرة عن كتاب « بلاغات النساء » فهو حديقة في أدب المرأة ، ووثيقه غنية في تحليل نفسيتها ، ومنبع ثر لدراسة المرأة العربيه من النواحي الاجتماعيه والسيكولوجيه والأدبيه ، وماده غزيره تساعد الناقد في تبيان خصائص الأدب النسائي ، وهو أدب يتميز عن أدب الرجال بالانفعال الوجданى ، ودقة الملاحظة ، والعنایة بالصياغة والصدق في التعبير ، لا نجد فيه مدحأ أو تزلفا ، بل تصوير صادق للذات النسائية في مواجهة العيادة ، والمرأة أكثر من الرجل تاثراً بالأحداث ، تهزها المصيبة ، وتستثير مشاعرها العميقه ، وهي ان أحبت أحياناً بصدق ، وان كرهت لا تكتم كرهها ، ففي أدبها صراحة حرص المجتمع أن يكتبها، فووجدت في الكلمة متنفساً لها . وان كان الرواية زادوا ما طلب لهم أن يزيدوا من أخبار أدبية عن النساء لأغراض سياسية واجتماعية شتى ، منها اتخاذ مادة الأدب النسائي سبيلاً للمساءلة والترويج ، وهو أدب يُغري الناس بمتابعته ، ومنها ابراز بعض النساء الشهيرات لأغراض فرضها الصراع السياسي والاجتماعي ، حتى لتجد في الأدب النسائي مانجده في أدب الرجال من شعوبية وخارجية وزبيرة ، وتشييع ، فلم يسلم أدب المرأة من مغاراة تيارات كل عصر ، كما لم يسلم من الاضافة والنحل .

دمشق : عبد اللطيف أرناؤوط



التراث الفكري

وقراءة ذات المعاصرة

د. ماجدة حمود*

يعترف د. جابر عصفور في مقدمة كتابه «قراءة التراث التقديمي» بأنه لا توجد قراءة بريئة ، أو محايدة للتراث ، ذلك لأننا عندما نقرأ التراث ، ننطلق من مواقف فكرية محددة ، لا سبيل إلى تجاوزها ، ونقتصر في التراث عن عناصر للقيمة الموجبة أو السالبة بالمعنى الذي يتعدد إطاره المرجعي بالمواقف الفكرية التي ننطلق منها »^(١) .

فهو منشغل بمعنى حضور الموضوعية في قراءة التراث ، وما مدى حضور التراث المقصود نفسه ؟ هل هو حضور (هناك) في زمان انقطع ؟ أم أنه حضور (هنا) في زمان متدد ؟

لهذا نلمس لديه طموحاً للتقديم فهم واقعي غير مجرد للتراث « يتنزه عن ادعاء نزعة علمية وضعية ، تفصل التراث المقصود عن وعيينا ، أو نزعة مثالية ذاتية تفصل التراث المقصود عن عمره ، هنا المعنى الذي تعلمه من « التاريخ » ، لن يصل أنساط قراءة التراث التقديمي بالأنساق الأدبية أو التقديمية للقارئ العادي فحسب بل يجعل من عملية القراءة نفسها جانبأً لا ينفصل عن أنساق معرفية كبرى ، تشمل النقد الأدبي وتحتوبه ، وتجمل من عملية قراءة التراث التقديمي جانباً لا ينفصل عن عملية قراءة التراث بوجه عام ، سواء كانا تتحدث عن التراث بمعانيه الخاصة أو العامة^(٢) لأننا حين نقرأ التراث كله ، بشكل جيد ، لا بد أن ينعكس ذلك بشكل إيجابي على قراءة الواقع ، إذ نتمكن من الاستفادة من معطياته الإيجابية في بناء أدبنا وذكرنا ببناء متماساً ، ولكن يلاحظ د. عصفور أن كتب تاريخ النقد الأدبي عند المرء ما تزال قاصرة ، إذ لا نعرف فيها سوى النقد النظري والعلقي بمعناها الفقير (الذي يخرج

(*) باحثة من سوريا .. وأستاذة في كلية الآداب بجامعة دمشق .

شروح الشعر وكتب المعايير ومقدمات الشعراء لدواوينهم ، ونصوصهم الشعرية التي تتنعّس على نفسها لتصف الشعر ، ورددودهم على خصومهم ، ودفاعهم عن اتجاهاتهم المخالفة ومخاتيرتهم وشروحهم لشعر غيرهم (٠٠٠)

ينبه ، هنا ، على أمر هام وهو قصر النظر والسطحية في التعامل مع التراث النقدي لذلك نجده يدعو إلى امتلاك نظرة شمولية ودقيقة حين نقرأه لنصل إلى قراءة منهجية ، تسهم في تطوير وعيها بواقعنا وتراثنا في آن .

ولكن إلى أي مدى حق هذا الطموح ، وهل استطاع أن يقرأ التراث ، كما هو قراءة محايدة ، أم إنفلق في قراءته من أفكاره الخاصة التي أسقطتها على النص التراصي ، فحمله فوق طاقته ؟

صحيح أنه من الصعب قراءة التراث قراءة محايدة ، خاصة حين تكون أمة مهزومة في الحاضر ، قوية في الماضي ، عندئذ قد نرى الكمال متجسدًا فيه ، أو نقارنه بما توصل إليه الغربيون اليوم من معارف تبنّاها ونهثّ وراءها فتجد تراثنا لم يحقق منها شيئاً ، أو تجد فيه بعض القضايا التي سبقنا فيها الغربيين فتفقد أمامها مصفقين ومهلين ، ونسى أن الوقوف يعني الجمود والموت .

ان عقد النقص التي تربّع في أعمقناهي التي تدفعنا إلى هذه العمامة ، علينا نجد تعويضاً عن بؤس الحاضر وتخلّفه ، لذلك فقد ان الأوان لأن ننتقل من المباهة المؤسية بعيد القاهر في حضرة دي سوسيير إلى الفهم الموضوعي المميك والتاريخي لنصوصه ونصوص دي سوسيير ، في علاقاتها المتباينة ، وأنساقها المغایرة ، بوعي نقيدي لا يتضاد عاطفياً ، بل يتماسك اجرائياً ، ويتأسس منهجاً في سعيه لانتاج معرفة جديدة (لا أيديلوجياً جديدة) بالتراث ، فقد تكون أدوات انتاج معرفتنا الجديدة بالتراث ليست من صنعنا تماماً ، ولكننا يمكن أن نمتلكها تماماً ، بالخصوص الدقيق لسلامتها والمراجعة المستمرة لأصولها ، والانتباه اليقظ إلى ما تتضمنه استعمالاتها المعرفية من سلب وايجاب ، والتذكرة الفطن لمفرز ما يقوله شيخنا عبد القاهر البرجاني واعلم أنك لا تشفى الفلة ، ولا تنتهي إلى ثلج اليقين حتى تتجاوز حد العلم بالشيء مجملًا إلى العلم به مفصلاً ، حتى لا يقعنك إلا النظر في زواياه ، والتغلغل في مكانته (٣) .

وبذلك حدد لنا د. جابر عصفور شروط قراءة التراث ، فدعا إلى تعمق النص بعد ذاته فلا نسقط معارفنا الذاتية عليه ، ولا نحاكمه وفق ظروفنا التاريخية ومعطياتنا الفكرية وهو يسمى إلى تأسيس منهجه جديد ينتج معرفة جديدة بالتراث ، فلا يكون صدئ لأفكار جاهزة عنه ، وإنما نتيجة استنباطنا جديد خاص به ، وهو يدعو من أجل ذلك إلى الاستعانت بأدوات معرفية جديدة ، قد تكون غريبة مستوردة ، ولكن بشرط التزام العذر في التعامل معها فلا تطبق بشكل حرفي ، إذ تجد في هذه الأدوات الفث والسمين ، كما يدعو إلى التعمق بجزئياته وعجم الاكتفاء بالقائم نظرة سريعة عليه ليصل إلى قراءة متعمقة وشاملة موضوعية .

ترى الى اي مدى نجح الناقد في التزام هذه الشروط حين قرأ التراث النقدي ؟
من أجل الاجابة عن هذا السؤال ، سنتابع قراءة د. عصفور لتراث الناقد المثلثة ابن المتن ، باعتباره نموذجاً للقراءة المعاصرة التي تتناول ناقلاً قدماً ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالصراع الذي وقع بين القدماء والمحدثين في القرن الثالث الهجري .

في البداية وجدنا د. جابر عصفور يضع الناقد ابن المتن في قالب الفكر العنبلي الذي يعتمد على مقولتين هما (الجبر والتقليد لهدا يمده من أنصار تيار القدماء « النقل » ، الذي مثله جماعة من اللغويين من ناحية وأصحاب الحديث من « أهل السنة والجماعة » من ناحية ، ودليله على ذلك أن ابن المتن يوم أعلن نفسه خليفة ، اتخذ لقباً هو « السندي البربهاري » ليدل على اتزانه باصول الدين ، كما ان صلته باهل النقل أتت بوصفه واحداً من أبناء الخلافة العباسية التي اتحاذت - منذ عهد جده المتوكيل - الى العناية ونصرتهم على أهل المقل من المتنزلة ، ولا ينسى أثر أساتذته الذين كانوا « جمياً من أبناء ذلك التيار و منهم اللغوي مثل ثعلب والمبرد وأحمد بن سعيد المشتري صاحب الفراء الكوفي وأبي سعيد صعوباً » .

لو تأملنا الأسباب التي جملت ابن المتن ناقداً تقليدياً (عند د. عصفور) لوجدناها غير مقتنة ، باعتقادنا ، فاللقب الذي اخذه (السندي البربهاري) هو نوع من الطعم يكسب به تعاطف العامة أثناء صراعه على السلطة .

اما أنه ينتمي الى أسرة نصرت العناية على أهل المقل من المتنزلة ، فلا يعني ذلك ضيق أفقه ، أو عدم استخدامه المقل ، فلما شاك أنه اطلع على المجالس الفكرية التي سادت ذلك العصر ، اذ من المعروف أن المتنزلة لم ينته نشاطهم حين تبنت السلطة العباسية رأي أصحاب النقل والسنة ، وما زال الصراع والجدال بينهم وبين غيرهم من الفرق يشكل ايقاع الحياة الفكرية آنذاك .

اما أن أساتذته ينتمون الى التيار التقليدي ، فهذا لا يعني أن التلميذ صورة أستاذه دائماً ، فالتأبة يتتجاوز أستاذه ، هذا اذا سلمنا بأن جميع أساتذته قد اتخاذوا موقفاً واحداً من الشعر المحدث ، ولكن وجدنا منهم من يؤلف فيه كتاباً كاستاذه البرد الف كتاب « الروضة » كما نجد في كتابه الكامل كثيراً من الشعر المحدث .

اذن يسعى الناقد عصفور الى جعل ابن المتن ينتمي لعالم فكري واجتماعي ثابت لحمته الجبر وساده التقليد ، مما سينعكس على موقفه من الأدب اذ سيكون من أنصار الاتباع والتقليد ومن أعداء الحداثة ، فادى فهمه المفلوط للمكونات الفكرية لدى ابن المتن ، الى خطأ في تصنيف نقه وفكرة ، فيفسر اقواله في الشعر والشعراء وفق هذا التصنيف التقليدي لا يعيده عنه، فمثلاً مصطلح « الطبع » يرادف النقل والتقليد ، فالشاعر المطبوع لن يكون شاعراً مبدعاً ، « فلا تخرج أنكار ابن المتن عن هنا الأفق التقلي لمعنى

الطبع في آخر المطاف ، ولكنه لا يتقبل الثنائية العادة بين « القديم - المطبوع » و « الحديث المتكلف » على علاتها في كتابه الطبقات ، بل يكتفيها تكييفاً ضمنياً يتناسب والفرض السياسي لكتابه من ناحية ، وما حققه طريقة المحدثين في عصره من انجازات لم يملك هو نفسه الا التأثر بها في شعره ونقده من ناحية ثانية (٤) .

ان د. جابر لم ينف تأثر ابن المعتز بالشعر المحدث ، لكنه يبيحه في إطار التقليد والنقل ، ويرى فيه نصيراً للشعر القديم او ماتكب على طريقة الأقدمين ولو صع هذا القول لوجدنا ابن المعتز من أنصار البحتري ، ولكننا لاحظنا حماسته لأبي تمام في آخر كتبه « طبقات الشعراء » بل نجده يستشهد فيه برأي البحتري في تفضيل أبي قام على نفسه قائلاً «جيده خير من جيدي ، وردبي خير من رديه» فرى ابن المعتز أنه قد أنصف في هذا القول لأن البحتري « لا يكاد يفلحظ لفظه ، وانما الفاظه كالغسل حلاوة ، فاما ان يشق غبار الطائني في العدق بالمانى والمعاسن فيهات ، بل يفرق فيبعره ، على ان للبحتري المانى الفزيرة ، لكن اكثراها مأخوذ من أبي تمام ومسروق من شعره » (٥) .

وهذا تفضيل صريح لأبي تمام على البحتري ، فهل يمكن أن يصدر هذا القول عن ناقد تقليدي رافض للشعر المحدث ، الذي يمثله أبو تمام أصدق تمثيل ، ولم نجده غير معجب ، كما يرى د. عصفور ، بالجانب الذي « يمثل انقطاعاً عن الأصول النسوجية القديمة ، وتأسيساً لأصول مناقضة حديثة » .

لقد توقف د. عصفور عند رسالة ابن المعتز عن معasan أبي تمام ومساؤته (التي لم يصلنا منها سوى المساؤه) حيث ييدو فيها الناقد مهاجماً لطريقة أبي تمام المحدثة ولكن رأيه هذا قد تغير وظهر تقييده في كتابه « طبقات الشعراء » الذي كتبه قبل وفاته بستين و الذي يمثل تطور ذوقه ونضج حكمه النقدي ، ولكن الناقد عصفور لا يتبع تطور ابن المعتز ، فلا نجد له يلمع الى الفترة الزمنية التي ظهرت فيها الرسالة والكتاب ، ربما لأن هذه الاشارة قد تفسد عليه نظرته السكونية التي كونها عن ابن المعتز ، فتخخل أحكامه وتفسد موازيته ، بل يجعل الرسالة التي ضاع قسم المعasan منها وبقيت المساؤه فقط ، مصدره الأساسي .

كل ذلك ليجعل من ابن المعتز ناقداً تقليدياً يرفض الشعر المحدث ، مع أنه يورد رأي ابن المعتز في قصائد أبي تمام « التي ترتاح لها القلوب ، وتجذب بها النفوس ، وتصفى إليها الأسماع ، وتشهد بها الأذهان » ، فقدم لنا بذلك تصويراً دقيناً لزايا شعر أبي تمام ، ومع ذلك لا نجد د. عصفور يعلق على هذا القول ، خاصة عبارة « تشهد بها الأذهان » !

ترى هل يستطيع ناقد تقليدي أن يقول مثل هذا القول ؟ ثم أليس هذه المباريات أحکاماً نقدية أصلية تصلح لكل زمان ومكان !! الا تكشف لنا ماهية الشعر المبدع والمعلم بغض النظر عن طریقتہ ؟

ولو لم يكن ابن المعتز من أنصار الطريقة المحدثة في الشعر ، لما وجدناه يؤلف كتاباً سماه «البديع»، يتتحدث فيه عن الأساليب التي شاعت في الشعر الحديث . صحيح أنه يتحدث في مقدمته عن أسبقية القرآن الكريم والأحاديث الشرفية والشعر القديم في استخدام وسائل البديع ، وقدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأئمّة وغيرهم ، وأشار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ، ليعلم أن بشاراً أو مسلماً وأبا نواس ، ومن تقبلهم وسلك سبيلهم ، لم يسبقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثُر في إشعارهم فعرف في أزمانهم حتى سمي بهذا الاسم ، فأعرب عنه ودل عليه ^(٦) .

ان هذا القول لا يعني انتصاراً للقديم على الحديث ، لأن الناقد يتبع انجاز المحدثين في هذا المجال ، كما نجده يعرف هذه الوسائل رغبة منه في توضيحيها ، وارساد دعائهما ، وبذلك يصلها بذورها القديمة ، وبين مدى تطورها عنه فيسمى بعمله هذا إلى تأصيل هذه الأساليب الحديثة ، ويرد تداولها .

اذن لا تعني هذه المقدمة أن ابن المعتز كاستاذه يجعل كل «حسن» في انجاز المحدثين منسوباً إلى القديم دائماً ، ويوقع كل قبح على تبعدهم عنه ، في فجاجة تاويلية ، تفرغ انجاز المحدثين من أي معنى للجدة ، وتفرغ اراده الجدة من أي وجوب ... ^(٧) .

هل الجديد قفزات في الهواء ، لا يطا الأرض ، ولا يمد جذوره فيها ؟

ان الجدة لا تأتي من فراغ ، وكل ما فعله ابن المعتز هو أنه ذكر في المقدمة أن هذا البديع قد وجد من قبل ، فكيف نتهمه باتباع الأقدمين والهجوم على المحدثين ؟! ^(٨) .

وفي مجال التطبيق يرى د. عصفور أن أحكام ابن المعتز في مجالسه كانت تدور في الدائرة نفسها « تلقى الآبيات على الأسماع ، ويتبارى الحضور في الخراج المخزون من المحفوظ ، لتقى دورة قسن الأثر أو شعيرة عبادة الأسلام ، فيعود كل بيت جديد إلى أصل قديم » ^(٩) .

ولكتنا لم نجده متبعاً في محراب السلف ، بل وجدناه معيجاً بإنجازاتهم دون أن يغفل نواحيضعف لديهم ، فمثلاً ، رغم اعجابه باستعارات ذي الرمة ، يتناوله بالنقد فيقول عن بيته :

اقامت به حتى ذوى العود في الشرى . وساق الثريا في مُلائمه الفجر

« هذا لميري نهاية الخبرة ، ذو الرمة أبدع الناس استعارة ، وأبرعهم عبارة إلا أن الصواب حتى ذوى العود والشري ، لأن العود لا يذوي ما دام في الشري ... ^(١٠) . فهو لا يكتفي بوضع يده على مواطن الضعف في الشعر ، وإنما نجده يعطي البديل الأكثر جمالاً والأكثر دقة ، لاعتماده المنطق والخيال الفني مما .

ويستنكر الناقد عصفور اعجاب ابن المعتز بأولئك الشعراء الذين جمعوا محسن المولدين ومعانٍ المتقدمين ، كانه يرى أن ما يستحق الاعجاب هو الشعر المحدث الذي لا علاقة له بالقديم .

تلمس ، هنا ، نفسيج الناقد ابن المعتز وعمق رؤيته للشعر المحدث ، حين يراه غير منقطع عن ابداع السلف ، وإنما هو استمرار له ، في حين يجد الناقد عصفور في انجاز المحدثين انقطاعاً عن انجاز الأقدمين ، لهذا يعلق على قول ابن المعتز « وكان جماعة مثل أبي نواس والغليظ وأبي هفان وطبقتهم ، إنما اقتدوا على وصف الخمر بما رأوا من شعر أبي الهندي ، وبما استنبطوا من معانٍ شعره » قائلاً :

« ليس لهم أن تناقض سلامة التفسير في هذا القول : فالأهم أن نلتقيت إلى الفرض النقدي الذي يحتويه ، والمملية الذهنية التي يتولد عنها ، فصفة الاقتدار التي يوصف بها النواسى وأقرانه المتأخرن ، ليست نتيجة علاقة متغيرة ، وصلت بينهم وبين حاضرهم الخاص ، أو تاريخهم المتعين ، بل نتيجة ماقام به هؤلاء من « استنباط » لنموذج أسبق في الزمان والوجود عند المتقدمين من أمثال أبي الهندي الذي يستبسط بدوره من تموزج أسبق يرجع إلى العصر الجاهلى ... »^(١) .

كان الناقد عصفور في غمرة حماسته للشعر المحدث ، ينكر على هذا الشعر تأثره بانجازات شعرية سبقته ، مع أنه يعدتطوراً طبيعياً لها ، باعتقادنا ، كما إننا نحس كأنه لا يلتقي إلى الثقافة الشعرية وضرورتها ، فالقصود هنا ، الثقافة الواسعة التي امتاز بها أبو نواس وغيره من المجددين ، وليس تقليد نماذج سابقة عليهم ، فمن المعروف عن أبي نواس ، أنه لم يبدأ بقول الشعر حتى كان يحفظ منه وخمسون ديواناً منأشعار النساء فما بالك بأشعار الرجال !! ثم من منا يستطيع أن ينكر أن الثقافة الشعرية على الابداع الشعري ، لأن الابداع لن يكون متاحاً إلا من هضم ابداع الآخرين أولاً ثم تجاوزه .

وقد يقول ابن المعتز رأياً في أحد الشعراء ، فيأتي د. عصفور ويعلمه على كل نقده فثلاً ، يتوقف عند مقولته ابن المعتز في أحدهم والألفاظ في عنوان « الماء الزلال » ، و « الماء أرق من السحر العلال » ، فيقول الناقد عصفور مهماً : « فدتو المأخذ نقيف العمق والغموض ، وقرین القرب والتسطيح في الادراك والتلقى على السواء ، فهو المعني الذي لا يستعين عليه بالفكرة ، والذي ليس في حاجة إلى التاويل ولا يعتمد على الاشارات البعيدة ، أو الحكايات الفلقة ، أو الایام المشكل ، وهو المعنى الذي ينبعط في ظاهر الأشياء ، فلا يحتاج إلى مكافحة البهد الخلائق من الشاعر المبدع في التوصُّن على المعنى واكتشاف اللا مسمى ... »^(٢) ولكن اعجاب ابن المعتز بأبي تمام لا ينفعن هذا القول !؟

المشكلة أن لدى الناقد عصفور روّية نقدية مسبقة ، يسقطها على النص النقدي فيصعب النص غريباً عن ذاته ، وينطلق بافتخار ناقد اليوم لا ناقد الأمس ، فينطلي بافكار عصرنا لا عصره ، ونرى انجاز ابن المعتز في ضوء فكر غريب عنه ، وبذلك تتتحول قراءة ابن المعتز إلى قراءة د. جابر عصفور ، الذي نجده يهمل كل ما ينافق أفكاره المسبقة فهو

حين يتحدث عن هدف ابن المعتز من تأليف كتابه طبقات الشعراء (جموع ما وضمه الشعراء من الأشعار في مدح الخليفة والوزراء والأمراء من بنى العباس) فيعلق د. عصافور قائلاً : « وتلك عبارة لا معنى لها الا توظيف الكتاب بوصفه عنصراً من المناصر التي تستخدمها الأجهزة الأيديولوجية للدولة العباسية ، ويحرصن ابن المعتز في هذا التوظيف على الاحتفاظ بالشعراء البارزين الذين مدحوا آل بيته من بنى العباس ... ويتجاهل الشعر الذي يمكن أن يذكر ذكره هذه الفاجة (كالشعر الذي ينطوي بسوء أحوال الرعية ...) »^(١٣)

لوقرأنا كتاب الطبقات قراءة دقيقة لوجدنا ابن المعتز يورد أبياتاً لأبي الفضة البصري في ذم الدولة العباسية منها :

لا أحسب الجسور ينقضى وعلى الأمة وال من آل عباس(١٤)

وفي هذا ذم صريح لعكاظ الدولة ، الذين أشاعوا الظلم والقهر في أرجاء دولتهم ، وهو لا يكتفي بذكر شعر المارضة ، بل نجده يذكر نثرهم في ذم العباسين ، فيورد قوله لشاعر اسمه « درست المعلم » يرى رأي الغواص ، ويرى الداردار كفر ، ويقول عن العباسين « عطلوا الأحكام وغيروها ، وقد قال الله تعالى : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »^(١٥) .

فهو يضم العباسين بأشنع تهمة يمكن أن توجه إليهم ، وهي الكفر وعدم الالتزام بأحكام الشريعة ، ومن يوثق هذه التهمة ويشتبها ؟ انه أحد أبناء العلامة العباسية وبذلك قدم لنا ابن المعتز مثلاً رائعاً لسمعة الصدر وافتتاح الأفق ، واحترام الرأي المخالف ، حتى لو كان هذا الرأي يسيء الى سمعة دولته التي ينتهي إليها ويعلم أن يكون أحد حكامها !

وقد رأى د. عصافور أن الترجمة لبعض مدائح العلوين أمثال دعبد الغزامي لا تعني ذكر التصانيد التي تمس « الملك العباسي » ، بل الاحتفاظ بقصائد مدح بنى العباس ، بارجوزة دعبد في المأمون على سبيل المثال . ولكننا لو عدنا الى « طبقات الشعراء » لوجدنا ابن المعتز يورد أبياتاً لدعبد يمدح فيها آل البيت معلناً ولاده لهم ،

فاحش القصيد بهم وفرغ فيهن قلبا حشوت هواه بالذلة وقطع جحالة من يزيد سوامه في حبهم تعلل بدار نعمة

الا تمس هذه الأبيات الملك العباسي ، الا تدعوا صراحة الى موالة آل البيت .^٩ اذن هناك عدم قراءة دقيقة لتراث ابن المعتز ، او ربما قرأ الناقد هذه الأبيات الا أنه استبعدها لكونها لا تتسم وفكرته عن ابن المعتز ، وهذا ابتعاد عن روح الأمانة العلمية . كما أنه يحمل النص النقدي القديم ما لا يحتمل ، اذ يسقط عليه وجهة نظره المعاصرة فمثلاً نجد يعلق على أحكم ابن المعتز العامة (حسناً ، مغلقاً ، مليعاً ،

مقدراً ٠٠٠) يقول « ان التسوية «الانطباعية» بين الشعراء والمحدثين في هذا المستوى ، هي الوجه الأدبي للفرض السياسي من الكتاب ، فكما أسقط هذا الفرض نفسه على دلالة «المحدثين » في هذا المستوى ، وقصرها على المدلول الزمني لمعنى المعاصرة للدولة العباسية وحدها ، فإن هذا الفرض أسقط نفسه على دلالة مصطلح « الطبقات » وقرتها بالتسوية في القيمة الأدبية بين كل من اتصل بالدولة العباسية مادحاً أو طالباً المطام » (١٦) .

الحقيقة أن هذه الأحكام النقدية العامة ، هي جزء من طبيعة الأحكام النقدية المتدوالة آنذاك ، فلم يكن النقد ، في معظم الأحيان ، قد توصل إلى الأحكام المطلة والدقيقة ، كما هو عليه الآن ، لذلك سيكون استقطاع أحكامنا النقدية على أحكامهم نوعاً من الغبن والابتعاد عن الموضوعية ٠

اذن ليس من حقنا أن سقطت أفكارنا السياسية والطبقية على النص النقدي ، فنجعل ابن المتن يصدر أحكامه العامة هذه لأن مؤلام الشعراء من مدحاهي أسرته ، فقد لا نجد كل الشعراء المذكورين قد مدحوها قولاً ٠

وقد أوقع الناقد عصفور نفسه فيما اتهم به ابن المتن ، فقرأ تراث ابن المتن قراءة واحدة سكونية ، لم يلحظ تطوره وفق مراحل زمنية من مرحلة التكوين والبداية التي كان فيها أقرب إلى النقاد والتقليديين ، ثم مرحلة النضج التي أصبح فيها ناقداً محدثاً من أنصار الجديد ، بل نجده ينتقد التقليديين الذين يرفضون الحديث لحداثته ، ويفضلون القديم لقدمه ، دون النظر إلى أسباب موضوعية للرفض أو القبول ، فيرى أن هذا « الفعل من العلماء مفرط القبح لأنه يجب الآيدفع احسان محسن ، عدواً كان أو صديقاً ، وأن تؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيع ، فإنه يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - أنه قال : الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك ٠٠ » (١٧) فكيف يمكن لمن يقول هذا القول أن نصفه ناقداً تقليدياً وننده تابعاً لأساتذته ، كما فعل د. جابر عصفور ! فجعل ممارسته النقدية أسيرة الاتباعية إذ هناك « محفوظ في الذاكرة من أشعار القديم ، مختار وموّل ، ينبع اختياره وتأويله تمواجاً أصلياً لماضي مصنوع ، متغيل ، محله ذهن الناقد وليس الواقع التجرببي ٠٠٠ » (١٨) ٠

لا تنطبق الجملة الأخيرة على الناقد عصفور ؟ فهو ينطلق ، باعتقادنا ، في قراءاته النقدية لابن المتن من أفكار مسبقة كونها في ذهنه ، ولم ينظر إلى الواقع التجرببي الذي يناقض أفكاره ، إذ نجد أنه يقيم فقط ابن المتن اعتماداً على وضعه الاجتماعي ، فيما أنه ينتمي إلى الطبقة الحاكمة والارستقراطية . فلا بد أن يكون من دعاء الجسم الأدبي ، لأنه يخاف أي تغير في الأدب أو تجديد فيه ، إذ سيكون ذلك منعكساً على سلطنة العباسين مهدداً بزوالها ٠

لهذا رسم لابن المتن صورة في ذهنه سعى إلى ايجاد ما يؤكدها في كتابه ، فيختار الشواهد الشعرية والنقدية والاخبارية التي تتطابق وجهة نظره هذه ، حتى أنه يجعل ابن المتن

متبنّياً آراء غيره من النقاد ، فجاء بقول من « الوساطة بين المتنبي وخصومه » لعلي بن عبد العزيز البرجاني ، وقول آخر من « الموضع » للمرزباني ، يتحدث الرأي الأول عن علام اهتمام العرب بالقصاص بفنون البديع ، أما الثاني فيرى أن أحسن الشعر « ما قارب فيه القائل إذا شبهه ، وأحسن منه ما أصاب المقيقة » ليبين بذلك كيف رفض النقاد العرب – ومن بينهم ابن المعتز – الاستعارة ، ودعوا إلى التشبيه . مع أننا لم نجد لابن المعتز رأياً في الاستعارة ، وإنما أسقط عليه د. عصفور آراء غيره من النقاد .

كل ذلك يؤدي إلى انسجام ابن المعتز مع الصورة التي رسمها له الناقد دون أن يعبأ بضياع صورته العقيقة .

ويجدر بنا أن ننوه إلى أننا لا ندعو إلى عزلة النصوص النقدية بعضها عن بعض فنون تنفق مع د. عصفور إلى أن التراث النقدي لا يمكن فهمه أو النظر إلى منجزاته إلا بشكل شامل ومتكملاً ، ولكننا لا تنفق معه حين يلغي خصوصية الناقد ، و يجعله صدئاً للآخرين ، فيقدم بذلك صورة مشوهة عنه . فقد أدى عدم التعامل بموضوعية مع انتاج ابن المعتز إلى التجني عليه . والاساءة إلى فهم موقفه النقدي ، فضاع صوته الخاص في زحمة الأنكار المسبقة التي كونها الناقد عصفور عن التراث النقدي قبل التعامل معه ، وبذلك يقع الناقد بما يعذر منه في كتابه « قراءة التراث النقدي » فحين تنتفي استقلالية النص « فإن الأيديولوجيا هي ما تنتهي إليه هذه النزعات ، وخصوصاً حين تتسرب فيها تسلطية الحاضر ، أو يحل فيها حضور الآخر ، فتختفي بعض الأنساق المهيمنة ، ضاغطة على وهي الذات القارئة ، التي تستجيب بامتحاجية آلية غير شعورية في الأغلب ، في فعل استقامي ، يتحول معه المقرؤم إلى قناع للتوجيهات الاجتماعية السياسية الأدبية لهذه الذات ، وتحول القراءة نفسها إلى تخيل غایتها تبرير هذه التوجيهات ، وتهيئة الآفراط لتصديق هذا التبرير ، والعمل بمقتضاه ، والنتيجة وهي زائف يحول بين الإنسان وادراف العلاقات الفعلية في تاريخه أو تاريخ النص المقرؤم الذي يقرأ عنه أو فيه)١٩(.

هذا الكلام يصح كل الصحة على قراءة د. عصفور لتراث ابن المعتز فكانت قراءة اسقاطية ، ظهرت فيها تسلطية الحاضر على الماضي ، وتحول النص التراخي المقرؤم إلى نص معاصر ، تجد فيه أفكار د. عصفور لأنكار ابن المعتز !

والغريب أننا نجد في المقدمة أن هاجس الناقد عصفور كيف نقرأ التراث ؟ ونحوه هذه القراءة الى عملية تسهم في تطوير وعياناً بواقعنا وتراثنا في أن فقد قرأانا في هذا الكتاب حاضرنا لا ماضينا ، لأن الناقد استند بأفكاره المعاصرة لا بأفكار إجداده النقاد القدامي ، من أجل بناء وعياناً وتطوير نقدنا ولهذا لم يستطع أن يرى في نقد ابن المعتز مستوى الجواب السلبي ، وتأه عن التقطاط الجواب الإيجابية التي تجعله وجهاً مضيئاً في ترااثنا النقدي .

□ العواشي :

- ١ - د- جابر عصفور « قراءة التراث النثري » مؤسسة هيكل للدراسات والنشر - قبرص ط ١ - ١٩٩١ - المقدمة من ٥
- ٢ - المصدر السابق من ٣٦
- ٣ - المصدر السابق من ٩
- ٤ - المصدر السابق من ١٦٤
- ٥ - عبد الله بن المعتز : « طبقات الشعراء » تحقيق عبد الستار احمد فراج - دار المعارف بمصر - بدون تاريخ - ص ٢٨٨٦
- ٦ - عبد الله بن المعتز : « البديع » شرحه وعلق عليه محمد عبد المنعم خفاجي - شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر - ط ١٩٤٥ - ص ١٥
- ٧ - قراءة التراث النثري ص ١٩٤
- ٨ - المصدر السابق من ١٨٣
- ٩ - محمد عبد المنعم خفاجي : « رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع » شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر - ط ١٩٤٦ - ص ١٠ - ١١
- ١٠ - قراءة التراث النثري ص ١٧٧ - ١٧٣
- ١١ - المصدر السابق من ١٨٠
- ١٢ - المصدر السابق من ١٧٤
- ١٣ - المصدر السابق من ١٤٩
- ١٤ - طبقات الشعراء ص ٣٧٩
- ١٥ - المصدر السابق من ٣٣٥
- ١٦ - قراءة التراث النثري ص ١٦٣
- ١٧ - أبو بكر محمد بن يحيى الصوالي « أخبار أبي تمام » حققه وعلق عليه خليل محمود سماكر - محمد عبده عزام نظير الهنفي - مشورات دار الأفاق الجينية - بيروت ط ٢ - ١٩٨٠ - ص ١٧٦
- ١٨ - قراءة التراث النثري ص ١٧٨
- ١٩ - المصدر ٧ السابق من ٧٣

★ ★ ★

عِلَّمُ الْمَعَجمَةِ عِنْ الدَّوْلَةِ

د. محمد احمد قاسم

يرتکر وضع المعجم الى دعامتين رئيسيتين هما :

- ا - علم المعجمات او ما يسمى ب Lexicologie ويبحث في البنية الدلالية للفظ.
- ب - علم صناعة المعجمات او ما يسمى ب Lexicographie ويبحث في أنواع المعجمات ومكوناتها وطرق اعدادها .

والمعجمة ذن او حرف ، او هي باختصار علم صناعة المعجم ، بكل ما يتصل بهذه الصناعة من مهارات لغوية ، وأصول أخذ اللغة بأصواتها ودلالاتها من أفواه العرب الأقحاح ، او مدونات موثوقة وأسانيد صحيحة تبعد عنها شبه الوضع والتزييد .

ولا بد في البداية من تعريف المعجم قاموسياً واصطلاحياً .

أولاً : المعنى القاموسي للمعجم :

جاء في اللسان(١) :

« **الْمَعْجُمُ** : النقط بالسودان مثل الناء عليها نقطتان . يقال : أعمجت العرف ولا يقال عجمت ... وقال ابن جني : أعمجت الكتاب : أزلت استعماله ...
والمَعْجُمُ : عض شديد بالأضراس دون الثناء . وعَجَمَ الشيء يعْجَمُه عجمًا : عضه ليعلم صلابته من خوره ... **والمَعْجُمُ** : الرَّوز » .

(*) باحث وأستاذ في كلية الآداب - الجامعة اللبنانيّة .

فالاعجم اذا ازالت اللبس والتفوض ، وطريق الى الايابة لأن وضع النقاط على الحروف هو في نهاية المطاف وضع للأمور في نصابها الصحيح ، وقضاء على الخلط بين المانى ، ونأى عن التصحيح والتعريف .

والمعجم اختبار لصلابة اللفظ ، ومعرفة مدى فصاحته او بعده من الفصاححة فيعرف به خور اللفظ وفصاحته . ولقد قال العجاج يوماً متوعداً أهل الكوفة(٢) : « ان أمير المؤمنين نشر كتابه ثم عجم عيادانها ، فوجدني أمرها عوداً ، وألتها مكسرأ ، ووجهني اليكم ، ورماكم بي » . فعجم المود امتحان لصلابته والبحث عن لفظ في المعجم امتحان لصلابة معناه او هشاشته . والمعجم يروز اللفظ ليعرف مدى صلابته وفصاحته .

ثانياً : المعني الاصطلاحي للمعجم :

جاء في المعجم الوسيط(٣) : « المعجم ديوان لفردات اللغة ، مرتب على حروف المعجم ، جمعه معجمات ومعاجم » . ورأى د. حجازي أن هذا المصطلح يطلق(٤) « على الكتاب المرجعي الذي يضم كلمات اللغة ويثبت معانها ، ونطقتها ، ودلالتها ، واستخدامها ، ومرادفاتها ، واشتقاتها ، أو أحد هذه الجوانب على الأقل » .

ثالثاً : متى ظهر هذا المصطلح ؟

أهملت معاجمنا تاريخ الألفاظ ولم تشكل سيرة اللفظ مما عند المجمعين . لهذا ذهب المحدثون في تحديد ميلاد هذا اللفظ مذاهب شتى . فقال د. المطار : « ولا نعلم بالدققة متى أطلق المعجم على هذا الاستعمال ، ولكن الذي نعلم أنه أول من استعمل الكلمة رجال الحديث ، وأول ما عرف كان في القرن الثالث ٣٠٧هـ وأول كتاب أطلق عليه اسم المعجم هو « معجم الصحابة لأبي يعلى محدث الجزيرة (ت ٣٠٧هـ) . ولقد ترجم أبو يعلى لشيوخه على حروف الهجاء .

ويرى د. السامرائي أن لفظ المعجم لم يشق طريقه الى التور(٥) الا في أواخر القرن الرابع الهجري ، أما قبل ذلك فهو كتاب . وأول معجم بهذا الاسم هو معجم مقاييس اللغة » . ورأى د. حجازي أن اللفظ كان يطلق على كتب الطبقات المرئية على حروف المعجم ، فصار يطلق على كتاب الكلمات المرتبة على حروف المعجم .

وما ذهب اليه د. السامرائي لا يخالف رأي المطار خصوصاً في انتقال الدالة .

رابعاً : مصطلح القاموس :

أطلق على المعجم تسمية أخرى هي القاموس . والقاموس لغة(٦) : « قعر البحر ، وقيل وسطه ومعظمها » . فهل أطلق هذا اللفظ على المعجم لأنه الذي يجمع شتات الكلم حتى تتلاطم فيه المفردات كما تتلاطم الأمواج في البحر الهادر ؟

وجاء الفيروز أبادي (ت ٨١٧ هـ) فسمى معجمه « القاموس المحيط » معللاً التسمية بقوله^(٨) : (وأسميتة القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم) . والناس قد يروا وحيثما يطلقون على العالم باللغة ، المتken من شواردها ، المذلل لمعناها ، القابض على نواصيها صفة البحر . وقد صار لفظ القاموس مرادفاً للفظ المجم ، بعدما كان علماً على القاموس المحيط ، وهو في زمننا أكثر شيوعاً (وسيوردة) من لفظ المجم .

خامساً : العرب أسبق الأمم إلى وضع المجم :

أنكر بعض المتعاملين عرباً كانوا أم أغارهم على العرب فضيلة السبق في ميدان المجم ، وذهبوا إلى أن العرب مقلدون غير مبتكرین . وقد كتب د. أحمد مختار عمر مقالاً في مجلة مجمع اللغة بالقاهرة تحت عنوان : « هل أثر الهنود في المجم العربي؟^(٩) » ثبّت فيه آراء عدّة من الباحثين في هذا الموضوع ، فانقسمت بين مرجع ومشتبه . أما المراجعون فعلى رأسهم مقال في دائرة المعارف الإسلامية بنسختها الفرنسية بعنوان « الغليل بن أحمد^(١٠) جاء فيه :

Il n'est pas classé dans l'ordre alphabétique, mais probablement sous l'influence de l'Inde ...

فكتاب المقال يثبت أن الغليل واضح أول مجم عربي ، ويؤكد نسبة كتاب « العين » إلى الغليل ، ويكتفي بالإشارة إلى احتمال تأثيره بالهنود لأنه من ترتيب ترتيباً صوتياً . وهذا الترتيب معروف عند الهنود .

وأعجمي آخر هو المستشرق الانكليزي جون هاي وود يشير إلى احتمالين فيقول^(١١) : « ربما كان اليونان هم الذين أعطوا العرب فكرة المجم . وكان الهنود هم الذين أعطوهما الأبجدية الصوتية : وبعض الأنكار المجممية الأخرى » . ومكذا نرى أن الشك في اصالة المجم العربي عائد إلى اعتماد الأبجدية الصوتية التي اعتمد إليها الغليل وهو العالم الموسيقي الرياضي .

أما بعض العرب فكانوا متطرفين في اثبات التقليد : وذهبوا إلى أن الغليل مقلد غير مبتكر . وعلى رأس هؤلاء نذكر د. شوقي ضيف الذي قال^(١٢) : « فقد وضع الغليل خطة أول مجم في العربية وهو مجم العين ، ورتبه على مخارج الحروف بالفowel كما يرتب الهنود حروف لغتهم » .

والغريب أن المستشرق هاي وود يؤكّد أن معاجم الهنود لم تظهر إلا في القرن الثاني عشر ، وهو وقت كان العرب فيه قد اتجهوا بعض معاجمهم العقليمة . وأفضل ما في هذا المقال^(١٣) : « الحقيقة أن العرب في مجال المجم يحتلون مكان المركز سواء في الزمان أو المكان بالنسبة إلى العالم القديم والحديث وبالنسبة إلى الشرق والغرب » .

وهذه خلاصة ترسی قواعد الحق ، وتعطي المفضل إلى أصحابه، وتثبت أن العرب

سبق الأمم إلى وضع المجمع . وقد أكد هذه الأمسالة د. المطار بقوله(١٤) : « اذا كان التغليل مسبوقاً من بعض الأمم في هذا السبيل، فان من الحق أن نذكر أنه لم يكن مقلداً أحداً، او ناهجاً على طريق سابق ، بل كان مبتكرأ ومخترعاً في الفكرة والمنهج والترتيب ٠٠٠»

سادساً : مدارس المعجمات العربية :

وضع الغليل أول مجمع عربى مؤسساً فيه المدرسة المعممية الأولى . وكانت تدرس منه مبادئ وأصول خاصة وتلامذة حذروا حذوها . ومدارس المجمعات فى نظر الباحثين أربع عند المرب :

١ - مدرسة الغليل (ت ١٢٥ هـ) :

كانت المانيا قبلها منصرفة الى الرسائل والمجموعات التي وضعها الأصمسي (ت ٢١٦ م) وأبو زيد الانصاري (ت ٢١٥ م) وغيرها . مهدت هذه الرسائل الى المجم ولم تكن معاجم لاختلافها عنها في الهدف والمنهج . وبقي معجم العين أول معجم حاول حصر الفاظ اللغة حضراً شاملًا في إطار نظام منهجي واضح استوعب فيه شوارد اللغة . وأهم مباديء هذه المدرسة :

- ترتيب المواد ترتيباً صوتياً بحسب مخارج الحروف بتأثير من علم الموسيقى .
 - تقسيم المعجم الى كتب ، وتفريق الكتب الى أبواب بحسب الأبنية ، وحشد الكلمات في الأبواب .
 - تقليل الكلمة الى مختلف الصيغ وفق نظام الاشتقاء الكبير ، ورصد المستعمل والمهمل من هذه التقليليات .

واستمر هذا النهج في معجم البارع للقالي (ت ٣٥٦ هـ) وتهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ، والحيط للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) ، والمعكم الأعظم لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) .

٢ - مدرسة أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٤٤ هـ) :

حملت هذه المدرسة اسم أبي عبيد لأن كتابه (الغريب المصنف) أول كتاب وصل اليها مصنفاً على طريقة الموضوعات ويضم ثلاثين باباً . وقامت هذه المدرسة على بناء المجمع على المعاني والمواضيع ، ورتبت فيها الشروة اللغوية في مجموعات من الألفاظ تدرج تحت فكرة واحدة . من أهم اتباعها :

- ١- كراع النمل (ت حوالي ٢١٠ هـ) في المتنجـد في ما اتفق لفظه واختلف معناه
وقسـه الى أبواب هي :

- ١ - في ذكر أعضاء البدن من الرأس إلى القدم .
- ٢ - في ذكر صنوف الحيوان من الناس والسباع والبهائم والهوام .
- ٣ - في ذكر الطير .
- ٤ - في ذكر السلاح .
- ٥ - في ذكر السماء وما يليها .
- ٦ - في ذكر الأرض وما يليها وفيه ثمانية وعشرون فصلاً على عدد حروف المعجم .

ب - الهمذاني عبد الرحمن بن عيسى (٣٢٠ م) ، في كتابه (الألفاظ الكتابية) وقد وزع موضوعاته على أبواب كثيرة ، تفاوتت طولاً وقصراً ، هادفة إلى اثبات العبارة الفنية ، واتخاب التعبير الجميل لامداد الكتاب بزاد من الفصاحة وحسن العبارة . فخالف بذلك طريقة المجمع لأن المجمع يرمي إلى الجمع والاستفهام لا إلى الانتخاب والانتقام .

ج - الثعالبي (ت ٤٢٩) في كتابه (فقه اللغة وسر العربية) . هو أشهر معجمات المانوي ، وزعه على ثلاثة باباً ، في كل باب عدد من الفصول . بدأ الباب الأول بالكلمات وفصله الأول في ما نطق به القرآن من ذلك ، وفصله الثاني في ذكر ضروب من الحيوان ، وفصله الثالث في النبات والشجر وهكذا . . . فبلغت فصول الكتاب ستمائة فصل . وقد نقل بعض فصوله عن المتقدمين .

د - ابن سيده (ت ٤٥٨ م) في معجمه (المخصص) . هو أكبر معجمات المانوي . من فضائله : « تقديم الأمم فالاعم على الأخص فالأخصر ، والاتيان بالكليات قبلالجزئيات والابتداء بالجواهر والتتفقيه بالأعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير ، وتقديرنا (كم) على (كيف) وشدة المحافظة على التقريب والتخليل » . قسمه إلى عدد من الكتب منها : كتاب خلق الإنسان ، ويتضمن باب العمل والولادة ، والرضاع والنطام والذداء ، وسائل ضروب التربية والفناء ، وأسماء أول ولد الرجل وأخوه وأسماء ولد الرجل في الشباب والكبير وهكذا . . .

والكتاب على نفاسته لا يخلو من عيوب، أهمها : اختلاط الموضوعات ، واقحامه مسائل لفوية ونحوية وصرفية و ما إليها . . .

وجheet إلى هذه المدرسة انتقادات شتى، هي بعضهم إلى أن سلبياتها تفوق إيجابياتها . ولكن الانصار يقضى بالاعتراف لها بأنها تسد حاجة من حاجات المنشيء ، وتسهل عليه التعمق في موضوعه ، وتمده بسرعة بالalfاظ الصحيحة والمانوي الدقيقة . فالباحث عن صوت من أصوات الحيوان مثلاً في معجم المانوي قد لا يشعر عليه إلا بشق الأنفس أما في معجم الموضوعات فإنه يشعر عليه بسرعة فائقة . وقل مثل ذلك في درجات العزن ومراتب البكم والفرح والسعادة وما إلى ذلك .

٣ - مدرسة الجوهرى (ت ٤٠٠ هـ) (في معجمه الصلاح) :

رتب المجم ترتيباً هجائياً ، وقسمته إلى فصول وأبواب معتمدة العرف الأخير من الكلمة وسمته ببابا ، وسمت الحرف الأول فصلا ، ونظرت إلى العرف الثاني في الثلاثي والى العرف الثالث في الرباعي ليأتي الترتيب دقيقاً . وهذا الترتيب أسهل بكثير من ترتيب الغليل .

من أبرز أتباعها :

١ - ابن منظور (ت ٦١١ هـ) في « لسان العرب » :

واللسان أشهر معاجم العرب التي يومناها وأكثرها تشعباً وأغزرها مادة . فلقد احتوى ثمانين ألف مادة . وعُد موسوعة لغوية أدبية شاملة .

اعتمد فيه الفصل والباب على طريقة الجوهرى . لكن دار المعرف بمصر قد أعادت توزيعه في طبعة جديدة معتمدة الطريقة الألفبائية الحديثة وأصدرته في سنته مجلدات .

ولهذا المعجم أهمية كبيرة في لفتنا ، فهومنذ صدوره والى زماننا هذا يُعد أهم معجم عند الدارسين العرب والأعاجم . وأبرز د. محمد سالم البرح مكانته بقوله(١٦) : « وظهور مثل هذا المعجم الموسوعي الشامل ، الدقيق الترتيب ، الجامع لصنوف البحث اللغوي المتعلقة بكل لفظ قد جعل لغة العربية مكانة فريدة بين سائر اللغات في ميدان النشاط المجمعي . فقد ظلت اللغة العربية منفردة بمثل هذا المعجم الضخم بين لغات الإنسان جميعاً في القديم والحديث حتى القرن التاسع عشر حين بدأ يظهر على رفوف المكتبات في أوروبا معاجم لميض اللغات الأوروبية كالإنجليزية والألمانية تضارع لسان العرب في الاحاطة والاتساع » .

ب - الفيروزابادى (ت ٨١٧ هـ) في القاموس المعيط :

رتبه على الفصل والباب واستخدم فيه الرموز لأول مرة . احتوى ستين ألف مادة وبقي حجمه أصغر من لسان العرب ، ونافسه في الشهرة والذيع إلى يومنا هذا .

ج - الزبيطى (ت ١٢٥٥ هـ) في تاج العروس :

اعتمد فيه مادة القاموس المعيط ، ووسعها ، وأثبت الشواهد التي أهلتها القاموس المعيط . وصنفه على الباب والفصل كما في الصلاح . وصدر كل باب بكلمة موجزة تحدث فيها عن العرف وبين مخرجيه وصفاته وأبدالاته . ووجه عناية خاصة إلى المجاز ولكنه أورد فيه الكثير من الألفاظ العامية المصرية خاصة .

لم تخط هذه المدرسة بالتصنيف المعجمي خطوة نوعية ، فهي وإن كانت أسهل من طريقة الغليل إلا أنها لا تخلو من صعوبات ولم تسلم من تهمك بعض الدارسين ، فالأستاذ عبد الحق فاضل ذكرها بقوله(١٩) : « آخر القدماء من العرب ترتيب معاجمهم بحسب المروف الأخيرة

من الكلمات ، وفي ذلك ما فيه للشعراء في تصييد القوافي الشوارد ، وازماج لسائر الخلق في ايجاد الكلمات التي يبغون البحث عنها في المعجم •

٤ - مدرسة البرمكي (ت ٤١١ هـ) :

لم يؤلف البرمكي معيجاً ، بل أعاد ترتيب الصحاح وفق أوائل الأصول فصار بذلك زعيم مدرسة التبسيط والتيسير . وهذه المدرسة هي التي استمرت الى يومنا هذا لأنها رتبت المعجم وفق أوائل العروض مبتدئة بالهمزة ، منتهية بالياء مع مراعاة العرف الثنائي والثالث والرابع . وبسبقت المجممات الحديثة في ترتيب المواد ترتيباً محكماً . من أتباعها :

١ - أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) في معجم (الجيم) :

قال القسطفي (٢٠٢) : « وصنف أبو عمرو كتاب العروض في اللغة وسماه كتاب الجيم وأوله الهمزة . لم يذكر في مقدمة الكتاب لم سماء الجيم ولا أعلم أحد من العلماء ذلك » . ويبدو أن القسطفي كان يتوقع أن يبدأ بعرف الجيم كما بدأ معجم العين (باللين) . لكن الشيباني قسمه أبواباً مرتبة على العروض الهجائية جاعلاً لكل حرف منها باباً خاصاً .

والسؤال لماذا لم يكن الشيباني زعيم هذه المدرسة وهو سابق البرمكي ؟ والرد أن الشيباني أورد في كل باب الألفاظ التي تبدأ بذلك العرف مهملاً العرف الثنائي وما بعده . ولهذا لم تكن طريقة رائدة فهي مشوبة بكثير من الفوضى والاضطراب داخل الباب الواحد .

ب - ابن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ) في جمهرة اللغة :

اعتمد فيه الترتيب الألفياني ، وقسمه الى أبواب هي أبواب كتاب العين من ثنائي مضعنف الى ثلاثي صريح الى رباعي وخمساني منتها باللقيف والنواودر . ولم يكتف بذلك بل عاد الى طريقة الغليل في التقليب . وحرص أن يبدأ كل باب بالكلمة التي تبدأ بالعرف المعقود له الباب ، يليه مباشرة العرف الذي يتبعه في الترتيب الألفياني فباب الباء مصدر ب (بت) وباب الناء مصدر ب (بت) . وهكذا .

وأعتقد أنه من الخطأ أن يصنفون هذا المعجم في مدرسة البرمكي لأن مدرسة البرمكي تمثل غاية التطور في البحث المعجمي ، وبلغت ذروة التبسيط والتيسير . وابن دريد عتقد البحث فاتح الباحث وضيئه بين الأبواب والتقليب .

ج - ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في مقاييس اللغة :

اعتمد فيه الترتيب الألفياني وقسمه الى كتب بعدد حروف الهجاء نكتاب للاثن وثمان للباء وثالث للثاء ومكنا . لكنه قسم كل كتاب الى ثلاثة أبواب هي : الثنائي المصنف والثلاثي وما زاد على الثلاثي . وتخلّي عن التقليب الا أنه وقع في اشكال كبير عندما بدأ كل كتاب بالعرف الذي يبدأ فيه اللفظ مع العرف الذي يليه مباشرة في الترتيب الهجائي تاركاً ما قبله من حروف . ففي باب الدال بدأ بالكلمات التي تبدأ بالدال مع الدال

وما يثلثها وصولاً إلى الياء ثم يعود إلى الكلمات التي تبدأ بالدال مع الهمزة
... وما يثلثها وهكذا

وهذه الطريقة عقدت البحث في المعجم ولا ضرورة لاعتمادها بعد ما تخلى عن طريقة
التقليل الخليلية .

د - الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في أساس البلاغة :

أول معجم مطبوع مرتب ترتيباً الفيائياً محكمًا فسبق المعاجم الحديثة . قسمه إلى
ثانية وعشرين باباً يبعد حروف الهجاء ، وراعى فيه ترتيب العرفين الثاني والثالث
من الكلمة فقضى على كثير من الصعوبات والتعقيبات السابقة وصار في ترتيبه رائداً
بحيث أن المعاجم الحديثة لم تقتف ثيابه طرقته .

صرف هذه إلى اظهار جمال اللغة فأفرد المجاز عن العقيقة والكتابية عن التصريح .
وريادة هذا المعجم تكمن في أنه وضع أمام القارئ استعمال اللفظ في أساليب متعددة
ما تعددت به العرب . وفيه أكثر من خمسة آلاف شاهد شعرى ، وألاف الأمثال والحكم
والجمل البلاغية . وقد سبق المعاجم الأعجمية في وضع الكلمة في جملة أو مثل ما ثور يفهم
معناها من السياق .

هـ - القيوسي (ت ٧٧٠ هـ) في المصباح المنير :

اتبع فيه طريقة الزمخشري . لكنه مختصر جداً فلم يتسع لأنواع اللفاظ العربية كلها .
وهكذا نرى أن المعجم العربي قد تخلص من شوائب البحث في المعجم في المراحل الأولى
من عمره . وبقي رغم ذلك اتهامه بالصعوبة قائمًا ، والسبب أن أكبر المعاجم وأوسعها
وأشملها بقيت معتمدة وموثقة إلى يومنا هذا ، وهذه المعاجم الميسرة لم تقن عن تلك
فلم تكن شاملة مستوعبة . وكان الفرض منها بلا غاية .

ولا بد من ملاحظة أمر هام هو التزام هذه المعاجم جميعاً بمراعاة أصل الكلمة أو
الجذر . وهذا الجذر يمثل المادة الخام التي تصدر عنها المشتقات جميعاً . والرجوع إلى
الجذر شكل مأخذنا على معجمنا من بعض النقاد الذين استصعبوا العودة إلى أصل بعض
الأنواع ونادوا بترتيب المعجم بحسب صورة الكلمة متباين طبيعة لفتنا الاشتراكية .
وهذا الترتيب يحافظ على الروابط المعنوية والدلائل المشتركة المعايدة إلى جذر واحد .

أشار العلامة عبد الحق فاضل إلى بعض الصعوبات بقوله (٢١) : « كيف يخطر لأحدنا
أن يبحث عن (الاتحاد) في (وحد) و (الاستيعاب) في (وعب) و (الاتهام) في (وهم)
و (الاستقلال) في (قلل) و (الاستفادة) في (فيد) و (الاستقالة) في (قول) » .

ما ذهب إليه الأستاذ فاضل صحيح جداً حتى ليصعب أحياناً على أهل الاختصاص
معرفة جذر بعض الألفاظ ، وانهم ليقضون ساعات في البحث عنها في هذه المادة أو تلك ،
وقد يرجعون بخُفَّيْ حنين وقد يهتدون إليها مصادفة . وعلى الرغم من هذه الصعوبات

فانا مع الجدر لا مع هذا الترتيب الذي يفت الجدر العربي ، ويشتت شمل الكلمة ، ويقطع علاقه المشتقات . وهذا الترتيب الفيتيشي التجزئي يصلح في نظري – ان صلح – لطيفار التلاميد وأشباه العامة ، ولكنه لا يصلح للفتنا ، ولا لطلاب المعرفة من أبنائنا . وقد أصاب د. ابراهيم آنيس بقوله(٢٢) : « شهدنا في مصر الحديث اتجاهها إلى ترتيب المعجم العربي على حسب صور الكلمات . وجاءنا من لبنان معجم يسمى « الرائد » مطبوعاً ومرتبأ بهذه الطريقة العجيبة ، التي أشبه بارشيف المكتبات أو دليل التليفونات ، ففيه نجد كلمة استفهم بجوار استف وستفاض لا شيء سوى لأنها جميعاً تبدأ بالالف والسين والتاء ، كما نرى الكلمات ناصر ومنصور وانتصر ونصر وانتنصر في مواضع متباعدة من المعجم ب رغم الدلالة العامة المشتركة بينها جميعاً » .

سابعاً : المعجم الحديث :

عرفت حركة التأليف المعجمي نشاطاً يارزاً بعد منتصف القرن الماضي . وأصدرت دور النشر ولا تزال عدداً هائلاً من المجممات الخاصة وال العامة ، الأحادية اللغة والثنائية اللغة والمتعددة اللغات . وعقدت مؤتمرات وندوات في أرض العرب كما في أرض العجم لدراسة مشكلات المعجم وخلصت إلى توصيات ومقررات هامة سناتي على استعراضها بسرعة .

أبرز معاجم القرن التاسع عشر هو الجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق (ت ١٨٧٨ م) وأبرز ما في هذا المعجم طريقة ونقده للمعجم العربي بعامة وللقاموس المعجم بخاصة . واليك أبرز آرائه :

١ - ترتيب المواد :

عاب على الفيروزابادي اتباعه نهج الصحاح ورأى أنه كان من الأولى اتباع نهج ابن فارس لأن التطور يجب أن يكون نحو الأفضل ولا بد من مبارزة الزمن . وكما اعترض على الفيروزابادي اعتراض على طريقة الخليل وأتباعه بقوله(٢٣) : « وبالجملة فالبحث عن الألفاظ في التهذيب للأزهري ، والمحكم لابن سعيد صعب جداً ، لأنك إذا أردت أن تبحث مثلاً عن لفظ (رقم) لم تدرك هل هي الأصل لتبحث عنها في الراء ، أو مقلوبة فتبحث عنها في القاف (قرب) أو عن برق وما بين هذه العروض مسافة بعيدة » .

ولهذا رأينا الشدياق يبني على طريقة الزمخشري ومن تابعه .

ب - ترتيب المشتقات : رأى أن ترتيبها في القاموس المعجم جاء اعتباطياً وفوضوياً ، والباحث فيه لا يجد طلبه بسهولة ، وربما احتاج أن يقرأ المادة بكلاملها ليغذر على ضالته .

ج - تحديد الفصيح : اعترض الشدياق على الطريقة الموروثة في تحديد الفصيح ، لأنها جعلته وقنا على عصر الاحتجاج ، وذهب إلى أن أي شاعر يترعرع له بالجودة يصح الاحتجاج بشعره .

وتحديد الفصيح من أهم القضايا التي تواجه مجتمعنا اللغوية . فالمتشددون يخطئون كل لفظ لم يرد في اللسان ، الذي يجعلونه فيصل في هذا الباب . لكن هؤلاء نسوا أن ابن منظور توفي سنة أحدي عشرة وسبعيناً للهجرة وأن اللغة العربية بقيت بعده .

فالجاسوس على القاموس يمثل ذروة الثورية في التأليف المعجمي . فهو يحارب التقليد ويدعو إلى مواكبة العصر والعلم والتطور . قال الشدياق (٢٤) : « إن الأقدمين قد الفوا لعصورهم ، وجرروا في كتب اللغة على ما كانت تقضي به أصولهم اللغوية في ذلك العين ، فقد صنفوا ونفعوا وأفادوا غير أنهم الفوا كتبهم على حسب أفهامهم وأذماتهم ... وأنه لا عيب عليهم في ذلك » . فما يكتبه العيب إذا ؟ – يمكن العيب في جمودنا فهم عملوا لزمانهم فلهم لا نعمل لزماننا ؟ لقد خلا المعجم القديم من لفظ الطيارة والتلفزيون والتلفون والتلفراف وغيرها من الأسماء ، لأن المسميات لم تكون معروفة فهل يجوز أن يخلو مجتمعنا الحديث منها وقد باتت ملء السمع والبصر ؟

والمعجم الثاني الهام في القرن التاسع عشر هو معجم المعيط لبطرس البستانى (ت ١٨٨٣ م) . طبع لأول مرة سنة ١٨٧٠ م، مستمدًا مادته من القاموس المحيط للغيروزابادي ، ورتب مواده ترتيباً هجائياً بحسب أوائل الكلمات . استخدم الرموز وبسيط الكلمات غير أنه استخدم المامية فاتهمه الشیخ محمد عبد بالركاكة والضعف .

ونذكر بعد ذلك عدداً من المجمعات التي ظهرت ابتداءً من مستهل هذا القرن من أمثال الموارد في فصح اللغة والشوارد لسعید الشرتوںی (ت ١٩١٢ م) وقد أخذ مادة القاموس المحيط حاذقاً منها الأنفاساط الجنسية لأنها تسيء إلى التهذيب والأخلاق وتخدش العفاف والوقار . والمنجد للأب لويس ملوف (ت ١٩٤٦ م) وهو أوسع المجمعات العديدة انتشاراً ولقد أعيد طبعه مراراً وخفض لإضافات وتعديلات كثيرة . وهو في الأساس معجم مدرسي صدر سنة ١٩٠٨ م مرتبًا ترتيباً أوروبياً حديثاً، ثم أضاف إليه الأب فردینان توتل سنة ١٩٥٦ م ملحقاً باسم المتعلق بالآداب والعلوم وهو معجم لأعلام الشرق والغرب . طباعته أنيقة زينت فيه اللوحات والصور والخرائط واستخدم اللون الأحمر للجذور . إلا أن المأخذ عليه لا تحسى ، أهمها : وقوعه في المامية عن سابق تصور وتصميم . وجاء في تعريف الأعلام كثير من التشويه ، وأهمل ما يتصل بالإسلام وال المسلمين . وقد وقع في خطأ كثيرة في الضبط . وغير هنا كثير . وكان أستاذنا الشیخ صبیع الصالح - رحمة الله - يردد على مسامعنا كلما ذكر أسمه : المنجد لا ينجد .

اما «البستان» لعبد الله البستانى فقد صدر سنة ١٩٣٠ م ببيروت بتكليف من الجامعة الأمريكية ، جديده أنه أثبت أسماء المخترعات الجديدة والمصطلحات العلمية إلا أنه حشر فيه الكثير من المولد والدخيل .

والمعجم الذي يجب التوقف عنده هو متن اللغة للشیخ أحمد رضا (١٩٥٣ م) . وكان وضعه بتكليف من مجمع اللغة بدمشق واستغرق العمل فيه سنوات عديدة . طبع

بعد وفاته في خمسة أجزاء كبيرة . جديده أنه الحق في المقدمة جداول تبين الوحدات القياسية من موازين ومقاييس ، ثم أثبت جدواً آخر حشد فيه الكلمات الدخلية التي عرّبها بنفسه أو التي عرّبتها مجامع اللغة .

وبالنصف القرن العشرين يلمع نجم العلاليي وخاصة بعدهما أصدر (المجم) سنة ١٩٥٤ م وكان مقرراً له أن يصدر في أربعة وعشرين مجلداً يضم كل منها أربعة وعشرين قسماً . ولم يصدر منه إلا الجزء البسيط جداً إلا أن ما ظهر منه ينبيء عن عبرية صاحبه وعقله المدبر ، وحسه اللغوي المتفرد . لتميز فيه المعنى الأصلي عن المانع الفرعية فساعد بذلك على رصد التطور المنوي للغة وتفرعه بين العقيقة والجاز . واهتم بالولد والدخليل مميزاً القديم منها عن الحديث ولم يكتف بما وضمه الماجام في هذا الباب بل راح يضع الألفاظ بنفسه مستمدًا القياس والاشتقاق مثبتاً بذلك قدرة العربية على التعبير عن الفكر المعاصر وأكد أن الاشتتقاق يجعل من لغتنا لغة مرنة مطواة .

و قبل أن يتم العلاليي (المجم) طلخ علينا بمجمع آخر هو (المرجع) الذي صدر سنة ١٩٦٣ م على نسق المجم ، وزاوج فيه بين الطريقة الغربية والفرعية في ترتيب الماء فأثبت المصطلح في موضعه من النطق وأثبت الأفعال مجردة ومزيدة تحت الجذر . فكلمة (انتضى) مثلاً يجدها الباحث في باب الألفاظية ترتيباً عجائبياً ويجد في مقابلتها (تضنو) . اقترب فيه وضع أوزان ثابتة للمصطلحات العلمية والصناعية والزراعية كان شخصاً (فعالة) للمصطلحات الصناعية مثل حداقة ونجارة وحلقة ٠٠٠ ووزن مفعلة للدلالة على الآلة مثل : مطرقة: مسطرة: متساهم لم لا يفعل ذلك والعرب القديامي خصموا وزن فعال للأمراض الآنية العابرة فقالوا: سعال وزكام وصداع وذوار ٠٠٠ كما خصموا وزن فَعَلَ للأمراض المقيمة غير الآنية مثل (خرس وعرج وبَرَص وعمى ٠٠٠) .

وبذلك يخطو العلاليي في معيشه بالمجم العربي خطوة تطورية هامة ، فلقد جعل المجم عصرياً يفسر المادة من جوانبها اللغوية والفلسفية والعلمية والتفسية والاجتماعية ، وكاد يضع المجم التاريخي عندما تبع التطور المنوي للغة عبر المصور بشكل تعاقبي . وبعدما استعرضنا جهود الأفراد في المجل المجمعي الحديث نرى ضرورة تقويم جهود الجماعات والمؤسسات في هذا السبيل . ومنها :

١ - المجم الوسيط :

أصدره مجمع اللغة في القاهرة ، وتعاونت في وضعه لجان متخصصة . أبصر النور سنة ١٩٦٠ م في جزأين ثم صدر ثالثة سنة ١٩٧٢ م منقحاً وقد أهملت بعض أصوله السابقة وأضيفت إليه أصول جديدة أقرها المجم في جلساته المنعقدة ما بين ١٩٦٠ و ١٩٧١ م . تضمن كثيراً من الألفاظ المولدة والمحدثة والمصطلحات العلمية الحديثة في

مياذن مختلفة . وقبل المعرفة مثيرة إليه برموز واضحة . وبن المأخذ عليه افتراض
الكثير من الألفاظ المحدثة التي استقرت في لغة الكتاب منذ فجر النهضة ، وتتسكب
بقياسات قديمة للجنس إلى صلاحها أو عدم صلاحها . وفيه مقدار غير
ضئيل من الألفاظ العامة المصرية خاصة ، ووعد باعمال الحوشى الذي هجره الاستعمال
ولم يف بوعده .

٢ - المجمع الكبير :

أصدره مجتمع اللغة بالقاهرة أيضاً على دفترين . صدر الجزء الأول وهو حرف الهمزة
سنة ١٩٧٠ م وصدر الجزء الثاني وهو حرف الباء سنة ١٩٨٢ م وقد أرفقا بكتيب عنوان
(المنهج والتطبيق) جاء فيه : في المجم ثلاثة جوانب هي :

- ١ - جانب منهجي هدفه الأول دقة الترتيب ووضوح التبويب .
- ٢ - جانب لغوی يعني بتصوير اللغة تصویراً كاملاً .

٣ - جانب موسوعي يقدم الوانا من العلوم والمعارف تحت أسماء المصطلحات أو الأعلام .
ولقد مضى على صدور الجزء الثاني أكثر من عشر سنوات ولم يصدر بعد الجزء الثالث
وهذا يجعل في العمل لا بد أن يؤثر سلباً فيه وفي مستخدميه .

الجديد في هذا المجم أن المجمع أظهر منه نموذجاً من نحو ٥٠٠ صفحة عام ١٩٥٦ م
وعدد ذلك (٢٥) د تجربة ودعا المتخصصين إلى قراءتها وتسجيل ملاحظاتهم عليها » . وقد
أخذ بلاحظات المتخصصين وراح خبراء المجمع يدقون ويصحّون حتى صدر هذا
المجم آية في التأصيل والتحقيق متدرجًا في المعاني من العسلي إلى المعنوي ومن العقيلي
إلى المجازي . وذكر في صدر كل مادة النظائر السامية إن وجدت وببوت المواد تبوبها سهلاً
وأثبتت فيه المصطلحات الحديثة الشائعة في الأوساط العلمية والحياة العامة . ولم يهم
أعلام الأشخاص : وزواوج بين النظام الألفبائي الأصولي بحسب أوائل الأصول ، والنظام
الألفبائي النطقي المطلق فعل بذلك مشكلة ادراج الكلمات المعرفة والدخيلة .

لقد وضع هذا المجم - على ما يبدو - ليكون في مصاف الماجم المعاجم العالمية الشهيرة
كموسوعة Larousse الفرنسية و Oxford الانكليزية . وهو اذا تم مع اجراء بعض
التعديلات الطفيفة عليه يكون مهما على مستوى واحد ان لم يفدهما دقة وحسن تبويب .
الآن لا يجوز أن تستمر فيه عيوب الشكل . فالصور غير ملونة ولا يخفى ما للصورة الملونة
من أهمية في توضيح الآلة والنبات وغيرها . . . ولا يجوز أيضاً التذرع بالتكليف الباهظة
لأن الأموال تكال جزافاً لمشاريع أخرى لاترقى - منها جلت أهميتها - إلى مكانة المجم .
واننا لنندعو مجتمع اللغة والدول العربية مجتمعة أو متفرقة إلى اعتماد الأجهزة
الالكترونية في التبويب والاخراج . فمن حق المجم الذي يتحدث عن المكتشفات أن يستفيد
منها ويحدث بنعمتها .

ثامناً : مساهمات عربية في الهم المعجمي العالمي :

اطلقت أوروبا على القرن التاسع عشر تسمية عصر المجمعات وبعد منتصف القرن الحالي راحت تعقد المؤتمرات المحلية والدولية لدارس شؤون المعجم . ومن أبرز هذه المؤتمرات المؤتمر الذي نظمته جامعة (إنديانا) بأميركا في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٦٠ م بموضوع (مشاكل المعجم) . وقد اشتراك فيه أكثر من خمسين لغويًا ومجبيًا عربًا أو أجانب . وما جاء في تقرير لأحد المشاركين فيه واسمه هاوس هولدر ما يأتي (٢٦) :

- ١ - يجب أن يأخذ المعجم في الاعتبار نوعاً خاصاً من المستعملين له وحاجاتهم .
 - ٢ - لا بد أن تكون المواد واسعة الترتيب في موضوعها ، وتوضع الصيغ الشاذة كمواد قائمة بنفسها ، والا فيشار إلى موضوعها في المادة الأصلية .
 - ٣ - التمييز بين المعاني الأصلية والمعانى المجازية ؟ على أساس لغوى .
- هذه التوصيات تشير بوضوح إلى أن مشكلات المعجم تكاد تكون واحدة في أرجاء المعمورة . والمرأقب المنصف لا بد أن يلاحظ أن معجمنا العربي قديمه وحديثه قد أخذ بمعظم هذه التوصيات .

تاسعاً : المجمعات الثنائية اللغة والمتعددة اللغات :

قضت سنة الطور والانفتاح والتبدل الثقافي وأغراض أخرى أن تفك الأمم بمعجمات ثنائية اللغة أو متعددة اللغات . ولم يكن العرب متغلفين عن التركب في هذا الميدان . وانه لمن الصعوبة يمكن رصد المجمعات جمِيعاً لكن لا بد من الاشارة الى بعضها كالنهل (فرنسي - عربي) للدكتورين عبد النور وادريس ، والورد (انكليزي - عربي) وعربي انكليزي للبلعبي ، ومعجم عبد النور (عربي - فرنسي) . ويقاد يكون هناك معجم أعمجي عربي أو المكس لكل لغة من اللغات الحية . ومن هذه الماجم ما هو تجاري رخيص ومنها ما هو علمي رصين . وهنا لا بد من التنوية بالدور الكبير الذي اضطلع به المكتب الدائم لتنسيق التحرير في الوطن العربي ومركزه الرباط حيث راح ينشر في مجلته المعجم تلو الآخر ومنها على سبيل المثال لا الحصر : معجم الكيمياء ، ومعجم الفيزياء ، ومعجم الرياضيات ، ومعجم النبات ، ومعجم الحيوان ، ومعجم البترول ، ومعجم البناء ، والمعجم المنزلي ، ومعجم الأطعمة ، ومعجم الحرف والمهن ، ومعجم المرأة ، ومعجم الزهور ، ومعجم الأذاعة والتلفزة ، والمصطلحات الإعلامية ، والمصطلحات الرياضية ، ومصطلحات المتنففات (Turbines) ، ومصطلحات في أمراض الأذن والأذن والحنجرة ، والمصطلحات الفلسفية ، والمصطلحات البريدية وغيرها كثير . وقد صدرت هذه المجمعات بمعظمها باللغات الثلاث العربية والفرنسية والإنكليزية . وقد اتباع أكثرها بلاحق أنتهتها، وتدارك نقصن الطبعات الأولى . وكان مجمع اللغة قد أصدر معاجم متخصصة كالمجم الفلكي العسكري الموحد باللغتين الانكليزية والعربية أولًا ثم بالفرنسية والعربية ثانياً وغيره كثير .

ولم يكتف المكتب الدائم لتنسيق التعريف بذلك بل كانت له أعمال جليلة أخرى أطل فيها على العالم المتقدم بعدها حصن البيت من داخل فعر ثقب بمأثر العرب المعمية، ووقف على ما عند الآخرين من جديد في هذا الميدان . وأبرز أعماله (الندوة العالمية لصناعة المعجم العربي للناطقين باللغات الأخرى) التي انعقدت بالرباط من ١ إلى ٨ نيسان ١٩٨١ . شارك فيها وفود عربية وغربية من فرنسا وبريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة ؛ ومن أبرز الموضوعات التي ناقشها المؤتمرون(٢٧) :

- ١ - المنهجية في صناعة المعجم .
- ٢ - مشكلات الدلالة في المجم الشناخي اللغة .
- ٣ - المعجم العربي للناطقين باللغات الأخرى .
- ٤ - ترتيب مداخل المعجم .

والمهم في هذه الندوة التوصيات الصادرة عنها وجاء فيها :

- ١ - التعريف بالرموز المستعملة في المعجم وبيان كيفية استخدام المعجم .
 - ٢ - اتباع أحد طريقين في ترتيب المعجم ، أما على حسب الجذور وأما على حسب نطق الكلمة . وفي كلتا الحالتين يتبع الترتيب الهجائي المادي بحسب أوائل الكلمات . وفي حالة اتباع نظام الجذور ينصح بترتيب المصطلحات والألفاظ الدخيلة والمعربة على حسب نطقها .
 - ٣ - ضرورة تضمين المعجم قدرًا معقولًا من المصطلحات العلمية وبخاصة ما يتصل منها بالحياة العامة .
 - ٤ - استخدام الصور والرسوم والخرائط ووسائل الإيضاح المكنته ، واستخدام نماذج ملونة حين معالجة الفاظ الألوان .
- والمعجم العربي كما رأينا سابقاً قد عمل أو بالأحرى قد سبق إلى تنفيذ بعض التوصيات قبل صدورها عن المؤتمر . وفي هذا السياق فخر للعرب في هذا الميدان .
- عاشرًا : صيغات للتتجديد :**

على الرغم من هذه الثورة الدائمة التي أحدثتها المكتب الدائم لتنسيق التعريف في الوطن العربي ، ومجامع اللغة العربية في عالم المعجم فإن صيغات تدعو للتتجديد ما زالت تعلو من هنا وهناك . والذي يشير بالغير فيها أنها دعوات من مجتمعين ذوي علم وحسن لنوى . هذه الصيغات تشعرنا بأن الجمود موت والتطور واجب ، ولا يجوز الوقوف حيث نحن ولو قبضنا في حين على ناصية العلم والمعرفة .

نذكر من هذه الصيغات تلك التي أطلقها عضو المجمع العلمي العراقي د. محمود الجليلي وطالب فيها بوضع (المعجم اللغوي العصاري)(٢٨) الذي : « يستوعب تطور اللغة العربية واستيعابها للحضارة في مختلف الأزمنة » . وحدد محتويات هذا المعجم المقترن بما يأتي :

- ١ - تطور مدلول الكلمات تاريخياً .
- ب - تدوين الاشتراكات الجديدة المؤدية الى معان معينة .
- ج - تسجيل الاستعمالات الحديثة والمعاصرة التي أوجبها التطور العضاري والتقني .
- د - ادخال المصطلحات العلمية الحديثة .
- ه - ضرورة الرجوع الى كتب التراث، وكتب العلوم والطب وسائر فروع المعرفة للاستفادة من مفرداتها .

وليتم اعداد هذا المجم على الوجه المقبول لابد من توفر الشروط الآتية في نظره :

- تضافر جهود المتخصصين المتعاونين في كتابة المادة الواحدة .
- وجود جهة منشقة تحفظ التوازن وتقرر المقبول من الماد .
- تاريخ المعلومات الجديدة ، وابقاء الباب مفتوحاً أمام الجديد ورفد المجم بلاحق دائم ومستمرة .

لا شك في أن د. الجليلي صادق في ما ذهب اليه . لكن الانصاف يقضي بالاعتراف بالفضل الكبير للجهود التي بذلتها مجتمع اللغة والمكتب الدائم لتنسيق التعريب لأنها حققت في مجملاتها أكثر ما طالب به الدكتور الجليلي .
ويصبح بعد سنوات صوت آخر من المجمع العلمي العراقي نفسه هو صوت د. يوسف عز الدين فيكتب في مجلة المجمع مقلاً بعنوان (المجم الذي تريده) يحدد فيه مواصفات هذا المجم وملخصها :

- ابعاد الألفاظ العالمية عنه حتى ولو استعملت في وسائل الاعلام .
- أن يكون سهل المأخذ بعيداً عن العشو .
- أن يستفني عن الميت والهمل من الألفاظ .
- أن يبتعد عن التصعيف والتعريف .

وربما استقى د. عز الدين ملاحظاته هذه من عيوب الماجم الصادرة عن مجتمع اللغة وقد أشرنا الى أكثرها ونعن نعرض الرأي فيها .

ثم طالب مجمعي عراقي ثالث بمجم تراثي في مقال عقده بعنوان(٣٠) (المجم الذي نطبع اليه) واشتهرت أن تتوفر فيه الشروط الآتية :

- ترتيب الماد ترتيباً ألفائياً وفقاً للأحرف الثلاثة الأولى من الكلمة .
- وقف القارئ داخل المادة الواحدة على مجموع آراء اللغويين .
- رصد التطور اللغوي الذي أصاب لفتنا عبر المصور .
- ادخال المصطلحات العلمية التي اقرتها مجتمع اللغة .

وبغض ما نادى به هؤلاء المجتمعون متوفرون في الماجم العربية الحديثة وبعضها الآخر لا بد من دراسته دراسة علمية رصينة وهادئة من قبل الماجم للأخذ بالمقترنات التي تخدم معيناً وتعمل على تعديله وتفعيل دوره .

★ ★ ★

العواشي :

وفي النهاية لا بد من الاعتراف بأن دورة المعجم كدورة الحياة متتجدة غير متوقفة . وكل تطور في حياة الأمة يصيّب الاقتصاد أو السياسة أو الدين أو الاجتماع أو العلم لا بد أن يرافقه تطور في المعجم حتى لأن المعجم الجامد يعني موت الأمة واندثار اللغة الناطقة بها .

- ١ - ابن منظور ، لسان العرب (عجم) .
- ٢ - ابن عبد ربه ، المقتدر القريد ، دار الكتاب العربي - ط ١٩٦٥ ، ج ٤ - ص ١٧١ .
- ٣ - المعجم الوسيط (عجم) .
- ٤ - جعازى ، محمود فهوى ، مجلة مجمع اللغة بالقاهرة العدد ٤٠ من ٨٦ وما بعدها .
- ٥ - العطار ، أحمد عبد الفغور ، الصلاح ومدارس المعجمات العربية ، مكتبة المكرمة ١٩٩٠ ص ٥٣ .
- ٦ - آل ياسين ، محمد حسين ، الدراسات اللغوية عند العرب ، دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٨٠ من ٢٢٢ .
- ٧ - ابن منظور ، لسان العرب (قس) .
- ٨ - الفيروزابادى ، القاموس المحيط ، طبعة مصطفى الباجي العلبي ، ص ٣ .
- ٩ - عمر أحمد مختار ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة "الجزء ٣٠" من ١٢١ .
- ١٠ - Encyclopédie de l'Islam , NV-IV , p. 994 .
- ١١ - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء ٣٠ من ١٢٢ .
- ١٢ - ضيف ، شوقي ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ط ٥ من ١٢٥ .
- ١٣ - مجلة مجمع اللغة بالقاهرة ، الجزء ٣٠ من ١٢٢ .
- ١٤ - العطار ، أحمد عبد الفغور ، الصلاح ومدارس المعجمات العربية من ٦٥ .
- ١٥ - من رسائله : خلق الإنسان ، الإبل ، الغيل ، الوحوش ، النبات ، الشجر .
- ١٦ - من رسائله : المطر ، النبات ، الشجر .
- ١٧ - ابن سينه ، المخصض ١٠/١ .
- ١٨ - العرج ، محمد سالم ، مجلة مجمع اللغة بالقاهرة ، العدد ٢٨ من ١٦٥ .
- ١٩ - فاضل ، عبد الحق ، مجلة الإنسان العربي ، المجلد السادس ، العدد ٢ يناير ١٩٧٠ من ١٠ .
- ٢٠ - القبطي ، ابنه الرواء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ القاهرة ٢٢٤/١ .
- ٢١ - فاضل ، عبد الحق ، مجلة الإنسان العربي ، المجلد السادس ، العدد ٢ يناير ١٩٧٠ من ١١ .
- ٢٢ - أنس ، إبراهيم ، مجلة مجمع اللغة بالقاهرة ، عدده ٢٥ من ٧ .
- ٢٣ - الشياق ، عبد فارس ، الكمبيوتر على القاموس مطبعة الجوانب الأستاذة سنة ١٢٩٩ هـ - ص ٢٣ .
- ٢٤ - المصدر نفسه ص ٣ .
- ٢٥ - مذكور ، إبراهيم ، مجلة مجمع اللغة بالقاهرة عدده ١٢٨٨ .
- ٢٦ - أبو الفرج ، محمد أحمد ، الماجام اللغوية ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٦٦ من ٢١ - ٢٢ .
- ٢٧ - عمر ، أحمد مختار ، الجلة العربية للعلوم الإنسانية (الكويت) المجلد ٤ الأول العدد الرابع خريف ١٩٨١ من ٢٩٩ وما بعدها .
- ٢٨ - الجليلي ، محمود ، مجلة المجمع العلمي العراقي . المجلد الرابع والثلاثون ، الجزء الأول كانون الثاني ١٩٨٣ من ٨٩ وما بعدها .
- ٢٩ - عز الدين ، يوسف ، مجلة المجمع العلمي العراقي . المجلد الثامن والثلاثون الجزء الرابع كانون الأول ١٩٨٧ من ٢٩ وما بعدها .
- ٣٠ - آل ياسين ، محمد حسين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد التاسع والثلاثون الجزء الأول من ٢٩ وما بعدها .

الشرط ولِقَسْمٍ ⑨ وَاحْسَال عِنْدَ النَّحَاءِ وَفِي كَلَامِ الْبُلْغَاءِ

صلاح الدين الزعبلاوي

يشكل بعثهما على الكتاب ويتبين فيهما الحكم : تحقيق العواب عند اجتماع الشرط والقسم ، وواو العمال متى تجب او تجوز او تمنع . وقد يُفضل الأمر في تبين وجه الصواب في المسالتين عند اعتراضهما كتابة الكاتب . وهذا ما دعاني الى معالجتهما والتلطف لهما والاهتمام بطلبيهما العلى التمس اليهما مسامغاً وابتغي سبيلاً ، فأوضح المبهم وأجلو الغامض وأبسط الموجز فاخفف الكلفة في فهم ما تصعب منها ليتسنى ما تعذر ويستيسر ما تعرّ

هاتان
مسالتان

ولا شك أنه لا يكفي في تبين وجه الصواب ومعرفة المباح في ذلك والمحظور ، والجائز والممتنع ، أن يعتمكم في الأمر الى أقوال النعامة وعلماء اللغة وحدهم بل لا بد من مراجعة كلام الفصيحة ثرثراً وشحراً ، والاطلاع على انباط تعبيرهم وأساليب تأليفهم والامتناع بمناهجهم وطرائقهم ، تعرّياً للرأي الراجح من آراء آئمة اللغة ودرءاً لما يمكن أن يعترضنا في ذلك من شبهة أو يخامرنا من ريب . وهذا ما يفتون النقاد أن يوطّنوا النفس عليه ويستمسكوا به ، في غالب الأحيان ، فلا ينصرفوا عنه أو يشنوا عن قصده وطلبه .

الشرط ولِقَسْمٍ

الشرط ما يتوقف عليه الشروط ، وما يسميه النعامة شرطاً هو في المعنى سبب لوجود العزاء ، وتدخل على الشرط اداة مخصوصة دالة على سببته للعزاء ، كما جاء في كليات أبي البقاء الكفوبي . ومن ثم كان للشرط جملتان جملة للشرط واخرى للعزاء او

الجواب ، وهو بمنزلة الجملة الواحدة وجاء في حاشية الامام حسن العطار على شرح الأزهري في علم النحو للشيخ خالد الأزهري : « وأما وجه تسميتها جواباً فلأنه لما لزم عن الأول صار كالجواب الآتي بعد كلام السائل ، وأما وجه تسميتها جزاء فلأنه لما كان متربتاً على ما قبله أشبه الجزاء على الفعل من ثواب أو عقاب ٠٠٠ ص / ١٧٧ » ٠

والقسم هو الغلف أو اليمين ، وهو ضرب من ضروب الانشاء غير الطلب . وهو يتم بجملة فعلية أو اسمية كما يتم بأدوات القسم العارة كالياء والواو والتاء واللام . وللقسم كما للشرط جملتان جملة قسم هي جملة المقسم به ، وجملة جواب هي جملة المقسم عليه .

ومن ثم كان لا بد للشرط من جواب هو جزاؤه ، كما لا بد للقسم من جواب هو المقسم عليه ، ولا يصلح جواب أحدهما جواباً للأخر . ويشكل الأمر اذا اجتمعنا في الكلام ا يكون الجواب فيه للشرط أم للقسم ؟

اجتماع الشرط والقسم واتفاق الجمهور على أن الجواب للمتقدم منها :

اذا اجتمع في الكلام شرط وقسم ، وتقدمهما ما يطلب الغير كالمبتدأ واسم كان ونحوهما ، جعل الجواب للشرط كقولك (خالد واه ان يطعني أكرمه) وقولك (ان ولدي ان يسأله الي) ، والله ، أعف عنه) بالجزم في (أكرمه) و (أعف) لأنهما جواب الشرط .

اما اذا اجتمعوا ولم يتقدما ما يطلب الغير فالجواب للسابق منهما وهو يعني من جواب الآخر ، تقول : (ان يزرنني والله خالد ، أكرمه) بالجزم لأن الجواب للشرط فهو المتقدم ، كما تقول : (والله ان يزرنني خالد لا يكرمنه) بتشديد النون لأن الجواب للقسم وهو السابق . ولعل من المفيد هنا أن نشير الى ما ذكره صاحب الكليات من أن القسم لا يدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة ، وأنه اذا اجتمع القسم والشرط على جواب واحد يجعل ذلك الجواب لأحدهما لفظاً ومعنى وللآخر معنى فقط ..

وقد جاء في كتاب (شرح شذور الذهب - ص ٣٤٧ - ٣٥٠) لابن هشام الانصاري في الموضع التي يجب فيها حذف (جواب الشرط) : « ان يتقدم على الشرط قسم نحو - والله ان جاءني لا يكرمنه - فان قولك لا يكرمنه ، جواب القسم ، فهو في نية التقديم الى جانبه ، وحذف جواب الشرط للدلالة عليه . ويدل ذلك على ان المذكور جواب القسم توكيده الفعل في نحو المثال ، ونحو قوله تعالى : - ولئن نصرتهم لئِنْ كُنَّ الأَدْيَار - العشر ١٢ / ٦ - ورفعه في قوله تعالى : - ثم لا يُنْصَرُونَ - ذلك أن نص الآية « لئِنْ أَخْرَجُوكُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهُمْ وَلَئِنْ قُوْلُوكُمْ لَا يُنْصَرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوكُمْ لِيُولَّنَّ الْأَدْيَارَ شَمْ لَا يُنْصَرُونَ » . وأردف ابن هشام يقول : « ثم أشرت الى أنه - كما واجب الاستفهام بجواب القسم المتقدم . يجب المكس في نحو : ان تقم والله أقم . وأنه اذا تقدم عليهما شيء يطلب الغير وجبت مراعاة الشرط تقدم او تأخر ، نحو : زيد والله ان يقم أقم » .

وذكر ابن هشام ذلك في كتابه (مغني الليبيب - ١٦٨ / ٢) أيضاً ، اذ أورد من أمثلة حذف جواب القسم (ان جاءني زيد والله أكرمنه) ، اذ أثبت فيه جواب الشرط لتقديمه وحذف جواب القسم ، كما أتي من أمثلة حذف جواب الشرط قوله (والله ان جاءني زيد لاكرمنه) ، اذ أثبت جواب القسم لتقديمه وحذف جواب الشرط .

ما يميز جواب الشرط من جواب القسم :

الذي يميز جواب الشرط من جواب القسم أن جواب الشرط يقترن بالفاء أو بجزم ، وهو يقترن بالفاء اذا لم يكن صالحًا لأن يكون شرطاً ، كان يكون جملة اسية او فعلاً جائداً او طليبياً او ماضياً لفظاً ومعنى او اقترن بعد او ما النافية او ان او السين او سوف ، او صدر برب او كاتنا او اداة شرط . فإذا كان الجواب صالحًا لأن يكون شرطاً فلا حاجة به الى الفاء .

ويجوز الوجهان الربط بالفاء وتركه اذا كان الجواب مضارعاً مثبتاً او منفياً بلا .
اما جزم المضارع اذا كان جواباً فهو واجب اذا كان الشرط مضارعاً ، فإذا كان الجواب وحده مضارعاً ، جاز الوجهان الجزم وتركه .

اما القسم فان كان جوابه جملة فعلية مصدرة بمضارع مثبت اقترن باللام ونون التركيد للاستقبال ، ومن المفيد هنا أن نشير الى أن النون المؤكدة هذه لا يؤكد بها الماضي ولا الحال ، ولا ما ليس فيه معنى الطلب ، وطرح هذه النون ضعيف في القسم .

قال تعالى : « قال فبمِنْكَ لَأغْرِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ - ص / ٨٢ » . ويكتفى هنا باللام اذا دخلت على جار ، كقوله تعالى : « ولَئِنْ مَتَمْ أَوْ قُتُلْتُمْ لَالِّي اللَّهُ تَحْشِرُونَ - آل عمران - ١٥٨ » . وكذلك يكتفى باللام اذا كان للحال دون الاستقبال .

واذا صدرت الجملة الفعلية مصدرة بمضارع منفي اقترن جواب القسم بـ (لا) النافية ، قوله تعالى : « وَأَنْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعِثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ - التحفل / ٣٨ » او بـ (بـ) النافية .

واذا كانت الجملة فعلية مصدرة بمضارع مثبت متصرف اقترن باللام وقد غالباً كقوله تعالى : « قَالُوا تَاهَ لَقَدْ أَثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا - يوسف / ٩١ » . وقول الغافل بن يحيى لسعيد بن وهب : « لَئِنْ قَلَّ الْقَوْلُ وَنَزَرٌ لِقَدَاسِعِ الْمَعْنَى وَكَثُرٌ » .

واذا كانت الجملة مصدرة بجماد اقترن باللام كقولهم (وَاللَّهُ لَنَسِمُ الْخَلْقَ الصدق) . أما اذا كانت مصدرة بمضارع منفي اقترن بما النافية ، قوله تعالى : « لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبَعَوْا قَبْلَكَ - البقرة / ١٤٥ » .

وإذا كانت الجملة اسمية مثبتة اقتربت بـ (ان) مشددة أو مخففة ، أو باللام ، أو بهما ، كقوله تعالى : « يس والقرآن العكيم إنك لمن المرسلين - يس / ١ - ٣ » ، قوله تعالى : « حم والكتاب المبين إنما أنزلناه في ليلة مباركة - الدخان / ١ - ٣ » . فإذا كانت الاسمية منفية كان النفي بما العجازية ، العاملة عمل ليس ، أو التمييزة ، غير العاملة ، أو لا التبرئة ، أي النافية للجنس . كقولك (والله ما زيد فيها ولا عمرو) ، وقولك (والله لا رجل في الدار) أو بـ (النافية) .

★ ★ *

ومن أمثلة اجتماع القسم والشرط الشائعة مع تقدم القسم (لئن) ، فاللام موطنية للقسم ، أي مؤذنة بـ (ان) ما بعدها جواب للقسم ، لتقدمه ، دون الشرط ، والتقدير (والله لئن ٠٠) . و (ان) هذه حرف شرط جازم . وقد جاء في التنزيل : « لئن أخرجوا لا يغرسون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصرورهم ليولنَّ الأديار ثم لا ينصرؤن - العشر / ١٢ » . فقوله تعالى (لا يغرسون) جواب القسم ، وقد أغنى عن جواب الشرط . ولو كان الجواب للشرط ، لقيل (لئن أخرجوا لا يغرسوا معهم) بحذف النون . ومكذا قوله تعالى : (لا ينصرونهم) فهو جواب القسم ، ولو كان جواب الشرط ، لقيل (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) بحذف النون . وشاهد آخر ، قال الشاعر :

حلفت برب الراکعن لربهم خشوعاً وفوق الراکعن رقيب
لئن كان برد الماء حرّان صادياً اليه حبيباً ، إنها لعبيب

فجملة (إنها لعبيب) في البيت الثاني جواب القسم المذكور في البيت الأول وهو (حلفت) كما جاء في خزانة الأدب للبغدادي . ولو كان الجواب للشرط لقيل (فإنها لعبيب) مقتربنا بالفام .

ما جاء من الشعر خلافاً للقياس ، فـ (كان) جواب فيه للشرط مع تقدم القسم :

قد جاء (لئن) في الشعر واتفاق الجواب للشرط مع تقدم القسم ، خلافاً للقياس ، قال الشاعر :

لئن منيت بـ (ن) عن غب معركة لا تلفنا في دماء القوم ننتغل
فقوله (لا تلفنا) هو جواب الشرط دون القسم بـ (ن) بدليل الجزم ، وقد ألوه ، فمنهم

من حمله على ضرورة الشعر ، كما جاء في كتاب (الضرائر) لمحمود شكري الالوسي (ص/ ٢١٦) ، ومنهم من لم يجعله من الضرائر فأوله على وجهه من الوجوه كابن مصфор الاندلسي في كتاب (الضرائر) . وكذلك فعل ابن هشام في كتابه (مغني الليبب - ١٨٩ / ١) ، اذ اعتد اللام في (لئن) زائدة في أمثاله ، لكنه خص ذلك بالشعر واستشهد بقول الشاعر :

لئن كان ما حذّته اليوم صادقاً أصم في نهار القينق للشمس بادياً
والبيت لأمراة من عقيل .

وقد ذهب ابن هشام الى أن اللام في (لئن) زائدة وأن الشرط أجيبي بالفعل المجزوم (أصم) ، اذ قال : « ولو كنت اللام للتوطئة لم يجب الا القسم ، هنا هو الصحيح ، وخالف في ذلك الفراء فزعم أن الشرط قد يجبار مع تقدم القسم عليه » .

وإذا عدنا الى الفحول من الشعراء وجدنا أنهم لم يستنكروا مخالفات القياس او يستبعدوه في هذا الباب ، فجاء الجواب للشرط في أشعارهم ، مع تقدم القسم عليه . فهذا الإمام الشافعى يقول في حديث عن أهل العلوم :

لعمري لئن ضيّعت في شر بلدة فلست منضيّعاً فيهم غرر الكلم

والشافعى حجة فقد استظهر القرآن منذ صباه ، وخرج الى البداءة فحفظ كثيراً من أشعار المهدللين ، وكانتوا من أفسح العرب ، وروى عن الإمام الأصمعي أنه صبح عليه أشعار هزلاء . وهذا المتنبي فقد جاء في ميراثه ليجده من أمه .

لئن لَدَنْ يوم الشامتين بيومها فقد ولدت مني لأنففهم رغماً

فكان الجواب للشرط في قوله (فقد ولدت) مع تقدم القسم ، وقد روى أيضاً (فقد ولدت مني لأنففهم رغماً) .

وهذا أبو فراس الحمداني يقول في مفاخر قومه :

لئن كان أصلى من (سعيد) نجاده ففرعي لسيف الدولة القرم ناصر

و (سعيد) هو ابن عم الشاعر ، والقرم هو السيد والمظيم .

وقال أبو تمام يرثى محمد بن حميد الطوسرى :

لئن أبغض الدهر الغزوون لفقدنه لعهني به حياً يحببه به الدهر
لئن غدرت في الروع أيامه به فما ذات الأيام شيمتها الغدر

فجواب (لئن) في البيت الثاني (فما زالت) وهو جواب للشرط مع تقدم القسم .
وعلى ذلك قول الشاعر :

لئن بكيت دمأ والعز من شيء على الخليط فقد يبكي العسام دما
وقد أورده الأستاذ محمد الخضر حسين التونسي في كتابه (الخيال في الشعر العربي)
في صدد كلامه على (التفاضل في التخييل ٥٨) .

ما جاء من النثر خلافاً للقياس ، فكان الجواب فيه للشرط مع تقدم القسم :

لم يقتصر معه الجواب للشرط مع تقدم القسم على الشعر ، بل تناول النثر أيضاً .
من ذلك ما حداه ابن عبد ربه في الجزء الأول من كتابه المعروف (العمد الفريد) من كلام
عمر بن الخطاب لمعاوية ، رضي الله عنهما ، حين قدم عمر على معاوية بالسلام . اذ قال
معاوية : « قان أمرتني بذلك اعمت عليه » ، وان بهيتي عنه انتهيت » ، ولا شيء في ذلك .
لكن عمر قد اجايه : « لئن كان الذي تقول حقاً فاته اريب ، وان كان باطلًا فاته خدعة
أريب » . قوله (فاته أريب) جواب للشرط مع تقدم القسم .

وفي نهج البلاغة (١٨٨/١) قال علي كرم الله وجهه : « لئن أمهل الظالم فإن يفوت
أخذته » ، فجاء الجواب للشرط دون القسم . ذلك أن جواب القسم في جملة فعلية منافية
فلها مضارع ، كما هو الحال في القول السابق ، يتقدم الفعل فيها أحد أحرف النفي
(ما و ان و لا) ويندر أن يتقدمه (لن أو لم) ، ولا تدخل الفاء هذه الأحرف في جواب
القسم خلافاً للشرط .

وجاء في نهج البلاغة أيضاً قول علي كرم الله وجهه (١٠٥/٢) : « ولم يمر لئن كانت
الامامة لا تتعقد حتى تحضرها عامة الناس ، فما الى ذلك سبيل » ، فجاء الجواب للشرط
 ايضاً ، ذلك أن جواب القسم في جملة اسمية منافية تتصدره أحرف النفي (ما او لا النافية
 للجنس او إن) ولا تدخل الفاء هذه الأحرف .

ما الرأي في جواز كون الجواب للشرط مع تقدم القسم :

اقول الرأي عندي أن اتفاق الجمهور على أن الأصل في الجواب أن يكون للمتقدم
من الشرط أو القسم ، اذا اجتمعا ، لا يمنع اجازة معه الجواب للشرط مع تقدم القسم
ما دام قد جاء ذلك مجيئاً متعلماً في شعر فهو ، الشعرا ونشر الآئمة البلغاء ، مما اتبنا
بشواهده قبل . وهذا ما دعا بعض الآئمة الى التصريح به كالإمام القراء وابن مالك .
وقد أشار الى ذلك الإمام السيوطي في كتابه (همزة الهرامع - ٤٣/٢) ، اذ قال :
« فالجواب للسابق في الأصح قسماً كان أو شرطاً وجواب الآخر مذوف ، نحو : والله ان
قام زيد لأقومنـ وان يقم والله أقـمـ » ، وأردف : « وجوز الفراء وابن مالك جمل الجواب
للشرط وان تأخر ، كقوله :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقاً أصم في نهار القيظ للشمس يادياً »

قد يجزى الشرط بجواب القسم :

تد يتصدر الكلام شرط فلا يجاب بجزائه وإنما يجاب بجواب القسم . ومن ذلك قوله تعالى : « وَانْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لِيَمْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ - الْمَائِدَةَ / ٧٣ » . فجاء الجواب للقسم وليس في الآية قسم فذهب الأئمة إلى تقديره ، وحذف جملة القسم كثير . قال المكربلي في كتابه (البيان في اعراب القرآن) : « لِيَمْسِنَ » : جواب قسم محدود سداً مسدّ جواب الشرط الذي هو وان لم ينتها - ١٢٥/١ ، أي أن القسم مقدر في الآية لأن الجواب فيها لا يكون للقسم . قال ابن هشام في كتابه (مغني الليب): « وَكَوْلَهُ تَعَالَى : وَانْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لِيَمْسِنَ » ، فهذا لا يكون الا جواباً للقسم - ١٨٩/١ .

وقال تعالى : « وَانْ أَطْعَمُوهُمْ إِنْكُمْ لَمْ تُرْكُونَ - الْأَنْعَامَ / ١٢١ » ، فاجيب الشرط بجواب القسم . واختلف الأئمة في تاویله ، فذهب جماعة الى جعل الجواب للشرط على اضمار (الفاء) فقدر (فانكم لم ترکون) . قال العكربی في كتابه (البيان في اعراب القرآن) : حذف الفاء في جواب الشرط وهو حسن اذا كان الشرط بلطف الماضي ، وهو هنا كذلك ، وهو قوله : وَانْ أَطْعَمُوهُمْ - ١٤٥/١ . وكذلك فعل البيضاوي في تفسيره الموسوم بأنوار التنزيل : « وَانَا حَسْنَ حَذَفَ الْفَاءَ فِيهِ لَأَنَّ الشَّرْطَ بِلَطْفِ الْمَاضِيِّ » . وعندي أن هذا هو الرأي المرجوح . ذلك أن حذف الفاء من جواب الشرط مقصور على الشعر عند الأكثرين . قال الشاعر :

من يفعل العسنات الله يشكراها والشر بالشر عنده الله مثلان

أي : فالله يشكراها . وذهب أبو العباس المبرد في كتابه الكامل إلى أنه لا يجوز ذلك حتى في الشعر وأن البيت المروي محرّف والأصل فيه (من يفعل الخير فالرحمن يشكره) ، وجمهور النعامة على أن فاء الجرام لا تسقط إلا في الشعر وللضرورة ، كما جاء في كتاب (القراءات) لمحمود شكري الآلوسي . قال ابن هشام في (مغني الليب - ١٨٩/١) بقصد تاویل الآية السابقة « وَانْ أَطْعَمُوهُمْ إِنْكُمْ لَمْ تُرْكُونَ - الْأَنْعَامَ - ١٢١ » : « وَقَوْلُهُمْ لِيَسْ هَذَا قَسْمٌ مُقْدَرٌ وَأَنَّ الْجَمْلَةَ الْأَسْمَيَّةَ جَوَابُ الشَّرْطِ عَلَى اضْمَارِ الْفَاءِ كَقَوْلِهِ : مَنْ يَفْعُلُ الْعَسْنَاتَ اللَّهُ يَشْكُرُهَا ، مَرْدُودٌ لَأَنَّ ذَلِكَ خَاصٌّ بِالشِّعْرِ » . وقد جاء في (شرح شوامد المفني - ١٧٨/١) للإمام جلال الدين السيوطي : « مَنْ يَفْعُلُ الْعَسْنَاتَ اللَّهُ يَشْكُرُهَا - هُوَ لَبِدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَانِ بْنِ ثَابَتَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَيْلُ لِكَبْرِ بْنِ مَالِكٍ وَتَمَامَهُ : وَالْشَّرُّ بِالْشَّرِّ عَنْدَ اللَّهِ مُثْلَانٌ » . وقوله : الله يشكراها جملة اسمية وقعت جواب الشرط وحذفت منها الفاء ضرورة ، وزعم المبرد أن الرواية من يفعل الخير فالرحمن يشكره » .

خلاصة القول في جواب الشرط والقسم :

يمكن ايجاز القول في هذه المسألة بالشرح التالي :

١ - اذا تصدر الكلام ما يطلب الخبر كالمبتدأ واسم كان ونحوه ، واجتمع بهذه شرط وقسم كان الجواب للشرط جميعا ، كقولك (خالد والله يطعني اكرمه) بالجزم و (ان ولدي ان يسني الي والله اعف عنه) بالجزم أيضا .

٢ - اذا اجتمع الشرط والقسم ولم يتقدما ما يطلب الخبر كان الجواب للسابق منها ، شرطا كان او قسما ، واستغني عن جواب الآخر ، كقولك (ان يزرنى والله خالد اكرمه) بالجزم لان الجواب للشرط فهو متقدم ، وقولك (والله ان يزرنى خالد لاكرمنه) بتون متسلدة بعد لام الجواب ، لان جواب للقسم ، وهو السابق . وجواب المتأخر معنوف .

٣ - قد يأتي ما يتقدم فيه القسم ويكون الجواب فيه للشرط ، خلافا للقياس . وقد جاء هذا في التتر نثر البلاء وفي الشعرة عن الفحول معياناً يؤذن بجوازه . قال الشاعر :

لَنْ كَانْ مَا حَدَّثْتُهُ الْيَوْمِ سَادِقاً أَصْنَمْ فِي نَهَارِ الْقِبِطِ لِلشَّمْسِ بِادِيَا

فباء الجواب (أصنم) للشرط مع تقدم القسم عليه . وقال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، « لئن كان الذي تقول حقا فأنه أريب » ، فباء الجواب للشرط أيضاً مع تقدم القسم . وإذا كان في هذا ترجيح للشرط على القسم فذلك لأن تعليق المعنى على الشرط في الأصل ، وإنما يساق القسم للتاكيد .

٤ - قد يُجزي الشرط بجواب القسم، ولكن لا بد في هذا من تقدير القسم ، لأن جواب القسم لا يُجب به الا عن القسم . قال تعالى: « وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لِيَمْسِئُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عِذَابَ الْيَمِّ - المائدة/٧٣ ». فباء الجواب للقسم فقدَرَ وخُرِجَت الآية على حذف جملة القسم ، وكان الأصل (والله ان لم ينتهوا ..) فيكون الجواب للقسم . لتقديمه على الشرط جرياً على الأصل .

* * *

الحال

تعريفه : الحال في تعريف النعمة وصف (فصلة) وقد عنوا بفضلة أنها ليست مستدعاً أو مسندأ اليه ، وهما ركتنا العاملة من الوجهة التحوية . كال فعل والفاعل في العملية الفعلية ، والخبر والمبتدأ في العملية الاسمية ، فالحال تأتي في الأصل بعد استيفاء هذين الركتين في العملية ، تقول (جاء خالد راكبا) فتأتي بالفعل والفاعل ثم تذكر بعدهما (الحال - راكبا) لبيان هيئة صاحب الحال وهو الفاعل (خالد) . ويقول الشاعر (أنا ابن دارة معروفاً بها نسي) فيأتي بالمبتدأ والخبر ثم يأتي بـ (الحال - معروفاً) تأكيلاً لمضمون الجملة .

وإذا قلنا (الحال فصلة) فليس يعني ذلك أنه يمكن الاستفهام عنها ل تمام المعنى المقصود دونها ، ذلك أنها تأتي لأداء دلالة خاصة . والا فهل يمكن الاستفهام عن (الحال)

في قوله تعالى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين - الأنبياء / ١٦ » ، أو الاستفباء عن (الحال) في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - النساء / ٤٤ » .

قال ابن هشام في كتاب (شرح شذور الذهب في معرفة كلام المرء / ٢٤٤) : « السابع من المنسوبات - الحال - وهو وصف فضلة مسوق لبيان هيئة صاحبه ، نحو قوله تعالى : فخرج منها خائفا - الت accus / ٢١ ، أو تأكيده نحو قوله تعالى : لأن من في الأرض كلهم جيئا - يو نس / ٩٩ ، أو تأكيد عامله ، نحو قوله تعالى : فتبسم ضاحكا - النمل / ١٩ ، أو تأكيد مضمون الجملة ، نحو قوله تعالى : وأرسلناك للناس رسولا - النساء / ٩٨ ، قوله الشاعر : أنا ابن دارة معروفا بها نببي » .

والحال وصف نكرة أي اسم مشتق في الأصل ، وصاحبها معرفة . قال ابن هشام في كتابه المشار إليه : « وحدها ، أي الحال ، أن تكون نكرة منتقلة مشتقة وأن يكون صاحبها معرفة » . والمراد بمنتقلة لا يكون وصفا ثابتا لازما ، وربما كان الحال وصفا ثابتا كقوله تعالى : « هو الذي أنزل اليك الكتاب مفصلا - الأنعام / ٤٣ » .

وانما يقع الوصف على صاحب الحال ، ويكون صاحب الحال فاعلا أو مفعولا لفظا أو معنى . والمراد بالفاعل اللغطي والمفعول اللغطي ما يكون فاعلا أو مفعولا في التركيب ، والمراد بالمعنى ما لا يكون كذلك كان يكون مبتدأ أو خبرا ، أو يكون مفعولا مطلقا أو مفعولا معه ، أو مضاف إليه للمفعول ، بشرط أن يصح المعنى بعدد المضاف كقوله تعالى : « بل تتبع ملة ابراهيم حنيفا - البقرة / ١٣٥ » . فإن حنيفا حال من ابراهيم ولو حذف المضاف فقيل : بل تتبع ابراهيم حنيفا ، لصح المعنى . قال ابن هشام في كتابه المشار إليه : « ويأتي الحال من الفاعل ، ومن المفعول ، ومنهما مطلقا ، ومن المضاف إليه إن كان المضاف بعضه نحو : أن يأكل لحم أخيه بيته - أو كبعضه نحو : بل تتبع ملة ابراهيم حنيفا ، أو عملا فيها نحو : إليه مرجعكم جيئا - يو نس / ٤ ، ف (جيئا) حال من الضمير وهو الكاف المجرورة باضافة (إليه) . والعامل في الحال هنا هو (مرجع) وقد صبح عمله لأنه مصدر وهو بمنزلة الفعل ، كما لو قلت : إليه ترجعون جيئا ، والأصل أن يكون العامل في الحال هو العامل في صاحب الحال . ولا يشترط في عامل الحال أن يكون فعلا أو شبيهه إذ يجوز أن يعمل فيه معنى الفعل كالظرف والجار والمجرور وحرف التنبية واسم الاشارة وحرف التنبية واسم الاشارة وحرف النداء والتمني والترجبي وحرف الاستفهام ، لأن فيها معنى الفعل . »

الجملة العالية وافتقارها إلى رابط يربطها بصاحب الحال :

تقع الحال مفردة كما رأينا ، ولكنها تتبع كذلك جملة خيرية فعلية أو اسمية ، فتكون الجملة في تأويل المفرد ، ولا بد حينئذ من رابط يربطها بصاحب الحال : أي بالاسم الذي تصفه الحال . ويكون الرابط أما الواو وحدها كقولك (جاء خالد والريح تعصف) وقوله تعالى : « ولئن أكله الذئب ونعن عصبة - يوسف / ١٤ ، أو الضمير وحده ،

نحو (خرج زيد يركض) ، وقوله تعالى : « وجاءوا أباهم عشاءً ي يكون يوسف / ١٦ ، واما الواو والضمير معاً كقولك (لم ضربته وهو يأكل) ، وقوله تعالى : « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف - البقرة / ٢٤٣ » .

واو الحال متى تجب :

يشكل على الكتاب متى تجب واو الحال ومتى تمتنع ، وهي تجب في مواضع ثلاثة :

- الأول : أن تكون جملة الحال اسمية خالية من ضمير يربطها بصاحب الحال ، كقولك : (جئت والناس نائم) وكقوله تعالى : « وتن أذله الدب وبعن عصبه » .

- الثاني أن يتتصير الجملة الاسمية لضمير العائد إلى صاحبها ، كقولك (لا تتكلم وأنت تأكل) ، و قوله تعالى : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سذارى - النساء / ٤٣ » . فقد جاء ربط الجملة الاسمية بصاحب الحال في غاية القوة باجتماع الواو والضمير معاً . وقد ناسب ذلك الجملة الاسمية لقوتها في الاستقلال . وهذا الرابط بالواو وحدهما أو بها مع الضمير إنما يكون في الحال المبين التي تذكر للتوضيح والتبين ، وأما في الحال المؤكدة فلا يجوز الواو تقول - هو الحق لا شك فيه - وذلك لأن الواو لا تدخل بين المؤكد والمؤكد لشدة الاتصال بينهما ، كما جاء في شرح كافية ابن الحاجب للامام عبد الرحمن الجامي . وسيأتي الكلام على امتناع الواو في الحال المؤكدة .

- والثالث أن يتتصير الجملة الفعلية العالية ، المثبتة أو المنفية ، فعل ماض ، وهي تغلو من ضمير يعود إلى صاحبها . فإذا كانت مثبتة وجبت معها قد ، وجيء بـ (قد) بعد الواو ها هنا ، لأنها تقرب الماضي من الحال فيصبح أن يقع حالاً ، كقولك : (جئت وقد انصرف الناس) . وإن كانت منفية انفردت الواو كقولك : (جئت وما طلعت الشمس) .

واو الحال متى تمتنع :

تمتنع الواو في حالات مت :

الأولى : أن يتتصير الجملة عاطف كقوله تعالى : « فجاءها بأسنا بيأنا أو هم قائلون الأعراف / ٣ » أي ليلاً أو نهاراً .

الثانية : أن تقع مؤكدة لمضمنون جملة نحو (هو الحق لا شك فيه) ، وقوله تعالى : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين - البقرة / ٢ و ٣ » . وتمتنع الواو هنا لأن المؤكّد نفس المؤكّد فتكتون معها في صورة المطوف على نفسه .

الثالثة : أن تكون ماضية بعد (الا) فتمتنع الواو وقد منفردین ومجتمیین ، ويكتفى بالضمير ، نحو قوله تعالى : « يا حسرة على العبادة ما يأتیهم من رسول الا كانوا به يستهزئون - يس / ٢٠ » ، وقوله تعالى : « وما تأتیهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضین - يوسف / ٤٦ » . ونحو قولك (ما تكلم الا شعك) . وما جاء بالواو أو قد مخالف للشهور .

الرابعة : أن تكون الجملة ماضية قبل (أو) نحو قوله (لأنه عاش أو مات) وقول الشاعر (كن للخليل نصراً جار أو عدلاً) . وتمتنع الواو هنا لأنها في تقدير الشرط أي (ان عاش أو مات) و (ان جار أو عدل).

الخامسة : أن يتتصدر الجملة العالية مضارع مثبت دون قد ، فترتبط بالضمير وحده ، كقولك (ومضي زيد يكتب رسالته) ، فقد جاءت الجملة العالية كالوصف فعوّلت كذلك . فإذا وجدت (قد) اقترن الجملة بالواو ، تقول (قدمت المدرسة وقد يزورني فيها زائر) وعليه قوله تعالى : « واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعلموه اني رسول الله اليكم - الصنف / ٥ » فوجب اقتران الواو هنا لأن دخول (قد) نقض شبه الجملة بالوصف ، لامتناع دخولها على الوصف .

السادسة : أن يتتصدر الجملة العالية مضارع منفي بلا ، فتمتنع الواو وقد منفردین ومجمتعین ، ويكتفى بالضمير وحده ، كقوله تعالى : « وما لنا لا نؤمن به وما جاءنا من الحق - المائدة / ٨٤ » . وتقول على هذا (جاء زيد لا يركب) ، وهو في تأويل : جاء زيد غير راكب . وهكذا اذا كان النفي بما على ما هو المشهور . أما اذا كان بلم فانه يجوز اثبات الواو وحذفها . وللليل اثباتها مع الضمير قوله تعالى : « ومن أظلم من افترى على الله كذباً او قال أوحى اليه شيء ولم يُوحِ اليه شيء - الأنعام / ٩٣ » . وللليل حذفها قوله تعالى : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لهم يمسسمهم سوء - آل عمران / ١٧٤ » . وإذا كان النفي بلماً كان الأكثـر اثبات السوا وقوله تعالى : « ألم حسبتم أن تدخلوا الجنـة ولما يعلم الذين جاهدوا منكـو وعلم الصابـرين - آل عمران / ١٤٢ » .

واو العال : متى يجوز اثباتها وحذفها :

يجوز اثبات الواو وحذفها في مواقع ثلاثة ، فقد مر بـنا :

أولاً : أن الأصل في الجملة العالية الفعلية المرتبطة بالضمير ، أن تمتنع فيها الواو الحال ، اذا تصدرها منفي بما العالية ، هذا هو المشهور ، لكن من الآئمة من أجاز اثباتها في هذا الوضع وحكم بصحة قول القائل (جاـنـي زـيدـ وـماـ يـتـكـلـمـ غـلامـهـ) . جاءـ هـذـاـ المشـالـ في شـرـحـ الـأـمـامـ الـجـامـيـ لـكـافـيـةـ اـبـنـ الـعـاجـبـ . وـقـدـ سـاـوـيـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ حـذـفـ الواـوـ فـيـ قولـهـ (جاـنـيـ زـيدـ ماـ يـتـكـلـمـ غـلامـهـ) . وهـكـذاـ فعلـ الـأـمـامـ جـلـالـ الدـينـ السـيوـطـيـ فـيـ (معـ الـهـوـاسـ) اـذـ قـالـ : « وـالـنـفـيـ بـمـاـ فـيـ الـوـجـهـانـ اـيـضاـ نحوـ: جاءـ زـيدـ وـماـ يـضـحـكـ ، اوـ جاءـ جاءـ زـيدـ ماـ يـضـحـكـ » .

ثانياً : وقد تقدم أن الأصل في الجملة الفعلية المثبتة اذا تصدرها فعل ماض ، وخلت من ضمير رابط ، وجوب اثبات الواو حالـيـةـ وقدـ ، كـوـلـكـ (جاـنـيـ زـيدـ وـقـدـ طـلـعـتـ الشـمـسـ) وـيـعـنـيـ هـذـاـ أـنـهـ اـذـ وـجـدـ الضـمـيرـ الـرـابـطـ لـمـ تـجـبـ الواـوـ . تـقـولـ (جاـنـيـ زـيدـ وـقـدـ خـرـجـ

غلامه) و (جاءني زيد قد خرج غلامه) ، وقد ساوي الجامي في شرح الكافية بين المثالين . وأورد النهاة على ربط الجملة بالضمير وقد قطع دون الواو ، قول الشاعر :

وقفت بريص الدار قد فَيْرَ البَلِي معارفها والساريات الهواطل
والساريات هي السعب تأتي ليلا .

ثالثاً : ذكرنا أن الأصل في الجملة العالية الفعلية المنفية اذا تصدرها فعل ماض ، وقد خلت من ضمير رابط وجوب اثبات الواو منفردة ، كقولك (جئت وما طلعت الشمس) . أما اذا وجد الضمير الرابط فلا تجب الواو ، وعلى ذلك تقول (جاءني زيد وما خرج غلامه) و (جاءني زيد ما خرج غلامه) ، وقد ربط الأول بالواو والضمير . وربط الثاني بالضمير وحده وهكذا قوله (رجع خالد وما صنع شيئاً) و (رجع خالد ما صنع شيئاً) ، كما أورده الشيخ مصطفى الفلايبي في كتابه (جامع البروس العربية) .

رابعاً : كما ذكرنا أن الأصل في الجملة العالية الاسمية ، المثبتة والمنفية ، أن تربط بالواو والضمير بما اذا تصدر الجملة الضمير العائد الى صاحبها . ومثال الجملة العالية الاسمية المثبتة ، قوله تعالى : « فلا تجعلوا شانداناً وأنت تعلمون - البقرة / ٢٢ » ، ومثال المنفية نحو قوله « رجمت وما في يدي شيء ». أما اذا لم يتصرد الجملة الضمير العائد الى صاحبها فقد اجاز النهاة الوجهين اثبات الواو وحذفها ، والمشهور الحذف كقوله تعالى في الجملة العالية المثبتة : « اهبطوا ببعضكم ببعض عدو - البقرة / ٣٦ » ، ومثال المنفية قوله تعالى : « والله يعكم لا معقب لحكمه - الرعد / ٤٣ » .

امتناع واو الحال بعد الا عند النهاة اذا تلاها فعل ماض :

الأصل أن تمنتنع الواو بعد الا ، اذا تصدر الجملة العالية فعل ماض ، كقوله تعالى : « وما يأتمهم من رسول الا كانوا به مستهزئون - العجر / ١٣ » ، وقوله تعالى : « ما يأتمهم من ذكر من ربهم محمد الا يستمعوه وهم يلبنون - الأنبياء / ٢ » . وقد تقدم بعث ذلك فتقول على هنا مثلاً (ما من أحد الا جزع) فتمنتنع الواو بعد الا . وجاء في شرح الأشموني على الفية ابن مالك ان هناك سبع مسائل تمنتن فيها الواو ومنها الماضي التالي لـ (الا) نحو (ما تكلم الا قال خيرا) .

ولكن هل ثمة من يجيز دخول (الواو) بعد (الا) في مثل هذا الموضع ؟

أقول : قال الصبان في تعليقه على الأشموني وتعليقه سبب امتناع الواو ما هنا : « أي لأن ما بعد الا مفرد حكماً » ، اي هو مفرد في الأصل لا جملة . لكنه استدرك فقال : « وذهب بعضهم الى جواز اقترانه بالواو وتسكناً بقوله :

نعم امرأ هرم لم تعر ناثة الا وكان لمرتع بها وزرا

وحكم الأول بشنوده » . وهذا يعني ذهاب بعضهم الى جواز اقتران الواو اخذا بقول الشاعر ، أما الاكثر من فقد حملوا بيت الشاعر على الشنودة .

معنى واو العال بعد الا في كلام الفصحاء اذا تلاها فعل ماض :

الذى عندي أن الحكم بامتناع الواو أو جوازها بعد الا اذا تلها فعل ماض ، مرهون باستعمال الفصحاء ، فهل جاء في كلامهم اقتران الواو بالفعل الماضى بعد الا .

أقول قد ورد ذلك فيما أثر عن الفصحاء مورداً متماماً، ومن ذلك ما جاء في نهج البلاغة، اذا قال :

ووأى على نفسه الا يضطرب شبح ما أولج فيه الروح الا وجعل الحمام موعده والفناء غايتها (٩٢ / ٩٢) . والواي هو الوعد والعمام هو الموت . وقال :

ولم يترك شيئاً رضيه او كرهه الا وجعل له علماً بادياً وآية محكمة (١٣٣ / ٢) ، وقال :

ما من أحد أودع قلباً سروراً الا وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً (٢١٠ / ٣) ونحو ذلك كثير في نهج البلاغة .

ومما جاء من ذلك في كتاب (أخلاق الوزيرين) لأبي حيان التوحيدى ، قال :

وما رأى الله أحداً إلا وفرض عليه الإفضال والاحسان (ص / ٢٦٥) وقال :

وما رأيت أحداً سكت عن أحد من سفائفهم تغافلاً عنه .. الا ورأيته يقول ويعلب في ابن عباد غير خاشٍ ولا متعاشٍ (ص / ٤٧٤) .

فصح بذلك قوله في المثال السابق : (ما من أحد الا وجزع) باقتران (الواو) بالفعل الماضى .

اقتران واو العال يقد بعد الا اذا تلها فعل ماض :

قد جاء مما تمنع فيه الواو وقد منفردین ومجتمعین ويكتفى بالضمير أن تقع الجملة الحالیة الفعلیة بعد الا ويتصدرها فعل ماض، كقوله تعالى : « ما ياتیهم من رسول الا كانوا به يستهزئون - يس / ٣٠ » . وجاء في شرح الأشموني (٢٢ / ٣) أن (قد) تمنع مع الماضي الممتنع ربطه بالواو وهو تالي الا ، ونذر قوله :

متى يات هذا الموت لم يلف حاجة لنفسي الا قد قضيت قضاهاها

لكنه جاء في حاشية الصبيان : « في شرح الرضي أنها يجتمعان بعد الا نحو : ما لقيته الا وقد أكرمني - ٢٢ / ٣ » . فما الرأي في ذلك ؟

أقول جاء في كلام الفصحاء اقتران الواو بقد (الا) قبل الفعل الماضى ، كما جاء انفرادها بالفعل الماضى ، على ما تقدم . ومن شواهد اقتران الواو بقد قبل الفعل الماضى التالي لـ (الا) ، ما جاء في نهج البلاغة ، قال :

ولا جُنلت لهم الأفتدة في ذلك الأوان الا وقد أعطيتهم مثلها في هذا الزمان (١٥٦ / ١) ، وقال :

ما منهم رجل الا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مكره (١٠٤/٢) .
وقال ابن جني في **الخصائص** :
لسان زراك الا وقد أغلقت العينين جميماً (٦٥/٢) . وجاء في **شرح العمسة** لأبي علي المرزوقي :

فلا يمكنهم تجاوزه الا وقد فرغوا منه (من ١٩٢) . وقال :
لا تكون راشداً الا وقد رشد جارك معك (من ٤٣٨) .
فساغ بذلك قوله في المثال السابق (مامن أحد الا وقد جزع) ، قوله (ما حدثني أحد الا وقد استمعت اليه) ، استناداً الى ما ذهب اليه الامام الرضي وجاء في **كلام الفصحاء** .
مجيء او الحال بعد الا اذا تلاها فعل مضارع :

الأصل أن تمنع الواو اذا تصدر الجملة العالية مضارع مثبت دون (قد) ، فترتبط بالضمير وحده ، كقولك (جئت أحمل ثيابي) وقوله تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار - يس / ٣١ » . فإذا اقترنت بقد جاز ذلك قوله تعالى « لم تؤذوني وقد تعلمون أنني رسول الله اليكم - الصف / ٥ » . والحكم في هذا جاء بعد الا ودونها .

وقد أخذ الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العراقي في كتابه (المباحث اللغوية) على زميله الأب ماري أنساتام الكرملي قوله (لا ندع ديواناً ... الا ونورد فيه شيئاً من المصطلحات) ، قال الدكتور جواد : « والصواب نورد بعذف الواو » مستشهدأ بقوله تعالى : « وان من شيء الا يُسبّع بعدهه - الاسراء / ٤٤ » .

كما أخذ الأستاذ علي نجدي ناصف على الدكتور شوقي ضيف في كتابه (المدارس النحوية) مثل ذلك . قال الأستاذ ناصف في جملة جمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٠/٢٥) : « ويدخلها - أي او الحال - الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابه ، المدارس النحوية - على المضارع المثبت غير المترون بقد حين تقع جملته حالاً ، كقوله : لا يسجل قاعدة الا ويري - من / ١٠٠ » . ويوجب النحويون أن تربط هذه الجملة بالضمير لا بالواو ، ويؤولون ما ورد مقررونا بها » .

وقد بعث هذا أبو البقاء الكفوبي في (الكليات) فقال : « ودخول الواو في المضارع المثبت كالممتنع أعني العرام اذا أجري على ظاهره » . وأما اذا قدر معه مبتدأ فدخول الواو جائز وسمسوح كثيراً - ١٦٥/٥ » . ومنها يعني أنك اذا قلت (وليس شيء مما يضررون اليه الا ويحاولون به وجهاً) باثبات الواو قبل المضارع كان كالممتنع في الأصل ، فإذا قدرت فيه المبتدأ على أن المراد (الا وهم يحاولون به وجهاً) كما أثبته ابن جني في **الخصائص** (٥٢/١) جاز ذلك .

على أنت اذا عدنا الى **كلام الفصحاء** ، كما فعلنا قبل ، رأينا ان اقتران الواو بالمضارع المثبت هنا جائز ، ولو امتنع تقدير المبتدأ . وشاهد ذلك ما جاء في نهج البلاغة ، قال : « واعلموا أن ليس من شيء الا ويقاد صاحبه أن يشبع منه ويسله الا الحياة » . فقد دخلت الواو على المضارع المثبت مع تغدر تقدير المبتدأ ، فتأمل .

موجز القول في الجملة الحالية ، المثبتة ، اذا تلت الا :

ويحسن أن نوجز الحكم في الجملة الحالية ، الفعلية المثبتة ، بعد الا ، من حيث اقتضانها بالواو وقد أو امتناعها عنها ، بما يلي :

الأول : الأصل في الجملة الحالية بعد الا إذا تصدرها الماضي المثبت أن تكتفي بالضمير وحده ، ولكن جاء في كلام الفصحاء اقترانها بالواو وقد مجتمعن ، كما اتفق ذلك في كلام علي ، كرم الله وجهه ، وقد قال به بعض الآئمة . وجاء إلى ذلك في كلامهم اقترانها بالواو وحدها .

الثاني : الأصل في الجملة الحالية اذا تصدرها المضارع المثبت ان تكتفي بالضمير وحده ، فإذا اقتربت بالواو فلا بد أن تضمن إليها قد ، سواء تلت الجملة (الا) . أو جاءت دونها . لكنه جاء في كلام الفصحاء اقترانها بالواو وحدها ، كما اتفق ذلك في كلام علي كرم الله وجهه .

* * *

وبعد فهذا ما رأيت أن أبسط القول فيه للكشف عن السبل المسلوكية إلى تبين جواب الشرط من جواب القسم وتحري الواجب منها إذا اجتمعا ، وتعزف مواضع ربط الجملة الحالية بواو الحال وجوباً وجوازاً وامتناعاً . وقد اعتمدت في ذلك آراء النحاة وأقلام أرباب البيان شرعاً ونشرأ فهو لام وأولئك أصحاب الصناعة . وأرجو أن تكون قد أوضحت البحث فأفصحت عن مضمونه وجلوت غامضه في المسألتين . التماساً لو جه الرأي فيما وابتقاء للصواب ، ومن اللهعون .

□ ثبت بمصادر البعث :

- | | |
|---|--|
| ١٣ - مع الموضع للأمام جلال الدين السيوطي . | ١ - الكليات لأبي البقاء العسيلي الكوفي . |
| ١٤ - البيان في اعراب القرآن لمحب الدين أبي البقاء المكيبي . | ٢ - حاشية الشيخ حسن العطار على شرح الأزهرية للشيخ خالد الأزهري . |
| ١٥ - الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد البرد . | ٣ - شرح شلور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الانصاري . |
| ١٦ - شرح شواهد المقنن للأمام جلال الدين السيوطي . | ٤ - مفتني الليثي لابن هشام الانصاري . |
| ١٧ - شرح كافية ابن الحاجب لعبد الرحمن الجامي . | ٥ - الفراتي لممود شكري الألوسي . |
| ١٨ - جامع دروس اللغة العربية للشيخ مصطفى القلايني . | ٦ - خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي . |
| ١٩ - شرح علي بن محمد الأشعوني للفية ابن مالك . | ٧ - الفراتي لمالي بن عصفور الشيبيلي . |
| ٢٠ - حاشية محمد بن علي الصبان على شرح الأشعوني . | ٨ - ديوان الإمام الشافعى . |
| ٢١ - أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي . | ٩ - ديوان المتنبي ، وأبي تمام ، وأبي فراس الحمداني . |
| ٢٢ - الفضائل لأبي القتيل عثمان بن جنى . | ١٠ - العقد الفريد لابن عبد ربہ . |
| ٢٣ - الباحث اللغوية للدكتور مصطفى جواد . | ١١ - الخيال في الشعر العربي لمحمد الخضر حسين التونسي . |
| ٢٤ - شرح ديوان العماسة لأبي علي الرزوقي . | ١٢ - نهج البلاغة . |
| ٢٥ - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٥/٢٥) . | |